وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

گلستان
روضة الورد

تأليف
سعدي الشيرازي

ترجمة
محمد الفراتي



گلستان

روضة الورد

گلستان

روضة الورد

تأليف

سعدي الشيرازي

ترجمة

محمد الفراتي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٢م

(سلسلة روائع الأدب الشرقي)

والطبعة الثانية عام ٢٠٠٧م

(سلسلة أبعاد شرقية ٣)

منشورات وزارة الثقافة

روضة الورد: كلستان / تأليف سعدي الشيرازي؛ ترجمة محمد الفراتي .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتـــاب، ٢٠١٢م .- ٣١٢ ص؛ ٢٤سم.

(أبعاد شرقية؛ ٣) صدرة الطبعة الأولى ١٩٦٢م والثانية ٢٠٠٧م

١- ٨٩١,٥٥ ش ي ر ر ٢- العنوان ٣- الشيرازي

٤- الفراتي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

أبعاد شرقية

«٣»

روضة الورد گلستان وما
گلستان كتاب في العظات
فيه عن شيراز نفح عطر
وشذا من كلّ أزهار الحياة

المترجم

روضة الورد

المنّة لله عزَّ وجلَّ الذي طاعتُه توجبُ التقرب منه وبشكره تزداد النعمُ. كل نفَس واردٍ مددٌ للحياة، وكلُّ نفَسٍ صادرٍ راحة للذات، إذن في كل نفَس له عليكَ نعمتان، على كل نعمة منهما شكرٌ واجب.

بيت

بأي لسان أو يدٍ أنتَ عامل لتخرجَ في مَرْماكَ عن عُهدةِ الشكر

اعملوا آل داودَ شكراً وقليل من عباديَ الشكور.

قطعة

الخيرُ للعبد أن ينقادَ – معتذراً عن القصور – إلى أعتاب سيدهِ

لِمْ لا وكل امرئ – مما يليقُ بهِ أقَرَّ بالعجزِ – في منحى تعبُّده

غيوثُ رحمته التي لا تُحصى تَعمُ سائرَ الأكوان وموائدُ نعمته بدونِ حرمان مبسوطةٌ بكل مكان لا يَهتِكُ سترَ عباده بأفحش الذنوب ولا يقطعُ رزقهم بما اقترفوه من منكر الخطايا والعيوب .

قطعة

يا من خزائن رزقه من جودهِ ... حَبَتِ المجوسَ وعابدي الأوثانِ
أعدى عداكَ شملتهُ برعايةٍ ... أفتقتلُ الأحبابَ بالحرمانِ

أذنَ لفراش نسيم الصَّبا أن ينشر على البسيطة زاربيَّ الزبرجد الخضراء وأمر [دايةَ] سُحبِ الربيع أن تُربيَ بناتِ النباتِ بمهد الغبراء .

وزينَ بأردِية الأوراق السندسية – من حُلل النيروزِ –أعطافَ الأشجار ووضع على رأس أطفال الأغصان – لقدومِ موسم الربيع – تيجان الأزهار وأصبحتْ بقدرته عُصارةُ القصب شهداً فائقاً ونواة التمر بتربيته نخلاً باسقاً .

قطعة

الريحُ والغيثُ والأفلاكُ سخَّرها ... لتأكلَ الخبزَ بالتقوى وتشكرَهُ
والكلُّ أصبحَ منقاداً إليك فهل ... من المروءةِ أن تَغْشى فتنكرَهُ

وفي الخبر عن سيد الكائنات وفخر الموجودات المبعوثِ رحمة للعالمين وصفوةِ الأولينَ والآخرينَ صاحب الأوان المتممِ لدورةِ الزمان محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

شعر عربي الأصل

شـــفيعٌ مطـــاعٌ نبـــيٌّ كـــريمْ   قـــسيمٌ جـــسيمٌ بـــسيمٌ وســـيمْ

قطعـة

تُـــرى أيُّ غـــم ـد يحيَـق ُ بأمـــةٍ   لهـا أنـتَ في الـدنيا ظهـيرٌ ومِعـوانُ

مـا الخـوف ُ مـن مـوج البحـارِ إذا   طغى ونوح على ظهر السفينة ربُانُ

شعر عربي الأصل

بلـغ العلى بكمالـهِ كشف الدجى بجمالـهِ

حَسُنَتْ جميعُ خصالـهِ صلـوا عليـه وآلهِ

إنَّ الواحدَ من العبيد المذنبينَ الخطائينَ المتحلّلينَ تُسلمهُ يدُ الحيرة إلى الإنابة رجاءَ الإجابةِ ينتصِبُ واقفاً في أعتاب الحق جلَّ وعلا فلا ينظر اللهُ إليه فيعوضارعِا فيُعرُضُ عنه ثم يعود فُيتضرع وُيبكي فيقول الحق ٌّ سبحانه «يا ملائكتي قد استحييتُ من عبدي وليس له ربٌ غيري فقد غفرتُ له»

أي أجبتُ دعوته وقضيتُ حاجتَه لأنني استحيَيْتُ من عبدي لزيادةِ تضرعه وكثرة توجُّعه .

بيت

العبـدُ يُمعـنُ بالـذنوب فهـل تَـرى　　كـرمَ المهـيمن كيـف منـه يـستحي

العاكفون في كعبة جلاله بتقصيرهم بالعبادة معترفون «ما عبدناك حق عبادتك، والواصفون حلية جماله بأودية الحيرة هائمون» ما عرفناك حق معرفتك .

قطعة

يا من يُحاولُ مني أن أُجيدَ له وصفاً　　ومِـن أيـنَ للمـضنى الفـؤادِ هُـدى

العاشقونَ قتيلـو حـبِّ مَـنْ عَـشِقوا　　فليسَ يَرْجعُ من ميت الغرام صَدى

اتفقَ لبعض أرباب القلوب أنه حنا رأسَه لجَيْبِ المراقبة وغرِق في بحر المكاشفة وحين أفاقَ منِ استغراقِه قال له أحدُ صَحَابته بطريقة الانبساط : أيّ تحفة جلبتها لنا من ذلك البستان الذي كنتَ تتنزهُ به فقال : خطر ببالي أنني متى وصَلتُ إلى شجرةِ الوردِ أملأ ذيلَ ثوبي هديةً للأصحاب ولما وصلت وجَمَعْتُ الوردَ أسكرتني رائحتُه الذكيةُ فوقعَ ذيلُ ثوبي من يدي .

قطعـة

أبلبلَ الدوح ما في الحب من طربٍ فكيـفَ تهتِـفُ بالأسـحارِ جَـذلانا
إن كنتَ صباً فأصلِ الروحَ مُحتذِياً حذوَ الفراشةِ دونَ الشكْوِ نيرانا
تعلَّمِ العشقَ من تلكَ التي فَنِيَتْ وما سَمِعْنا لها حِساً بدُنيانا
كم مدعٍ حبَّ ليلى ما له خبرٌ بها ولم تُولِه في الحب سلطانا
شَدا بها وتَغَّنى في مبَاذِلِهِ وراحَ يَملأ سمعَ الدهرِ ألحْانا
ومُدنَفٍ باتَ مِن لَيلاهُ في شُغُلٍ قَضَى وما أقلَقتْ شكواهُ إنساناً

قطعة

يا مَنْ سَموتَ عنِ الخيا لِ وَوهمِ أقيسةِ العقولِ
وعن الذي كُنا قَرَأ نا عنكَ مِنْ ضافي الفصولِ
قدْ تمَّ مجلِسُنا وَوا فى الْعُمْرُ منزلةَ الأفولِ
وكما بدأنا لم نَزَلْ بنهايةِ الوصفِ الجميلِ

محامد ملك الإسلام خلد الله ملكه

لقد وقعَ جميلُ ذكر السعدي بأفواه الأعوام وتغلغل صيتُه بآفاق البسيطةِ لما أبداه من بليغ الكلام وذاق الناسُ من حديثه المقطَّر ما يُشبه حلاوةَ السكرِ ورفعوا رُقَعَ إنشائه إلى رُتبة الأوراق الذهبية ومع كل ذلك فلا يليق به أن يَحْمِلَ هذا على فضله وبلاغته الأدبية، بَيْدَ أنَّ ملك الأوان وقطبَ دائرةِ الزمان القائِم مقام سليمان الناصر أهل الإيمان ملك الملوك المعظم الأتابك الأعظم مظفر الدين أبي بكر سعدِ بن زِنكي ظل الله في أرضه، ربِّ أرضَ عنه وأرضِه لما لحظه بعين عنايته وأيده ببليغ رعايته وأظهر له صادقَ إرادته كان ذلك الاحترامُ موجباً لإقبال جميع الأنام من الخواص والعوام ولا جرمَ «فالناس على دين ملوكهم».

رباعية

متى ما شملتَ العبدَ منكَ بنظرةٍ تفقْ في الورى آثارهُ شُهرةَ الشمس
وإن يك لا يستطيعُ حصر عيوبهِ فعطفُك يمحو كلَّ عيبٍ مِنَ النفسِ

قطعة

وبَيْنايَ في الحمامِ إذْ وصَلَتْ إلى يَدي طينةٌ فَوّاحةٌ مِن يَدَيْ حبي

فقلتُ أمسكٌ أنتِ أم أنتِ عنبرٌ   فنفُحكِ هذا قدْ تَعشَقهُ قلبي
فقالتْ ترابٌ لستُ شيئاً وإنما   جَلستُ بظل الوردِ حيناً على العُشبِ
فَصُحْبَتُهُ أعلتْ مَقامي كما تَرى   وإن كنت طُينا لاً أزال مُن الَترُبِ

اللهم متع المسلمين بطول حياتِه وضاعف ثوابَ جميلِ حسناته وارفع درجات أوِدَّائِهِ وولاته ودمر على أعدائه وشِناتِهِ بما تُلِيَ في القرآن من آياته اللهم آمِنْ بلده واحفظ ولدَه .

شعر عربي الأصل

لقد سعد الدنيا به دام سعدهُ   وأيده المولى بألوية النصرِ
كذلك تَنْشا لِينةٌ هو عِرْقها   وحسنُ نباتِ الأرض من كرم البذرِ

يا من تعالى وتقدس احفظ خطة شيراز الطاهرةَ بهيبةِ الحكام العادلين وهمة العلماء العاملين واجعلها إلى يوم القيامة في أمان وسلامة .

قطعة

أتدري لماذا طوحت بي يدُ النوى   فأمسيتُ في نجوى بعيداً عن الصحبِ

لِما نظرت عيني من الترك إنها ملاحمُ خزي كدت أقضي بها نحبي

قد اشتبكت فيها الأنامُ بحالة تشابهُ شَعْرَ الزنج في مأزِق صعبِ

إلى آدم تنمى التتارُ وإنها ذئابُ ولُوغ نابُها مُرهف الغربِ

وإذ تركت تلك الفهودُ طباعها رجعتُ قريرَ العين تواً إلى صحبي

فألفيتُ شعبي في أمان وغبطة وألفيتُ جندَ الشعب كالأسد في الحربِ

كذا كانت الدنيا تموج بفتنة وتشويشِ أفكار وتُفعم بالكربِ

فعادت بأيام ابن زنكي رضيةً أبي الأمراءِ المَلْكِ سعدِ الفتى الندبِ

قطعة

إقليمُ فارس لم تعصِف به فتنٌ ما دام مثلُكَ يحميهِ من الفتنِ

فاليومَ لم تر عين مثلَ بابكَ في هذي الربوع لأمن الروح والبدنِ

عليكَ حفظ الرعايا وهي تشكر ما تُولي ويجزيك عنها اللهُ بالمننِ

رب احم فارسَ من عصف الزمان ومن كيد الطغاة وخلدها على الزمنِ

تأملتُ بإحدى الليالي أيامَي الماضِية فتأسفتُ على عمري الذي ذهب سدى فثقبتُ حجر قلبي الصلدَ بماسِ دمع عيني ونظمتُ هذه الأبياتَ بما يناسب حالي .

رجـز

في كـــل آن نفـــس مـــن عمـــري　　يمـــر والبـــاقي ضـــعيف الأثـــرِ

يـا مُذهبَ الخمسينَ بـالنوم سـدى　　أيامـــكَ الخمـــسُ قريبـــةُ المـــدى

يا حيرة الساري وما سوى الحمولْ　　والركبُ قد خف على قرع الطبولْ

فـما ألـذَّ النـومَ في صـبح الرحيـلْ　　وضـيعةَ الراجـل في تلـك الـسبيلْ

فكـــل مـــن جـــاء وجـــددَ البنـــا　　يُـــسِلمُه لـــوارث بعـــد الفَنـــا

وغـــيره يمـــضي بهـــذا الهـــوسِ　　وللمحـــاق رأسُ مـــال المفلـــسِ

لا تتخـــذ غـــير الـــوفي صـــاحبا　　وإن تـــرَ الغـــدارَ فاذهـــب جانبـــا

وت مـا تفعـل مـُن خـير وشر َ ْ　　يمـضي ويـا طـوبى لمـن زانَ المَقـرْ

فاحمـــل إلى قـــبرك أنـــوارَ الهـــدى　　فلـيس مـا ينجيـك مـن بعـدِ الـردى

ـالعمر ثُلـج وُبتمـوز الأفـُق ْ　　ار فُأمـسكِ ْمـا تبقـى مـن رمـق ْ

يـا مـن مـضى للـسوقِ فـارغَ اليـدِ　　أخـشى بـأن ترجـعَ خِلـواً فاقعـدِ

مـن أكـل الـسنبلَ قبـل نـضجهِ　　فـالتبنُ عنـد الحـصد مـلءُ خرجـهِ

بـأذُنِ القلـب اسـتمعْ نـصيحتي　　وامـضِ كإنـسان عـلى طريقتـي

وبعد أن تأملتُ معنى هذه المصلحة رأيتُ أن أستقر بمجلس العزلة وأضم ذيل ثوبي عن محاذير الصحبة وأمحو من صحيفتي ما رقمتُه من الهذيان وجزمت ألا أنبِسَ ببنتِ شفةٍ ولا أدعي بعد ذلك المعرفة .

بيت

أصــمَّ أبكــمَ كُــنْ واقبــعْ بزاويــةٍ   ولا تكــن رجــلاً في الحكــم خطّــاءا

حتى دخل عليَّ من الباب حسب العادة القديمة أحدُ الأصحاب وكان أنيساً لي بمحفتي وجليساً لي بحجرتي وبقدر ما أبدى نشاطاً في الملاعبة وما تبسط فيه من المداعبة لم أُسعفْه بجواب لاستغراقي في العبادة فنظر إلي متأملاً وأنشد مترنماً .

قطعة

مـا دمـتَ تملـك الكـلامَ فقـل ولا   تبخــل بجيّــده عــلى مــن يَــسمَعُ

فغـدا رسـولُ المـوتِ يعقـد مِقـولاً   قــد كــان يرتــع بالبيــان فيُمتِــعُ

فأطلعه أحدُ المتعلقينَ بي على حقيقة الأمر قائلاً : إن فلاناً وطد العزمَ وعقد النية على أن يقضيَ بقيةَ عمره في الدنيا معتكفاً واختار الصمتَ ما دام حيا وأنت أيضا إنَّ تستطع فاكبح جماح نفسك واسلكْ مثله طريقَ الانقطاع فأقسمَ بعزة الله العظيم وبعهد الصحبة القديم لا أُصعِّدُ نفَساً ولا أنقل قدماً إلا أن يتكلم حسب عادته المألوفة وطريقته المعروفة، وإن إغاظة الأصدقاء جهل وكفارة اليمين أمرها سهل وخلاف طريق الصواب وعكس رأي أولي الألباب أن يغمد حسام علي ذو الفقار وأن يتوارى لسان السعدي عن الأنظار .

قطعة

أخا الفهم تدري ما اللسان فإنه   لَمفتاح كنز مُغلق عند ذي الفكرِ
وما دام لم يُفتح فلم تدر ربه   أبائعُ در أم هَنات من الصُّفرِ

قطعة

إذا ما دعاك النطق فانطق وإن يكن   سكوتُك بين الناس من كرم الخُلقِ
يعكر صفوَ المرء أمران فاعجبنْ   لنطق بلا داعٍ وداعٍ بلا نطقِ

وبالجملة ما أمكنني أن أمنع لساني عن مكالمته ولا رأيت من المروءة أن أُعرض بوجهي عن محاورته لأنه كان صديقاً موافقاً ومحباً صادقاً.

بيت

إذا ما دعا للحرب يوماً معاندٌ   فحارْ به مضطراً وإلا فسالمِ

وبحكم الضرورة جاريته بالكلام وباريته في نزهة ربيعية حيث سكنَت صولةُ البرد وآن أوانُ دولة الورد.

بيت

ألـورَق الأخـضر فـوق الغـصونْ كحُلــةِ العيــد عــلى المــوسرينْ

قطعة

بــأول نيــسان إذِ العــامُ حامــلٌ بـواكيرَ مـن نفـح إلى الزهـر عـاطرِ

سما لغصون الدوح في الصبح بلبلٌ فقــام خطيبــاً فــوق تلــك المنــابرِ

تــصباه مَطلــولٌ مــن الــورد قــانئٌ محَّـــــلأةٌ أوراقـــــه بـــــالجواهر

فمــن عــرق الحــسناء في وجنَاتهــا بــه شــبَهٌ إن تبــدُ غــضبى لنــاظرِ

واتفق أن بتنا ليلة ببستان أحد الأصحاب وكان بازدهاره والتفاف أشجاره يأخذ بمجامع القلوب فإذا رأيتَه قلتَ: إن أرضه قد رُصعت بدقائق زخارف الميناء وإن رؤوس أشجاره كُللت بعِقد الثريا.

قطعة

روضــــة مــــاء نهرهــــا سلــــسبيلٌ دوحــة ســجع طيرهــا مــوزونُ

تلــك فيهــا مــن الزهــور صــنوف وبهـــذي مـــن الـــثمار فنـــونُ

وبظــل الغــصون ألقــى عليهــا صِــبغَ ألوانــه [أبــو قلمــونُ]

وحين أصبحنا وتغلب التفكيرُ بالعودة على الرأي بالإقامة رأيته قد ملأ ذيل ثوبه بالورد والريحان والسنبل والضَّيمران وعزم على التوجه بذلك إلى المدينة فقلت له : وردُ البستان كما تعلم ليس له بقاء والروض كذلك ليس له وفاء وقد قالت الحكماء : كل شيء ليس له ثبات لا يليق بالقلب أن يتعلق به فقال : ما العمل إذن؟ قلت : لأجل نزهة النواظر وارتياح الخواطر باستطاعتي أن أصنف كتاب [كلستان] الروضة الذي لا تستطيع عواصف الخريف أن تمد يدها إلى أوراقه ولا تقدرُ زعازع الدهر بطيش الخريف أن تكدِّر صفو ربيعه وشبابه .

رجـز

بروضـــتي ورد نـــدي بـــالورقْ   فَلِـمْ مـن البـستان عبـأت الطبـقْ

فـــالورد عمـــره قـــصير الأمـــدِ   وروضـتي تزهـــو لأخـرى الأبـدِ

فلما انتهيت من قولي ألقى الورد من ذيل ثوبه وتعلق بذيلي وقال لي متلهفاً «الكريم إذا وعد وفى» واتفق في تلك الأيام القليلة أن بُيِّضَ منه فصل أو فصلان في حسن المعاشرة وآداب المحاورة بصفة تَزيدُ في قوة المتكلمين وبلاغة المترسلين ولم تنفَدِ البقية الباقية من ورد [البستان] حتى انتهى كتاب [كلستان] بعون الله الملك المنان وفي الحقيقة لا يتم إلا إذا شوهد مقبولاً بديوان ملك الأوان ملجأ العالم وظل الله ولطفه في أرضه ذخرِ

الزمان وكهف الأمان المؤيد من السماء المنصور على الأعداء عضد الدولة القاهرة سراجِ الملة الباهرة جمالِ الأنام فخر الإسلام |أتابك| الأعظم ملك الملوك المعظم مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب والعجم سلطان البر والبحر وارث مُلك سليمان مظفر الدين أبي بكر بن سعد بن زنكي أدام الله إقبالهما وجعل إلى كل خير مآلَهما وذلك بأن تشمله لمحات أنظاره الملوكية فيتفضل عليه بالمطالعة .

قطعة

يفـوق إن يلق من عَطف المليك هـوى

|أرْجَنكَ ماني[1]| و |دارَ النقش|[2] في الصين

وكـــل مـــا أبتغـي ألا يمـــل فمــــا

في |روضـــة الـورد| مـا يضني فتلحـــوني

وكيف لا واسـم |سـعد| فوق طرته

مـطــــرزٌ بــأبي بكــــــر فتــــى الــدينِ

---

[1] اسم كتاب رسم فيه جميع ما صوره ماني المصور الشهير .

[2] هي |نكار خانه| اسم معبد في الصين رسم فيه أبدع الآثار الصينية .

ذكر الأمير الكبير فخر الدين أبي بكر بن أبي نصر

كذلك عروس فكري لعدم جمالها لا تستطيع أن ترفع رأسها ولا أن تحول عين يأسها عن ظاهر قدم خجلها ولا أن تبدو مجلوة في زمرة ذوات الجمال إلا إذا تحلت بحلى قبول الأمير الكبير العالم العادل المؤيد المظفر ظهير سرير السلطنة مشير تدبير المملكة كهف الفقراء ملاذ الغرباء مربي الفضلاء محب الأتقياء افتخار آل فارس يمين الملك ملك الخواص فخر الدولة والدين غياث الإسلام والمسلمين عمدة الملوك والسلاطين أبي بكر بن أبي نصر أطال الله عمره وأجَلَّ قدرهَ وشرح صدره وضاعف أجره فهو ممدوح أكابر الآفاق ومَجمعُ مكارم الأخلاق.

بيت

مـن بـات في ظـل العنايـة حولـه   فخطَـاه هُـدَيٌ والعـدو صُـديقُ

وحيث إنه جعل على سائر عبيده وحواشيه خدمةً معينةً فإذا أجاز أحدُهم لنفسه أدنى تهاون أو تكاسل بأدائها لا بد أن يأتي في مَعرِض الخطاب ومحل العتاب ما عدا طائفةَ الدراويش فإن شكر نعمة الكبراء وذكرَ الجميل والدعاء بالخير واجب عليهم فهؤلاء أداؤهم للخدمة في الغَيبة أولى من الحضور إذ العمل في الحضور أدنى إلى التصنع وفي الغيبة أبعدُ عن التكلف.

رجـز

قومـت بـاليمن اعوجـاج الفلـكْ　　يـا واحـداً في الـدهر لا نـدَّ لـكْ

وخـصكَ الرحمـان دون الـورى　　بـالحكم إذ كنـت بـه أجـدرا

مَـن يفعـل الخـير بهـذا الوجـودْ　　يبـقَ اسـمُه حيـاً بظـل الخلـودْ

إن أوجـز المُـداح أو أطنبـوا　　فمَـنْ بهـذا الفـضل لا يَعجـبُ

بيان العذر عن التقصير في الخدمة

وموجب اختيار العزلة

إن السبب بالتقصير والتقاعد عن المواظبة في خدمة سدة المولى هو بناءً على ما أذكره وذلك أن طائفة حكماء الهند كانوا يتكلمون بفضائل بُزَرْ جَمِهْرَ فما عرفوا له في النهاية عيباً سوى أنه بطيء النطق إذا تكلم يعني أنه يتأنى كثيراً فيلزم على المستمع أن ينتظر طويلاً حتى ينتهي من تقرير كلامه فسمعهم بزرجمهرُ فقال: إطالة الفكرة بما أريد أن أقول خيرٌ من غصة الندم على ما قلت.

رجـز

لا يرسـل القـول جُزافـاً ذو الحجى　　مـا لم يفكـر فيريـك المعجـزا

إيـاك والنطـقَ بـلا تأمـلِ　　فلـيس يغـتم امـرؤٌ لم يعجـلِ

فكـرْ طـويلاً ثـم أطلـق الـنفسْ   من قبـل أن تخزى إذا مـا قيـل بَـسْ
بـالنطق فُـضلتَ عـلى البهـائمِ   فأحـسن المنطـقَ يـا ابـن آدمِ

فكيف الحال في نظر أركان حضرة مولاي وهو مجمع العارفين ومركز العلماء المتبحرين فلئن تسرعتُ وسقتُ الكلام أكون قليلَ الأدب والاحتشام وكيف أعرِض بضاعتي المزجاةَ بحضرة العزيز، والخرز في سوق الجوهريين لا يساوي قيمة حبة شعير والسراج أمام الشمس لا يضيء له ذُبال والمنارة العالية في سفح جبل [أَلْوَنْدَ][1] تظهر كالخِلال.

رجـز

مـن رفـع الـرأسَ وراز صـحبَهُ   رام العـدى مـن كـل صـوب حربَـهُ
حُـرِّرتَ يـا سـعدي مـن المثالـبِ   أيُّ امـرئٍ يطلـب حـرب الهـاربِ
فكـرْ كثـيراً ثـم إن شـئت قـلِ   إن الجـدار بالأسـاس يعـتلي
مَلكـتُ نخـلاً لـيس في بـستانِ   ولي حبيـب لـيس في [كَنْعـانِ]

قالوا للقمان الحكيم: ممن تعلمت الحكمة قال: من العميان لأنهم لا يضعون أقدامهم بمحل حتى يختبروه. قدمِ الخروجَ قبل الولوج. مصراع [قبل الزواج حققِ الذكورَهْ].

---

[1] ألوند بفتح الهمزة والواو وسكون النون جبل شاهق جداً من جبال همذان يضرب به المثل في العلو.

نظم

مهما يُرَ الديكُ ذا صَوْلٍ فليس لهُ   أيُّ اقتدار أمام الباز ذي الظفُرِ
فالهر ليث على الفئران قسورةٌ   لكنه فأرة إن قيسَ بالنمِرِ

ولكن بالاعتماد على سَعة أخلاق الكبراء الذين يغضون أبصارهم عن عيوب أتباعهم ولا يجتهدون في إفشاء أسرار جرائم الصغار قد درجنا نبذة من الكلام في طي هذا الكتاب نوادر وآثار وحكايات وأشعار وسيَر لملوك غبروا من ذوي الاعتبار . وبذلنا جزءاً من العمر العزيز فهذا هو الموجب لتصنيف كتاب [كلستان] وبالله التوفيق .

قطعة

يبقى طويلاً نظامُ الجسم مجتمعاً   وكل ذراته يوماً ستنتثرُ
وقصدنا أن سيبقى ذكرنا أبدا   ولا خلودَ على الغبراء فاعتبروا
لعل دعوةَ ذي تقوى ستشملُنا   إنا لعَطف رجال الله نَفتقِرُ

إن إمعان نظري قد لاحظ المصلحة في ترتيب الكتاب وتهذيب الأبواب حتى اتفق أن تجلتْ هذه [الروضةُ] الغناء والحديقة الغلباء في ثمانية أبواب كأبواب الجنة ولهذا السبب جاءت مختصرةً حتى لا تكون نهايتُها مملة .

الباب الأول في سيرة الملوك

الباب الثاني في أخلاق الفقراء

الباب الثالث في فضل القناعة

الباب الرابع في فوائد السكوت

الباب الخامس في العشق والشباب

الباب السادس في الضعف والشيخوخة

الباب السابع في تأثير التربية

الباب الثامن في آداب الصحبة

قطعة

ما بين رقمي ستة ضَعْ خمسةً　　　تجد بتاريخ الكتاب بهجةً
لقد أردنا النصح في هذ العملْ　　　ما خاب يوماً من على الله اتكلْ

الباب الأول في سيرة الملوك

١ - حكاية

سمعت أن ملكاً أمر بقتل أسير ولما عرف ذلك المسكين أنه هالك لامحَالةَ أخذ يشتم الملك بلغة غريبة وينال منه بأقذع الألفاظ . ومما هو معروف أن كلَّ من يقطع أمله من الحياة لا يبالي أن ينطق بما ينطوي عليه فؤاده .

شعر عربي الأصل

إذا يئس الإنسان طال لسانه　　　كسنّور مغلوب يصول على الكلبِ

بيت

قد يُمسك المرء مضطراً شبا خَذِم   إن لم يجد مهرباً في المأزِق الحرجِ

فسأل الملك عن معنى ما يقول، فأجابه أحد الوزراء وكان محباً للخير: أيها الملك إنه يقول: «والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس» فأشفق الملك على ذلك المسكين وأمر بإنقاذه من مخالب المنون، وكان في المجلس وزيرٌ بينه وبين زميله خصومة فقال: لا يليق بأمثالنا معشرَ الوزراء أن يتكلم أحدنا بحضرة الملك إلا بالقول المستقيم، وإن هذا الأسير شتم الملكَ بما لا يليق. فاكفهرَّ عندئذ وجهُ الملك من كلامه وقال: إن ما ترجمه لي خصمُك وإن كان كذباً إلا أنه لقي عندي قبولاً أكثر من صدقك، لأن ذلك الكذبَ كان منه لغرض نبيل وهذا الصدق جاء منك منطوياً على اللؤم وقديماً قالت الحكماء: الكذبُ الذي يجر من ورائه نفعاً خيرٌ من الصدق الذي يثير فتنة.

بيت

إن كنت للمليك قدوة فلا   تقل سوى الصحيح وانف الدَّغلا

وكان مكتوباً على شرفة إيوان أفريدونَ هذه الأبيات:

أخي لم تكن دنياكَ دارَ إقامةٍ   فعلّقْ إذن بالله قلبَكَ واستغنِ

ولا تنخدعْ فالمُلك ليس مخلّداً ودنياك كم ربَّتْ نظيرَك للدفنِ
سواءٌ إذا ما الروحُ طارت لربها أتُدرجُ بالديباج أم كفنِ القطنِ

٢ - حكاية

رُويَ أن أحد ملوك خُراسانَ رأى السطان محموداً بنَ سبكتكين في المنام بعد وفاته بمائة عام، أنَّ وجُودَهُ قد انحلَّ وصار تراباً ما عدا عينيه فإنهما ما تزالانِ تُبصرانِ وبمحجريهما تتحركان، وقد عجز سائرُ الحكماء عن تأويل هذه الرؤيا . غير أن درويشاً عبَّرها خيرَ تعبير فقال : هو ناظر الآن، فملكه باقٍ وإن انتقل بيد الآخرين .

قطعة

كثيرونَ مشهورونَ غابوا بحفرةٍ ولم يُلفَ ما بين الأنام لهم رسمُ
وشيخ ثوى في الرمس للدود طعمة فما بان من أشلاء رمته عظمُ
وطار أنوشِروانُ بالخير صيتُهُ وإن لم يكن يلفى له بيننا جسمُ
ألا فاغتنم ياذا الحجى الخيرَ قبلما يُعفّي على آثار أصدائك الردمُ

٣ - حكاية

سمعت أن ابنَ ملك كان قصيرَ القامة دَميماً بخلاف أخوته فقد كانوا طوالَ الأجسام حِسانَ الوجوه، فنظر إليه أبوه مرةً بحقارةٍ واستخفافٍ فأدرك الغلامُ ذلك من أبيه بالفِراسة فقال: أي والدي، القصيرُ العاقلُ خيرٌ من الطويل الجاهل وما كلُّ مَن قامتُه عظيمةٌ تكون قيمتُه جسيمةً فالشاة نظيفة والفيل جيفة.

نظم

قـال عـن خـُبر نحيـف عاقـلُ   لـسـمينٍ أبلــهٍ لا يَعقـلُ
أضـعفُ الخيـلِ عـلى مِعلفـهِ   ألـف ألـفٍ مـن حمـارٍ أفـضلُ

فَسُرَّ أبوه وارتاح لذلك أركانُ الدولةِ واستاءَ إخوتُه.

نظم

كـل امـرئ مـا لم يكـن ينطـق   عليـه في حكمـكَ لا تَـصدُقُ
لا تحـسَبِ الغابـةَ خِلـواً دائـماً   لعـلَّ في الغابـةِ نمـراً نـائما

وسمعت أنه في زمن الملك ظهر عدوٌ شديدُ البأس يُريد مناجزتَه فلما التقى الجمعان كان ذلك الغلامُ أولَ من ساق جوادَه إلى الميدان وقال :

قطعة

لم أكـن في الحـرب ممـن يُـدبرُ　　أنـا في الحـرب لظاهـا المُـسْعَرُ
لا تـرى منـي سـوى رأسي إذا　　مـا تغـشته الـدما والعِثْـيَرُ
بـدمي ألعـبُ بـالحرب ومَـنْ　　ينهـزمْ يُهـزمْ وراهُ عَـسكرُ

وكرَّ بأثر ذلك على جيش العدو، وفي مثل رجع الطرف جَدَّل جملةً من الأبطال المجرَّبين ولما مثل بين يدي أبيه قبَّل الأرضَ وقال :

قطعة

أيا من رأى شخصي حقيراً لضعفِهِ　　متى قيسَ عقلُ المرء يوماً بجسمهِ
وإن ضعيفَ الخيل في حومة الوغى　　يُفيدُك لا كالثور تُزهى بشحمهِ

وقيل إن جيش العدو كان كثيراً وهؤلاء نزرٌ يسيرٌ فهمَّ طائفة منهم بالهرب فصاح بهم الغلام : ارجعوا أيها الشجعان وإلا ارتديتم ملابسَ النسوان، فتحمس الفرسان على أثر صيحته وحملوا حملةَ رجل واحد،

فسمعتُ أنهم في ذلك اليوم حازوا لواءَ الظفر، فقبَّل الملك ولده بين عينيه وقرَّ به إليه وفي كل يوم كان يزداد اعتبارُه له حتى جعله وليَّ عهده من بعده، فحسده إخوته ودسّوا له السمَّ في طعامه ورأت أختُه عملَهم من شباك غرفتها فنبهته لمكيدتهم فرفع الغلامُ يدَه عن الطعام وقال محالٌ أن يموت النبهاء ليحل محلهم البلداء.

بيت

أي حـــر يلـــوذ في ظـــل يـــومِ لــو محـا الـدهرُ كـل طـير جميـلِ

وعلم أبوه بما جرى فدعا إخوته إليه وأنَّبهم على ما بدر منهم وعيَّن لكل واحد من أطراف المملكة حصةً تُرضيه حتى نامت الفتنة وانحسم النِزاع وكما قيل: عشرة دروايش يضمهم بساط واحد وملكان لا تُقلهما مملكة واحدة.

قطعة

بنـصف رغيـف يجتـزي ذو قناعـةٍ وزهـدٍ ويعُطـي النـصفَ للبؤسـاءِ

ولــو حــاز إقلـيماً مَليـكٌ لقــادَهُ هــوى الفـتح للثـاني بـدون مـراءِ

٤ - حكاية

استولت عصابةٌ من صعاليك العرب على رأس جبل، فاعتصمت به وقطعت الطريق على القوافل التي تمر من شِعبه فَروَّعتْ رعايا تلك البلدان وقهرت جنود السلطان. ولما كان ذلك المكانُ من المناعة بحيث يصعب الاستيلاء عليه تشاور مديرو تلك الناحية من المملكة بالطريقة التي تُنقذهم من أولئك الأشرار وقالوا: إذا استمرت هذه العصابة مدة طويلة على ما نراه منها فعندئذٍ تستحيل علينا مقاومتها.

رجز

تسطيعُ نزع الغرسة الصغيرةِ ... بعد شهور دون أي كلفةِ

لكن متى مدَّ الزمان جذرَها ... تعييك أن تنزع عنها قشرها

في البدء سدُّ العين سهلٌ بحجرْ ... فإن تفضْ لم تُبقِ للفيل ممرْ

وعلى هذا قرروا أن يرسلوا شخصاً من قبلهم ليتجسس أخبارهم حتى إذا سنحت الفرصة تمكنوا من طردهم جميعاً فتصبح تلك البقعة خِلواً من أثرهم، فأرسلوا عدداً من الرجال الذين عاركوا الدهر ومارسوا الحروب وأوصوهم أن يكمنوا بشعب الجبل. وفي ذات ليلة هاجم أولئك اللصوصُ قافلةً ولما رجعوا من غارتهم وقد أنهكهم التعبُ وأعياهم اللغبُ ألقوا غنائمهم وأسلحتَهم وأسرع النوم إلى جفونهم فناموا.

بيت

لقد غاب قرصُ الشمس في غيهب الدجى

كما غاب قِدْماً في فم الحوت يونسُ

حتى إذا مضى هزيعٌ من الليل وقد استغرقوا في نومهم خرج عليهم أولئك الشجعانُ من مكمنهم فأوثقوهم كتافاً، وفي الصباح أحضروهم بين يدَي الملك فأمر بقتلهم جميعاً. واتفق أن كان بينهم غلامٌ في ميعة الصِّبا وعنفوان الشباب رآه أحدُ الوزراء فأعجبته شمائله وغرَّته مخايله فانحنى بين يدي الملك وقد بسط إليه أكف الضراعة مستشفعاً وقال: هذا الغلام يا مولاي لم يتمتع كرفاقه برَيعان الشباب ولم يقتطف بعدُ ثمار الحياة، ولذلك فإنني أتوسل بكرم أخلاق الملك أن يهب لي دمَه فيطوق عبدَه بهذه المنة أبدَ الدهر. فما كان من الملك إلا أن اكفهرَّ وجهُه لأن هذا الكلام لمَ يوافقْ رأيَه السامي فقال:

بيت

لا يستقر العُرف مَعْ ذي طينةٍ فاسدةٍ كالجوز في أعلى القبَبْ

فالأولى والأفضل أن ينقطع نسل هؤلاء الأشرار وأن تُستأصلَ جرثومتهم من أساسها فليس من عمل العقلاء أن تُخمد اللهب وتترك الجمر وأن تقتل الأفعى وتحتفظ بفرخها.

قطعـة

فلـو حبـاك الحيـا مـاءَ الحيـاة لَمـا طَعِمْتَ دهـرَك مـن صَفـصافةٍ ثمـرا

يا من أضعت مع الأشرار عمرك ما جنيتَ من حنظلٍ شـهداً ولا سَكَرا

سمع الوزير هذا الكلام فتظاهر بقبوله وأثنى على حسن رأي الملك. ولكنه قال: إن ما أمر به الملك هو عين الحقيقة فلو أن هذا الغلامَ بقي مع أولئك الأشرار وتربىَّ تربيتَهم فلا بد إذن أن تلزمَه طبيعتُهم، أما أنا فآمل أنه سيتربى تربيةَ الصلحاء ويتمسك بطبيعة العقلاء لأنه لا يزال طفلاً لم تتأثرْ نفسه بسيرة البغي والعناد التي درج عليها جماعته. وفي الحديث: ما من مولود إلا وقد يولد على الفطرة ثم أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه.

قطعـة

لم يفـدها فـضلُ النبـوة شـيئاً زوجُ لـوطٍ لـصحبة الأشرارِ

وتعـالى عـن جنسه كلـب أهـل الـ ـكهف صـيتاً لـصحبة الأخيـارِ

هذا ما تشفع به الوزير وأعانه في هذه الشفاعة طائفةٌ من الندماء حتى عفا الملك عن دمه ولكنه قال: وهبتُ وإن لم أرَفي الهبةِ مصلحة.

رباعية

أتعرف ماذا قال (زال) لـ (رستم) عدوُّكَ لا تحقره في حومة الحربِ

فإن قليل الماء في العين ربما يفيض فيلوي بالركابِ وبالركبِ

وصفوة القول أن الوزير أخذه إلى بيته ليرفُلَ بحلل إنعامه وعين استاذاً أديباً لتربيته، فتعلم حسنَ الخطاب وردَّ الجواب وسائرَ الآداب الملوكية حتى حاز إعجاب الجميع. وذات مرة أطرى الوزير بعضاً من شمائله بمجلس الملك ومما قال فيه: إن تربيةَ العقلاء أثرت فيه تأثيراً حسناً وتلك الجهالة المتأصلة فيه إمَّحت من طبيعته فتبسم الملك من هذا الكلام وقال:

بيت

فالسِّمْعُ عُقباه ذئب فاتك خَطِرٌ ولو تربى مع الإنسان في المُدُنِ

مرتِ على هذه الحالِ سنةٌ أو سنتان فاتصلت بالغلام طائفةٌ من أوباش المحلة فعقدَ معهم اتفاقاً على خيانة الوزير حتى إذا سنحت له الفرصة قتل الوزيرَ وابنيه وأخذ كلَّ ما لديه من المال وذهب مع رفاقه إلى مغارة اللصوص وقام مقامَ أبيه وأصبح عاصياً فتحير الملك وعض بنانَ الندم وقال:

قطعـة

من رديء الحديد يمكن أن تصـ ـنع ياذا الحجا حساماً صقيلا
غير أن اللئيمَ مهما تربَّى فمحالٌ أن يستحيل نبيلا

قطعـة

لن تحصدَ السنبلَ من سَبخةٍ فلا تُضعْ بذركَ فيها سُدى
والشر لا تفعله مع خيّرٍ ولا تُنِلْ يوماً لئيماً جداً[1]

٥ - حكاية

رأيت على باب إيوان [أُغْلُمِشْ][2] ابنَ [شاويش] زائد الوصف في العقل والكياسة، والفهم والفراسة، ومع حداثة سنه فإن آثار العظمة بادية على ناصيته.

بيـت

كوكبُ الرفعةِ في أعلى المحيا مشرق مذ كان في المهد صبيا

---

[1] الجدا: العطية.

[2] اسم ملك من نسل جنكيز خان.

وبالجملة فقد جاء مقبولاً بنظر السطان، لجمال صورته، وكمال معناه. كما قالت الحكماء: بالمعرفة الغنى لا بكثرة المال، وبالعقل لا بكِبَرِ السن الكمال. فحسده أبناء جنسِه واتهموه بخيانةٍ وسَعوا لإتلافه ولكنْ بغير طائل. مصراع

ما للعدو إذا الحبيب مُوافقُ

فسأله الملك: ما هو الموجب للخصام بينك وبين أولئك اللئام؟ فأجاب: لقد أرضيت كلَّ من في ظل دولتك إلا هؤلاء الحساد فإنهم لا يرضون إلا بزوال نعمتي، ولتبق دولتكم بالسعد والإقبال.

قطعة

في قدرتي ألاَّ أكدرَ صاحبا لكنْ حسودي لم يكن بملائِمِ
متْ يا حسودُ فغيرُ موتك لم يكن فيه خلاصُك من عذابٍ دائِمِ

قطعة

ذو الطالع النحس يهوى جُهدَ طاقته
زوال نعمة ذي جاه وإقبالِ
ما ذنبُ شمس النهار الصحو إن عَشِيتْ
عينُ الخفافيش عنها في السنا العالي
حَقّ تبغي؟ ألوفٌ مثلُ تلك بها
أولى العمى وتُنيرُ الشمسُ آصالي

٦ - حكاية

حُكي أن أحد ملوك العجم كان قد أطال يدَه إلى أموال الرعية وباداهم بالجور والأذية، فضربَ الناسُ في الأرض هرباً من مكايد ظلمه وفضلوا الغربة على المذلة من كُربة جَوره فإذا نقصت الرعية قبلت الولايةُ النقصان وفرَغت خِزانة الدولة وأخذ الأعداء يهددون المملكة بالقوة من كل مكان .

قطعة

إذا رمت يوم النحس تحظى بمسعفٍ فبَهْمَكَ يومَ السعد أمعن بها نحرا

يفر اللئيمُ القِنُّ إمَّا عسفتَهُ وباللطف والمعروف تَستعبدُ الحرا

وفي يومٍ من الأيام كانوا يقرأون بمجلسه كتاب (الشاهنامه) في زوال مملكة (الضحاك) وقيام دولة (أفريدونَ) فسأل الوزيرُ الملكَ : كيف أصبحت السلطنة لأفريدون مع أنه ما كان له مُلكٌ ولا مالٌ ولا حَشمٌ، فأجابه الملك : كما سمعتَ أنتَ أن خلقاً تعصبوا له فقووه وأيَّدوه فنال بهم المُلْكَ، فقال له الوزيرُ : إذا كان تعَصُّبُ الناسِ وتأييدُهم يوجبُ السلطنةَ فلماذا شتتَ شملَ رعيتك وأبعدتَها عنك فإذن أنت لا تريد أن تتمسك بالسلطنة .

بيت

بـالرُّوح لا بالعـسفِ رَبِّ الجُنـدا حتـى تكـون الـسيدَ المُفَـدَّى

فسأله الملك: ما هو السببُ في جمع الجند والرعية، فقال: يلزم على الملك أن يكون عادلا حتَّى تلتفَّ حوله الخلقُ وأن يكونَ رحيماً حتى تعيشَ الناسُ آمنة بظل دولته، وأنتَ عاطلٌ من هذين الحليتين.

قطعـة

مـن حليـة المليـك منـعُ الظُّلْـمِ فالـذئبُ لـيس راعيـاً للـبَهْم

بـالظلم مَـنْ أعـلى بنـاءَ دولتِـهْ يَقلـعْ مـن الأسـاس صرحَ عِزتِـهْ

ولمَّا لمْ تأتِ نصيحةُ الوزيرِ موافقةً لطبع الملك أمرَ بأن يُقيَّدَ ويُزَجَّ به في غيَابةِ السجن فلمْ يمضِ زمنٌ طويل حتى قام أبناءُ عم الملك لمنازعته وجهزوا العساكرَ لمقاومته وطلبوا مُلْكَ أبيه. فاجتمع عليهم أولئك الذين يئسوا منه وانضموا إلى الذين تفرقوا عنه فقووا أبناء عمه حتى انتزعوا في النهاية المُلكَ من تصرفه، وتحررت المملكة على أيديهم من ذل عبوديته.

قطعة

إذا مَلِكٌ بالظلم روَّعَ شعبَهُ فمن صحبه في الضيق يُرهقه الكربُ
فشعبَكَ صالحْهُ ومن خصمك استرح فكلُّ مليكٍ عادلٍ جندهُ الشعبُ

٧ – حكاية

حُكِي عن بعض الملوك أنه ركب سفينةً وبصحبته غلامٌ أعجميٌّ لم يرَ البحرَ أصلاً ولم يجرب محنة السفينة فابتدأ يصرخ ويئنُّ وقد تهافتَ على نفسه وهو يرتعد من الفَرَق وبمقدار مالاطفه الناسُ لم يستقرَّ له قرارٌ فتنغص عيشُ الملك حيث أعيته به الحيلةُ وصادف أن كان في تلك السفينة حكيم فقال للملك إذا أمرتَ فإنني سأُسكتُه فأجابه الملكُ تكون بذلك قد بلغت غايةَ اللطف. فأمر بأن يُلقى الغُلام في البحر فتقاذفته الأمواجُ حتى إذا أشفى على الهلاك أمر أن يُجذبَ من شَعره إلى السفينة فتشبث الغلامُ بكلتا يديه بسكانها ولما أحسَّ أنه أصبح على سطحها جلس منزوياً واستقر آمنا. فكَبُرَ عندئذ تدبيرُ الحكيم بعين الملك وسأله أن يوضح له السبب فقال: إن الغلامَ يا سيدي لم يتجرَّعْ قبلُ غصةَ الغرقِ حتى يَعرِف قدْرَ السلامة في السفينة وكذلك لا يعرف أحدٌ قيمةَ العافية من النوائب ما لم تمرَّ على رأسه المصائب وتُحنكْه التجارب.

قطعة

خبز الشعير قبيح عند مَنْ شبعوا ونورُ حبي لدى الحساد كالظُّلَمِ
حور الجنان على الأعراف في سقرٍ ومن بها تحسد الأعرافَ مِنْ ألَمِ

بيت

كم بين مَنْ كفه بالصدر عابثةٌ وبين من عينُه للباب ترتقبُ

٨ – حكاية

قالوا لهُرمُزَ صاحب التاج: ما هو الخطأ الذي رأيته من وزراء أبيك حتى أمرتَ بحبسهم جميعاً فقال ما عرفتُ منهم خطأ ولكن رأيت مهابتي شديدة على قلوبهم وأنهم ليسوا معتمدين اعتماداً كلياً على عهدي فخشيتُ أن يلحقني من خوفهم الضررُ فيقصدوا هلاكي فعملت إذن بقول الحكماء حيث قالوا:

قطعة

من بات يخشاك فاخشَ الفتك منه ولو عليه بالحرب ألفاً فُزتَ بالظفرِ
أما ترى الهرَّ مَعْ ضعف به ربُما نالت مخالبه من مقلة النَّمِر
وربما تلدغ الأفعى مصادفَها كيلا يحطم منها الرأسَ بالحجرِ

٩ - حكاية

يروى أن ملكاً من ملوك العرب المعمرين مرض مرضاً شديداً أشفى به على التلف حتى قطع أملَه من الحياة وبينا هو على حالة يعالج فيها ألم النزع إذ دخل عليه فارس يحمل إليه بشرى فقال: لقد فتحنا القلعة الفلانية تحت ظل راية مولانا الملك وأسرنا الأعداء وأصبحت جميع رعايا تلك الجهة بظل حمايتكم فلما سمع الملكُ هذا الكلامَ أرسل حسرة تقطعت لها نِياط قلبه وقال: ليست هذه البشرى لي ولكنها للأعداء «يريد وارثي مملكته من بعده».

قطعة

جاء البشير وللحلقوم قد وصلتْ   روحي وعما قريب ينطوي خبري
نلت المراد ولكن أيُّ فائدةٍ   وليس لي أملٌ في عَودةِ العمُرِ

قطعة

بيد الموت دُقَّ طبل الرحيل   يا له اللهُ من فراق طويلِ
ودِّعي الرأسَ يا عيوني ونوحي   بعد كفي على البنان الجميلِ
كلُّ عضو مزايل لأخيه   فليودعْه راثياً بالعويلِ
ما أراد الأعداء كان فخُطا   لي قبرا على الثرى المطلولِ
أنا بالجهل قد قَضيتُ حياتي   فاحذرا من مزالق التضليلِ

١٠ – حكاية

اعتكفتُ في بعض السنين بجانب تربة يحيى عليه السلام بالمسجد الجامع بدمِشَق، واتفق أن جاء للزيارة أحدُ ملوك العرب وكان معروفاً بعدم الإنصاف وبعد أن صلَّى وتضرَّع لقضاء حاجته.

بيت

أخو البؤس والمثري فقير ببابه   وأكثرهم مالاً أشدُّ له فقرا

التفت إليَّ وقال: مِن هذا المقام الذي هو مَبْعثُ همة الدراويش وصدقِ معاملتهم وَجِّهْ الخاطرَ بمرافقتي فإنني في تفكرٍ ووسواسٍ من عدوٍ لي صعبِ المِراس. فقلت له: ارحم ضعفَ رعيتك حتى لا ترى صعوبةً من قوة عدوك.

قطعة

أبقوةٍ في ساعديك ولكمْةٍ   بالجُمع تخضُدُ شوكة الضعفاءِ

نَحْ إن وقعتَ ولم تجد لك راحماً   أو مَن يْمُدُّ إِليك كفَّ ولاءِ

من يزرع الفعل القبيحَ ويرتجي   طِيب الجنى يحصدْه شرَّ جَناءِ

فإليَّ ألقِ السمعَ واعدل في الورى   أو لا فيومُ الحشر يوم جزاء

رجـز

أَلنـــاسُ كالأعــضاء في التــسانُدِ   لِخلقهــمْ مــن كُنــه طــينٍ واحــدِ
إذا اشـتكى عُـضوٌ تـداعى للـسهرْ   بقيـــةُ الأعــضاء حتــى يَـــستقِرْ
إنْ لم تُغَـــمَّ لمـــصاب النــــاسِ   فلـــستَ إنـــساناً بـــذا القيـــاسِ

١١ – حكاية

ظهر ببغداد درويش مُستجاب الدعوة . فدعاه الحجاج بن يوسف إليه وقال له : أدعُ لي دعوةَ خير . فقال : رب خذ روحَهُ . فقال الحجاج : يالله ما هذا الدعاء . فقال الدرويش : دعاء خيرٍ لكَ ولجميع المسلمين .

رجـز

يــا مــن عــلا وانحــطَّ في الأذيــهْ   حتـــى متـــى ظلمـــك للبريـــهْ
وبـــانيَ الملـــك بـــلا أســـاسِ   موتُـك خـيرٌ مـن عـذاب النـاسِ

١٢ – حكاية

حكوا أن ملكاً قليل الإنصاف سأل عابداً : «أيُّ العبادات أفضل» فأجابه : نومُ نصفِ النهار، حتى تستريحَ الخلقُ من أذاك في تلك الفترة من الزمان .

قطعـة

رأيــتُ غــشوماً في الظهــيرة نــائماً فقلـتُ ليـومِ الحـشر يـا فتنـةُ ارقُـدي
وكـل امـرئٍ في نومـه يقظـةُ العـلى ففـي موتـهِ للـشعب إحيـاءُ سـؤدَدِ

١٣ – حكاية

سمعت أن ملكاً كان يُحيل ليلةَ نهاراً بالأسمار وفي نشوة سكره كان يقول :

بيت

لم يلفُ في الكون صفوٌ مثل ساعتنا أَلـسعدُ وافى فـلا غـمٌّ ولا كـدرُ

وكان هناك درويشٌ يَرْقُدُ خارجَ القصر عاريَ الجسد سمعه فأنشد .

بيت

يـا مـن كإقبالـه مـا في الـورى أحـدٌ إن لم تُكَـدّرْ ألـسنا نحـنُ في كـدرِ

سمعه الملك فاستحسن قوله، وتناول صرة فيها ألفُ دينار ليلقيها إليه من الشباك وصاح به : أيها الدرويش أجمع ذيل ثوبك وتلق ما أَهَبُهُ لك . فقال له الدرويش : ليس لي ثوب فأجمع ذيله . فأشفق الملك عليه كثيراً ورقَّ

لضعف حاله. فأرسل إليه زيادةً على ذلك خلعةً سنية وبعد أن أتلفَ الدرويشُ المال بأقصر مدة رجع إلى حالته الأولى خاويَ البطن عاريَ الجسد.

بيت

لا المـالُ في كـف حـرٍ يـستقر ولا ... صـبرُ المحـب ولا مـاءٌ بغربـالِ

وفي ساعة ليس بوسع الملك أن يلتفت بها لمثله قصوا عليه قصته فانقبض صدره وحوَّل عنهم وجهه. ومن هنا قال أصحاب الفطنة والخبرة: إن من الواجب الحذر من حدة الملوك وسورتهم. لأن غالبَ همة أولئك منصرفةٌ لحل معضلات الدولة وأمور المملكة وليست لازدحام العوام ولجاجتهم.

رجـز

مواهـبُ الملْـك حـرام والمـننْ ... عـلى الـذي يُـضيع فرصـة الـزمنْ

لا ترسـل الكـلام قبـل الفكْـرِ ... يـنحط منـك القـدرُ تحـت الـصفرِ

وقال: اطردوا هذا المبذرَ الوقحَ الذي بعثر هذا المقدارَ من النعمة بأقصر مدة، ألا يعلمُ أن خزينة بيت المال إنما هي لسد حاجة المساكين وليست طعمةً لإخوان الشياطين.

بيـت

من يوقد الشمع في رأد الضحى سفهاً

ففي الدُّجى ليس يلفي الزيتَ في السُّرج

فقال أحد الوزراء الناصحين أيها الملك إنني أرى من المصلحة لمثل هؤلاء أن تُجريَ عليهم أرزاقَهم متفرقةً على وجه الكفاف حتى لا يتمكنوا من الإسراف أما ذلك الذي أمرت به من الزجر والمنع فلا يناسبُ سيرة أرباب الهمة، فالذي جذبته باللطف إليك لا يليق أن تُعيدَه يائساً مكلومَ الفؤاد.

بيت

إذا بــابَ إنعــام فتحــت لطــامعٍ   فإغلاقـه في وجهـه لـيس بالـسهلِ

قطعـة

تــأبى العطــاشُ ورودَ مــاءٍ آجــنٍ   والحَـرُّ يُـرمِضُ في الحجـاز ويُجهـدُ

وعلى الغدير العذب تزدحم الورى   والعــيس ترتــع والطيــور تغــردُ

١٤ - حكاية

كان أحد الملوك الأقدمين غافلاً عن رعايةِ مملكته سائراً بالشدة مع جنده، فلما ظهر لهم بوجهِ العدو الصعب، أداروا له قفاهم في الحرب .

بيت

إذا لم يجـــد بالمـــال مَلْـــكٌ لجنـــده فليست بوجه الخصم تَشهر صـارماً

وكان لأحد أولئك الغادرين معي صداقة، فأنحيت عليه بالملائمة قائلاً : إن الوغدَ الدنيءَ ناكرَ الجميل هو ذلك الذي يُعرض عن ولي أمره القديم لأقل تغير في حالته، ويطوي حقوق تلك السنين الطوال من نعمته . فقال : لعلك تقبل عذري إذا قلت لك : إن حصاني كان بلا شعير وأن لباد سرجه مرهون . إذن فالسلطان الذي يَضِنُّ على جنوده بذهبه لا يمكن أن تجود له في الملمات بأرواحها .

بيت

الجند يجذبهم صوت النضار فمن لم يعطهـم ذهبـاً عـن ملكـه ذهبـوا

شعر عربي الأصل

إذا شـبع الكمـي يـصول بطـشا وخـاوي الـبطن يـبطش بـالفرارِ

١٥ - حكاية

عُزِل أحدُ الوزراء من منصبه، وانتظم بسلك الدراويش فأثرتْ فيه بركةُ صحبتهم، وحظيَ باليد العليا من جمعية خواطر رغبتهم، فرضي عنه الملك مرة أخرى، وأمره بالعمل فلم يقبل. وقال: الاعتزال خير من الاشتغال.

رباعية

الزاهدون المنزوون عن الورى　　　كموا فمَ الإنسان والحيوان
كسروا اليراعَ ومزقوا أوراقهم　　　وتخلصوا من هجو كل جبان

فقال الملك: لا بد لنا من رجل عاقل ذي كفاءة، جدير بتدبير المملكة فقال له: من علامة العقل والكفاءة ألاَّ يُضنيَ المرء جسده بمثل تلك الأعمال.

بيت

أفضل الطير (الهُما) لم يفترس　　　حَيواناً حيث بالعظم اغتذى

مَثَل: قالوا (العناق الأرض)[1] بأي وجه وقع اختيارُك على ملازمة صحبة الأسد. فقال: حتى آكل فضلةَ صيده، وآمنَ على حياتي بفضل صولته

---

(1) (عناق الأرض) حيوان من عائلة السنور وهو أكبر منه قليلاً له خصلة من الشعر الأسود في أعلى كل من أذنيه وهو من الجوارح الصائدة.

من شر أعدائه. فقالوا له: ما دمتَ الآن بظل حمايته، معترفاً بشكر نعمته، فلماذا لم تزدَدْ منه قرباً فيحضرك بمجلسه الخاص به، ويَعُدك من مخلصي خدمه. فقال: ومع كل هذا فلست آمن من بطشه.

بيت

فلــو عبــد النــارَ المجــوسيُّ دهــرَه وطــاحَ بهــا يومــاً ستحرقه حــتما

إذ نديمُ حضرة السلطان تارةً يجد الذهبَ وتارة يتعرض رأسُه للعطب وقد قالت الحكماء: يجب الحذر من تلون طبع الملوك لأنهم ربما جازوا على السلام بالآلام وعلى الشتيمة بالخلع الجسام. وقالوا: كثرة الظرافة عرفان للندماء وعيب للحكماء.

بيت

إعــرف لنفــسك قــدرها بوقارهــا ودع الظرافــةَ للنــديم المــاجن

١٦ – حكاية

جاء إليَّ أحدُ الرفاق بشكاية من جَوْر الزمان فقال: رزقي قليلٌ وعيالي كثيرٌ، وليس لي طاقةٌ على احتمال الفاقة. وإني لمهاجرٌ إلى إقليم آخر أعيش به بضنك أو رفاه، فلا يطَّلع على حالتي أحد من الأعداء أو الأصدقاء.

بيت

كم نام بـالجوع لا تـدري الأنـامُ بـهِ ومـات لم يَبْكـه مـن صـحبه أحـدُ

ثم فكرتُ بشماتة الأعداء، إذ يحملون سعيي أمام عيالي على عدم المروءة مني، ويطعنونني بقفاي ضاحكين ساخرين فيقولون :

قطعة

أنظر لذاك اللئيم الفسل كيف أبى بـأن يـشاهدَ يومـاً وجـهَ ذي شرفِ

لا يعتنــي بــسوى إشــباع رغبتــه ولــو رأى أهلَــه بالنــار والتلــفِ

وإن لي بعضَ خبرة بعلم المحاسبة كما تعهدني، فلو حصل لي بجاهك عمل مُعَين يُريح فكري من عنائه إذن لما استطعت أن أخرج من عهدة شكرك مدةَ عمري قلت أيها الصديق : إن خدمة السلطان لها طرفان، الأمل بالثراء وخوف البلاء، وليس من رأي العقلاء أن تبقى بالوجل لأجل هذا الأمل .

قطعة

لم يـأتِ يومـاً مـن يُطالـب معـدماً بخــراج كــرْم أو خــراج حــصيدِ

إرضَ الحيــاةَ بغُــصةٍ ومــرارةٍ أوضَــعْ كُــلاكَ أمــامَ زاغ البيــدِ

فقال : إن هذا القولَ لم يكن موافقاً لحكاية حالي، ولم يأتِ جواباً لسؤالي . أوَ لم تسمع ما قيل : كل من بنفسِه يَرتابُ ترتعش يدهُ عند الحساب .

بيت

في الاستقامة ما يُرضي المليكَ وما　　ضاعَ امرؤٌ في طريقٍ لاحبٍ أبدا

وقالت الحكماء : أربعةٌ ترتعد فرقاً من أربعة : اللص من السلطان والسارق من الخفير والفاسق من الغماز والزانية من المُحتسِب . ولماذا يخاف من المحاسبة من كان نظيفاً في الحساب .

قطعة

مناصب الحكم لا تذهب لها فرحاً　　حتى بعزلكَ لا يهنا أخو حسدِ

يُنحي على الثوب قصاروه من وسخ　　فكن نظيفاً ولا ترهب صدى أحدِ

فقلت له : إن حكاية ذلك الثعلب تناسب حالك إذ رأوْه هارباً لايلوي على شيء، حائراً مضطرباً لا تكاد تحملُه قوائمه . فقال له شخص : ويحك ما دهاك، وما الداعي لهذا الاضطراب الذي أنت فيه؟ فقال : سمعتُ أنهم يأخذون الجمال للسخرة . فقال له : أيها السفيه الأحمق . ما هي مناسبتك

للجمل وما هي مشابهتك له؟ فقال: صَهْ أيها الأبله، إذا قال حسود مُغرض: هذا جمل، وعَلِقوا بي فَمنْ عندئذ يسأل عن حالتي فيخلصني من كُربتي؟ وإلى أن يُجلب الترياق من العراق يكون لديغ الحية قد نفضتْ يدَها منه الرفاق. وأنت ذو فضل وديانة، وتقوى وأمانة، غير أن الحسَّادَ الكامنين كالخبايا والمدعينَ القابعين في الزوايا، إذا أتوا على سيرتك الطيبة بالنقد والتجريح، وجئتَ في معرض خطاب الملك ومحل عتابه، فمن عندئذ يستطيعُ أن يدافع عنك بمقال في مثل ذلك المجال؟ وقلتُ له بعد أن ضربتُ له المثل: أرى أن من مصلحتك أن تحتفظ بمُلك القناعة، وتصرف نظرك عن طلب الرياسة، كما قال العقلاء:

بيت

في البحـر دُرٌّ لـيس يُحـصى نفعُـه أمـا الـسلامةُ فهـي عنـدَ الـساحلِ

فلما سمع رفيقي هذا الكلام اكفهرَّ وجهُه وأخذ يرشقني بسهام الملام قائلاً: ما هذا الفهمُ والكياسة، والعقل والفِراسة! فلقد صدق الحكماء حيث قالوا: الأصدقاء هم الذين ينفعونك عند الضيق والبُرَحاء لا الذين يُظهرون لك الصداقة على مائدةِ الشراب وهم لك أعداء ألداء.

قطعة

ليس خلاً من بات يُطريك في النُّعـ ـمى كثـيراً ويَزدهـي بالإخـاء
غـير أن الخليـلَ مـن بـات بالسر اءِ يحنـو عليـك والـضراء

وإذ رأيته تغير وما فهم القصد من نصيحتي، ذهبتُ إلى صاحب الديوان وعرضتُ عليه صورةَ حاله، لسابق معرفة بيننا، وبينت له مقدارَ أهليته واستحقاقه، فأسندوا له عملاً بسيطاً، ولم تمضِ أيام حتى رأوا لطافةَ طبعه، وأعجبهم حسنُ تدبيره، فرفعوه من تلك المرتبة إلى مرتبة أعلى، وهكذا ما زال يرتقي به نجم السعادة حتى بلغ به أوجَ الإرادة، فأصبح عند السلطان، يشار إليه بالبنان، ويُعتَمدُ عليه عندَ الأعيان. ففرحت كثيراً بصلاح حاله وقلت:

بيت

لا تفكـر بـالبؤسِ وافـرح لتحيـا مـاءُ |عـين الحيـاة | في الظلـماتِ

شعر عربي الأصل

ألا لا تحـزنَنَّ أخـا البليـهْ فللـرحمن ألطـافٌ خفيـهْ

بيت

إصبر إذا الدهرُ لم يُسعف وعش فرحاً فالصبر مرٌّ ولكن يُعقب الفرجا

واتفق لي في ذلك الأوان أن سافرتُ إلى مكةَ مع بعض الإخوان فلما عدت من الزيارة استقبلني من مرحلتين، فرأيته بهيئة الدراويش، مشتتَ الأحوال، مبلبلَ الأفكار. فسألته: ما هذه الحال؟ فقال: كما قلت أنتَ. فلقد اتهمني جماعة من الحساد بالخيانة، ولم يأمر الملكُ بالتحري عن كشف حقيقة تلك التهمة، وأصحابي القدماءُ وأخلاي الرحماءُ، جَبُنوا عن النطق بالحقيقة، ونسوْا حقوق تلك الصداقةِ القديمة.

قطعة

أنظر إلى وضع أيدي المادحينَ على صدورهم حول عرش الملْك ذي الباسِ

وانظر اليهم وقد مال الزمانُ به كيف استباحوا له دعساً على الراسِ

والخلاصة: أنني عوقبتُ بأشد أنواع العقوبة، حتى وردت البشارة في هذا الأسبوع بسلامة الحجاج، فأطلقوني من قيد الاعتقال بعد أن صادروا كلَّ ما ورثتهُ من المال. فقلتُ له: أنت في تلك الآونة لم تقبل إشارتي بأن عمل السلطان كسفر البحر. فوائده لا تُعدُّ وأخطاره لا تُحدُّ، فأنت إما أن تخرج منه بكنز وإما أن تموتَ قبل حل ذلك اللغز.

بيت

فإما تُفِدْ منه سبائكَ عسجد أو الموج يُلقي منك شِلواً على السِّيفِ

ولم أر من المصلحة أن أنكأ جُرحَ فؤاده بأظفار الملامة. واقتصرتُ بذر الملح على ذلك الجُرح بهذين البيتين:

قطعة

أتدري لماذا حزَّ رجلَك قيدُها لأنك لم تعمل بنصح مجربِ

وما دمتَ تؤذيك السمومُ فلا تضعْ بَنانَكَ طول العمرِ في غارِ عَقْربِ

١٧ - حكاية

كان في صُحبتي جماعةٌ من المريدين، ظاهرُ حالهم مُزدانٌ بالصلاح، وكان لأحد الأمراء - بهذه الطائفة - حسنُ ظن بالغ النهاية، فأجرى عليهم مرتبات تُعينهم على الحياة، غير أن أحدهم أتى بحركة لا تتناسب مع حال الدراويش، فتغير ظن ذلك الأمير بهم، وكَسدَتْ بضاعتهم بسوقه، فتمنيت أن أجد لي طريقة أستخلص بها كفافَ أولئك الأحباب، فقصدتُ خدمةَ الأمير فعاقني البوابُ، وقابلني بالمجافاة، فأعطيت بيده العذر حيث قالوا:

قطعة

حــذار مــن الطــواف بغــير داع   ببــاب الملْــك أو بــاب الأمــيرِ
فطــوقُ الثــوب للبــواب حــتماً   وذيــل الثــوبِ للكلــبِ العقــورِ

ولما وقفَ على حالي جماعةٌ من مقربي حضرة الأمير، قابلوني بالإكرام، ورفعوني لأعلى مقام، ولكني جلست بأحط مراتب التواضع وقلت :

بيت

أقــل مــن العبيــد أحِــسُّ قــدري   فمــن لي أن أقــيم مــع العبيــدِ

فقـال الأمير :   !فيا لله ما هذا الكلامُ !

بيت

أُسَرُّ إذا جلــستَ بجفــن عينــي   وإمــا شئتَ فــاجلسْ فــوق رأسي

وبعد أن جلستُ واصلتُ الحديثَ معه في كل باب حتى عَرضَتْ زَلَّةُ الأحباب فقلت :

قطعة

يــا ســابق الإنعــام أيــةُ زلــةٍ   للعبــد تُكبرهــا وعفُــوك أكــبرُ
فــالله ذو لطــف علمــتَ وعــزةٍ   لم يمنــع الــرزقَ امــرءاً لا يــشكرُ

فارتاح الحاكم لهذا الكلام، وأمر بأن يهيئوا أسبابَ معاش أولئك الأصدقاء على القاعدة الماضية، وأن يصرفوا لهم أيامَ تعطيلهم فشكرت جزيل نعمته، وقبلت أعتاب خدمته، واعتذرت عن جسارتي فقبل معذرتي، وعند انصرافي من سدته قلت :

قطعة

ما زالت الكعبةُ الغراء وِجهةَ مَنْ   شوقاً لها لم ينهنهْ عزمَه السفرُ
فالصفح أولى إذن عن مثل هفوتنا   فليسَ يُرجَمُ دوح ما به ثمرُ

١٨ - حكاية

ورث ابنُ ملك عن أبيه من المال خزائنَ جمةً فبسط يده لمجتديه وفتح باب السخاء لقاصديه وأفاض على الرعية والجند نعمةً بلا قياس ولا حد .

قطعة

العودُ لا عَرْف به لكنه   إن يلْقَ بالنار يَفحْ كالعنبرِ
ابذُرْ من المعروف إن رمتَ العلى   لا تنبتُ الحبةُ ما لم تُبذَرِ

فأخذ أحدُ جلسائه ينصحُه لعدم تدبيره بقوله : إن الملوك الذين سبقوك جمعوا هذه النعمة الوارفة بالسعي المتواصل وكنزوها لتِصُرفَ في سبيل المصالح العامة وفي الأمور الهامة فقصِّرْ يدكَ عن هذه الحركة فإن الوقائعَ أمامَك والأعداء خلفك فاجتهد ألاَّ تفجأَكَ الحاجةُ فتجدَ نفسك عندئذ عاجزاً عن دفعها .

قطعة

أمولاي لو فرقت ما أنت جامعٌ　　على الشعب ما نال امرءاً بعضُ درهمِ
فخذ درهماً من كل شخص ضريبةً　　تحُز كلَّ يوم منهمو كنزَ مغنمِ

فاكفهرَّ وجهُ ابن الملك من هذا الكلام لأنه لم يأتِ وفق رغبته فزجر ناصحَه وقال : إن الله عز وجل جعلني مالِكَ أمر هذه المملكة لآكل وأهَب، ولم يجعلني خفيراً لأحفظ ما لها من العطب .

بيت

وما خلَّدتْ قارونَ يوماً كنوزُهُ　　وذِكرُ أنوشروانَ باقٍ على الدهر

١٩ – حكاية

مما يُؤثَرُ عن أنوشروانَ العادلِ أنه جيءَ إليه بطريدة في محل الصيد، فلما أرادوا شيَّها أعوزهم الملحُ، فأرسلوا غلاماً إلى القرية ليجلب ما يلزمهم منه

فقال أنوشروانُ : اشتروا الملحَ بثمن لئلا يكونَ ضريبة فتخربَ القريةُ . فقالوا له ما هو الضررُ الذي يَحصُلُ من هذا المقدار فقال : الظلمُ في الدنيا كان في بدايته قليلاً وكلُّ شخصٍ أتى كان يَزيدُ فيه حتى وصل إلى هذه الدرجة التي تَرونْها .

قطعة

من جَنَّةِ الشعب إن مَلْك جنى ثمرا   فللعبيد بأن تستأصلَ الشجرا
وإن شوى خمسَ بيضاتٍ بلا ثمن   فالجندُ من حقها أن تشويَ البقرا

بيت

ما إنْ يدومُ أخو ظلم فنغبِطَه   لكن تدومُ عليه لعنةُ الأبد

٢٠ – حكاية

سمعت أن عاملاً كان يخرب بيوت الرعية ليعمر خزائن السلطان، وغفل عن قول الحكماء حين قالوا : كل من يُغضبُ الملكَ الجبار بتسلطه على قلب أحد خلقه بالأضرار، فإنه تعالى يسلط عليه خلقه حتى ينتقموا منه فيهلكوه .

حكمة : يقولون إن الأسد سيدُ جميع الحيوانات، والحمارَ أخسُّها، وباتفاق العقلاء أن الحمار الذي يحمل عنا الأثقال خير من الأسد الذي يمزق منا الأوصال .

قطعة

إن الحـــمارَ مـــا لـــه تمييـــزُ لكنــــه بَحملِــــهِ عزيـــــزُ
أفــضل ممــن طبعــه التــدميرُ للؤمـــه الثـــيران والحمـــيرُ

علم الملك بقرائن الأحوال طرفاً من أخلاقه الذميمة، فعاقبه بأشد أنواع العقاب، حتى هلك بعد أليم العذاب .

قطعة

ما دمتَ لم ترضِ خدام المليك فلا تأمَـلْ رضـاه عـلى حـال ولا تَـرُمِ
وإن أردتَ رضــــاءَ الله محتــــسباً فكن لدى خلقه من ألطف الخدمِ

ومر عليه أحدُ مظاليمه فقال :

قطعة

يـــا دائبـــاً تبتـــز أمـــوالَ الـــورى لنفـــوذك الـــسامي وراءَ بروجـــهِ
قـــد تبلـــعُ العظـــمَ الكبـــيرَ وإنـــما تتمـــزق الأحـــشاءُ قبـــلَ خروجـــهِ

٢١ - حكاية

حُكِيَ أن إنسانا مؤذياً ضرب فقيراً صالحاً على رأسه بحجر ولما لم يجد ذلك الفقير مجالاً للانتقام احتفظ بالحجر. واتفق أن غَضِبَ الملك على ذلك الجندي فزج به في غَيابة السجن فجاء إليه الفقير وألقى على رأسه ذلك الحجر فقال: مَن أنتَ؟ ولماذا ألقيتَ هذا الحجرَ على رأسي؟ فقال له الفقير: أنا فلان وهذا حَجرُكَ الذي ضربتني به على رأسي بتاريخ كذا فقال أين كنتَ طولَ هذه المدة فقال الفقير كنتُ أخشى منصبَكَ والآن وجدت الفرصةَ سانحة فاغتنمتها.

رجـز

إذا رأيـت الغمـر أضـحى ذا غنـى ... لله سـلمْ واسـترحْ مـن العنـا

إلاَّ تكـن تملـكُ ظفـراً خالبـاً ... فـلا تعانـدْ تحَمـدِ العواقبـا

مـن قلَّـب الفـولاذَ بـالكف نَـدِمْ ... للسـاعدِ الفـضي أوهـاهُ الألمْ

فارتقـب الأحـداثَ تـوهِنْ زنـدَهُ ... وفي رضـا الأحبـاب تَـثْلِمْ حـدَّهُ

٢٢ – حكاية

أُصيبَ أحدُ الملوك بمرض عُضال ولا أحب أنْ أُعيد ذكرهَ، وقد أجمعَتْ طائفة من حكماءِ اليونان على أنه ليس له علاج من دائه إلا مرارةَ إنسان ذي صفات خاصة يعُرَفُ بها فأمر الملك أن يُفَتشوا عن صاحب تلك الصفات فالتمسوه فوجدوه غلامَ دُهقانَ فاستدعى الملك أبويه وأغدقَ عليهما نِعمَهُ ولما آنس منهما السرورَ فاتحمها بأمر الغلام فلم يكن منهما إلاَّ التسليم لإرادته وأفتى القاضي بجواز إراقة دم أحدِ الرعية لسلامة نَفْس الملك وعلى هذا أُحضر الجلادُ فلما رآه الغلام حوَّل وجهه شطر السماء وضحِكَ فقال له الملك أيُّ محل للضحك في هذه الحال التي أنتَ عليها فقال الغلام تلك ضحكة دلال الأطفال على أبويهما وماذا بعدُ فهذه الدعوى قد أصبحت بين يدي القاضي والعدالةُ إنما تطلب من الملوك والآن فإن أبي وأمي قد أسلماني إلى التلف ورضيا أن يُراقَ دمي بما نالاه من حطام الدنيا، والقاضي أفتى بحل دمي والملك يرى هلاكي لِبُرْءِ نفسه من علتها إذن لم يبقَ لي هُناك ملجأ إلا الله الذي لا ملجأ للمظلوم سواه. وأنشد:

بيت

إلى الله أشكو منكَ ما قد ينوبني وأنت رجائي في الخطوب ومَوْئِلي

فرقَّ له قلبُ الملك واغرورقت عيناه بالدموع وقال: يالله إن الأَوْلى بي أن أهلك بعلتي على أن أُريق دمَ مثل هذا الغلام البريء وضمه إليه وقبَّله

بين عينيه ونفحه بهدية نفيسة وأطلق سَراحه فقيل إنه لم يمض أسبوع على ذلك الملك حتى منَّ الله عليه بالشفاء. شعر على سبيل المثل.

قطعة

مـا زلـت أذكـر بيتـا قالـه لبـق ... قـد كـان بـالأمس فيَّـالاً على النيـلِ

يـا حـاطماً نملـةً لم تـدرِ حالتَهـا ... من تحت رجلك إحذَرْ وطأةَ الفيـلِ

٢٣ – حكاية

أبقَ عبدٌ لعمرو بن الليث فتعقبه ناسٌ وردوه إليه وكان لأحد الوزراء غرضٌ مَعَه فأشارَ بقتله حتى لا يفعلَ أحد من العبيد فَعلتَه. فقبَّل العبدُ الأرض بين يدي عمرو وقال:

بيت

مهـما يكـن فـيلكنْ مـا دمـتَ تـرضى فـما

للعبـد دعـوى عـلى عـدلِ مَليـكِ الأنـامْ

وحيثُ إني قد تربيتُ بنعمةِ هذا البيت فلا أُريدُ أن تؤخذ بدمي يومَ القيامة وإذا كان لا بُدَّ من قتل هذا العبدِ فاقتلْه بتأويل شرعي حتى لاتؤاخذ به يومَ القيامة، فقال الملك: وكيف يكون التأويلُ فقال: مرني بقتل الوزير

واقتصَّ مني به فيكونُ عندئذٍ قتلُك لي بحق، فضحك الملك وقال الوزير: ما رأيك في هذه المصلحة؟ فقال: أيها الملك اعتقْ ابن الزنا بحق تُربةِ أبيكَ حتى لا أقعَ في البلاء وأحمِل خطيئتَه إذ لم أعتبر بقول الحكماء حيث قالوا:

قطعة

جَريتَ في الحرب مَعْ رامي السهامِ لـذا
عرَّضـت رأسـك جهـلاً منـك للتلـفِ
فـإن تكـنْ راميـاً سـهماً بوجـهِ عِـدىً
فـلا تقـِفْ أبـداً في موضـعِ الهـدَفِ

٢٤ - حكاية

كان لملك [زوزنَ] محاسبٌ كريم النفس حسَنُ المحضَر يَخدم مَن يأتي إليه وإذا غاب عنه يُثني عليه واتفق أن بدرَتْ منه بادرة جاءت غيرَ مقبولة بنظر الملك، فأمر بمصادرةِ ماله ومعاقبته وكان له فضل على موظفي السجن فاعترفوا له بذلك الفضل فرفَقوا به ولاطفوه ولم يروا من المروءة أن يعاقبوه ويزجروه.

قطعة

إذا رمتَ صلحاً مَعْ عدوك فالقَه   بصفح عن الماضي ولا تلحُه عتبا
وقولُـكَ مجـراه اللسانُ فأَحِلْـهِ   وإن مر فاَجَّعل شرُ ْبَه سائغاً عذباً

وكان مارتبه عليه الملك لم يستطع أداءه فلبث في السجن مدة بسبب ما تبقَّى عليه. وبينا هو على تلك الحالِ إذ ورد عليه خُفيةً كتابٌ من أحد ملوك تلك النواحي يقول له فيه: إن ملوك ذلك الطرف لم يعرفوا للعظمة قدراً ولا للعزة قيمةً، وإن فلاناً أحسنَ الله عواقبه إذا كلَّف خاطره العزيز فوجه التفاته إلينا فسيجدُ مِنا السعي التامَ لرعايةِ خاطره لأن أعيانَ هذه المملكة بثاقب نظره يفتخرون وهم لجواب الرسالة منتظرون. فلما وقف السيدُ على هذا الخبر فكَّر في الخطر فرأى من الأصلح أن يُعطي جواباً مختصراً فخطَّه على ظهر الرسالة وبعثه مع حاملها، واطلع على الحالة أحدُ ذوي العلاقة بالملك فأعلمه بالأمر وقال: إن فلاناً السجينَ له مراسلة مع ملوك النواحي فغضب الملك وأمر بالكشف عن هذا الخبر فقبضوا على القاصد وقرأوا ما خُط على ظهر الرسالة فإذا هو: إن حسن ظن الأعيان بهذا العبد يزيد عن الحد وما أمروا به مُشرِّف لي ولكنْ قبولُه ليس بإمكاني لأنني لا يمكنني أن أكونَ عديم الوفاء لولي نعمتي لأتفه سبب تكدَّرَ فيه خاطري. حيث قالوا:

بيت

مَـن تجـنِ إنعامَـه في كـل آونـةٍ فاعذرْه إن مرةً في عمره ظلمك

فأُعجب الملك برعايته لحقه فخلعَ عليه وحباه بإنعامه واعتذر إليه قائلاً : لقد أخطأتُ بحقك حيث آذيتك بلا ذنب جنيتَه فقال : أيها الملك إن عبدك لايرى هذه الحالةَ خطيئةً منك فربما أن تقدير الله هكذا كان بالذي وصل إلى العبد مِنْ مكروه، فحصولُهُ إذن على يدك أولى لما لَكَ على هذا العبد من الأيادي المثلى . وقديماً قالت الحكماء .

رجز

لا تأسَ إنْ نالكَ مِنْ خلقٍ ضررْ ما النفعُ والضرُّ بمقدورِ البشرْ
أو مِنْ عدوٍ أو صديقٍ فاعلما مقلِّبُ القلوبِ جبار السما
وإن تر السهمَ عنِ القوسِ صدَرْ فباريء الكونِ رمَاه لا الوَتَرْ

٢٥ – حكاية

أمر أحد ملوك العرب ذوي العلاقة بديوانه أن يضاعفوا لفلان أجرته حيث إنه مترصدٌ للأمر ملازم للديوان دون سائر الخدم، فإنهم باللهو

واللعب مشغولون، وبأداء الخدمة متهاونون، فسمع بذلك أحد العارفين فقال: علُو درجات العبيد بحضرة الحق عز وجل على هذا المثل.

قطعة

إذا زرت مَلْكاً في صباحين سائلاً ... لا بد في الأخرى سيشَملكُ العطفُ
وهل تُحرَمُ العبَّادُ من فيض جودهِ ... تعالى ومنه الجود يُسْأَلُ واللطفُ

قطعة

بامتثال الأمر نُجحٌ وعُلا ... وبترك الأمر حرمانٌ وذُلُّ
كل مَن سارَ بنهج لاحبٍ ... بمدى الخدمةِ لابد يُجَلُّ

٢٦ - حكاية

يُروى أن ظالماً كان يشتري الحطبَ من الفقراء بالغبن ويبيعه للأغنياء بتطفيف الوزن، فمر به رجل صالح وقال له:

بيت

أعقربٌ أنتَ مَن تلقاه تلسعهُ ... أمْ بومةٌ حيث حلّتْ نابنا العطبُ

قطعة

أتبـــدي كثـــيراً مـــن قـــواكَ أمامنـــا

وليست لتبدو عند مَن يـسمعُ النجـوى

فإيـــاك مـــن ظلـــم العبـــاد فـــإنما

إلى الله مـن أكبـادهم تـصعد الـشكوى

فلم يَرُقْ للظالم هذا الكـلامُ فـاكفهرَّ وجهـه ولـوى عنـه عنُقَه وأخذتـه العـزة بـالإثم . وفي ذات ليلـة طـارت شرارة مـن مطبخـه ووقعـت بمخـزن الحطب، فشبَّت النـار والتهمـت كـلَّ مايملـك، حتـى إنـه قعـد بعـد الفـراش الـوثير عـلى حـرارة الرمـاد ويالـسوء المـصير . واتفـق أن مر بـه ذلـك الرجـل الصالح فسمعه يقول لأصحابه : لم أدر من أين جاءت هذه النار فوقعت على قصري فأحرقته؟ فأجابه : جاءت من دخان قلوب الفقراء .

قطعة

حـــذارِ بـــأنْ تُثـــيرَ دخـــانَ قلـــبٍ   جـــريحٍ فهْـــوَ يعلـــو بالـــشكاةِ

ولا تنكـأ إذنْ مـا اسـتطعتَ قلبـاً   فقلـبُ الكـونِ يَغـضبُ لـلأذاةِ

حكمة : يقال إنها كانت مكتوبة على تاج كيخسرو :

قطعة

دهـــورٌ وآمـــادٌ تمـــر مُغِـــذَّةً ... علـى رأسـنا فيهـا شـعوبٌ وتخطـرُ
ورثنا عن الأسـلاف مُلكـاً موطَّـداً ... ونورثُـــه أبناءَنـــا حـــينَ نُقـــبَرُ

٢٧ - حكاية

يحكـى أن رجـلاً بلـغ النهايـة في فـن المـصارعة، فحـذَق في ذلـك الفـن النفيس ثلثمائةٍ وستينَ باباً مما يَحق له أن يتطاول بها على الأقـران وفي كـل يـوم كان يلعب بواحد منها، وقد تعلق قلبه بأحد تلامذتـه لجمالـه، فعلمـه كـلَّ مـا يعرفه إلا باباً واحداً فقد ضَنَّ عليه به وتهاون بتعليمـه إيـاه، وحاصـل القـول أن التلميذ بلغ الغاية في القوة والمصارعة ولم يكن لأحد مـن نظرائـه أن يجـرؤ على مجاراته في ذلك المضمار، حتى إنه لازدهائـه بنفـسه واعتـداده بقوتـه قـال مرةً بحضرة الملك : إذا كان للأستاذ فـضلٌ عـليَّ فلـم يكـن إلا مـن جهـة كـبر السن وحق التربية وإلا فلـستُ أقـلَّ منـه قـوةً وأنـا وهـو في الـصنعة كفـرسي رهان، فلـم يقع منه هذا الكلامُ الذي يَدلُ عـلى قلـة الأدب عنـد الملـك موقـعَ القبول فأمر بأن يتصارعا، فعُينَ لهما محلٌ متسعٌ حضره أركانُ الدولـة وأعيـانُ المملكة : فأقبل ذلك الفتى وكأنه الفيـل المهتـاج وتقـدم بعزيمـة ثابتـة فلـو أن جبلاً من الحديد قابله لاقتلعه من أساسه . علم الأستاذ عندئذ أنْ لا طاقة لـه بتلميذه فاشتبك معه من ذلك الباب الغريب الذي كـان قـد أخفـاه عنـه فلـم

يعرف الفتى كيف يُدافع عن نفسه فخطفه الأستاذُ بكلتا يديه ورفعه فوق رأسه وجلد به الأرض، فهتف الحاضرون هتُافَ الاستحسان. فأمر الملك أن يُخلع على الأستاذ وأن يوبخ التلميذ ويلام. ومما قيل له: إنك حاولت مقاومة مربيك وولي نعمتك ومع ذلك لم تصل إلى غاية. فقال التلميذ أيها الملك إن الأستاذ لم ينل الظفر عليَّ ببأسه وقوته ولكنَّ باباً واحداً في فن المصارعة كان أخفاه عني واليوم من ذلك الباب انتهز الفرصة فتغلب عليَّ. فقال الأستاذ: أجل لمثل هذا اليوم احتفظت به لنفسي: فقد قالت الحكماء «لاتُظهر لصديقك كلَّ قوتك لتقدرَ عليه إذا أصبح في يوم ما عدواً لك» أو لم تسمع ما قاله ذلك الذي لاقى جفاءً ممن أدبه وأحسن تربيته.

قطعة

إما الوفاء خيال لا وجودَ له	أو أنه لم يقم يوماً به أحدُ
على الرماية ما دربت أيَّ فتىً	لذاك لم تُصمِ قلبي بالسهام يَدُ

٢٨ – حكاية

كان أحد المتجردين من الفقراء منقطعاً عن الناس بطرف الصحراء فمرَّ عليه ذات يوم ملك بلاده فلم يرفع الفقير إليه رأسه ولم يلتفت إليه

لتجرده إلى ربه وفراغ قلبه من الدنيا فهزت الملك سطوةُ السلطنة فغضب على ذلك الفقير وقال: هذه الطائفة الملتفة بالخرق كبهيمة الأنعام ليس لها قابلية ولاتعرف الإنسانية. وبادره الوزير قائلاً: أيها الدرويش مَرَّ بكَ ملك الزمان فلماذا لم تقفْ له برسم الخدمة ولم تقم بشرط الأدب والحشمة؟ فأجابه الدرويش: قل للملك أنْ يتوقع الخدمة ممن يتوقع منه النعمة واعلم أيضاً أن الملوكَ وُجدتْ لأجل حفظ الرعية وما وجدت الرعية لأجل طاعة الملوك.

قطعة

لحفظ نفوس البائسين ملوكُها   وإن رتعت في ظل نعمةِ مَولاها
وما غنم الراعي أعدَّت لأجلِه   ولكنما الرعي أُعِدَّ ليرعاها

قطعة

بنعيمٍ بعضُ الورى وكثيرٌ   مَن بهم ضاقَ في الحياةِ المجالُ
إنما الحكم للبِلى وبقاءُ الـ   ـمرء حياً على الزمان مُحالُ
فاطلب الفرقَ بين مَلْك وعبدٍ   هل ترى حين تنتهي الآجالُ
يتساوى أخو الغنى وأخو الفقـ   ـر إذا كان للتراب المآلُ

فتلقى الملك كلامَ الدرويش بالقبول وقال له : تمنَّ عليَّ ماتريد . فقال الدرويش : إن كلَّ ما أتمناه ألا تُثقِّل عليَّ مرة أخرى فقال الملك انفحني بنصيحة فقال :

بيت

بملكِكَ فانعم ما حييت ففي غد إلى وارث لابد تُسلمُه قسرا

٢٩ - حكاية

حضر أحدُ الوزراء أمام ذي النون المصري قُدِّسَ سرُّهُ وطلب منه أن يُمدَّه بالهمة فقال : أنا ياسيدي مشغولٌ ليلاً ونهاراً بخدمة السلطان وإن ما أرجوه من خيره دون ما أخشاه من عقوبته . فبكى ذو النون وقال : لو خفتُ أنا من الله مثلَ خوفك من السلطان لأصبحتُ من الصديقين .

٣٠ - حكاية

أمر ملكٌ بقتل إنسان بريء فقال : أيها الملك لا تطلبْ أذيةَ نفسك بسبب غضبك عليَّ فقال الملك : وكيف ذلك فقال : إن هذه العقوبةَ ستمر عني بنفسٍ واحدٍ أَلفظُهُ ولكن أثرَها سوف يبقى عليك خالداً أبدَ الدهر .

رباعية

كالريح أعمارُنا مرتْ وقد ذهبتْ ... بالحلو والمرِّ والمكروهِ والحسنِ
ياظالماً خال نيرَ الظلم دام بنا ... عليك دامَ وعنا مرَّ كالوسَنِ

ولقد أثرت نصيحته هذه بالملك فعفا عن إراقةِ دَمه .

٣١ - حكاية

كان وزراءُ أنو شروانَ يُديرون الرأيَ بمهمة عويصة من مصالح المملكة وكل واحد منهم أبدى رأيه بها على مقدار ما يعلم وكذلك الملك أبدى بها فكرة فوقع اختيارُ بزر جمهر على رأي الملك فقال له الوزراءُ سراً ماهي المزيةُ التي رأيتَها برأي الملك حتى رجَّحت رأيه على سائر الحكماء فقال : حيثُ إن العاقبةَ لم تكن معلومةً بعدُ ورأي الجميع تحت مشيئة الله إما أن يجيءَ خطأً أَو صواباً إذن فموافقةُ رأي الملك أولى، حتى إذا جاء على غير الصواب نكونُ عندئذٍ قد أَمِنا من معاتبته بعلةِ متابعته .

قطعة

حذارِ خلافَ رأي الملك تبغي ... فما لَك إن أردتَ الموتَ عُذرُ
إذا قال : النهارُ اليومَ ليلٌ ... فقلْ ليلٌ به نجمٌ وبدرُ

٣٢ – حكاية

دخل إلى البلدة مع قافلة الحجاز دجالٌ ضفر شَعرَه كما يضفره العَلويونَ وادعى أنه علَوي آبَ من الحج وقد ألقى قصيدة بين يدي الملك نسبها لنفسه فقال أحدُ ندماء الملك وكان في تلك الآونة قافلاً من السفر: أنا في عيد الأضحى رأيتُه بالبصرة فكيف أصبحَ حاجاً، وقال آخرُ أبوه كان نصرانياً بمدينة ملاطِيةَ فكيف صار علَوياً ولما بحثوا عن القصيدة وجدوها بديوان الشاعر [أنوري]. فأمرَ الملك عندئذٍ بحبسه ونفيه لاحتياله وكذبه. فقال الدجال: يا ملك الزمان بقي لي أن أقول كلمة فإن لم تكن حقاً فعاقبني بالعقوبة التي أستحقها فقال الملك: وما تلك فقال:

قطعة

إذا ما غريب رام خاثرك القَهُ ... غرفتي مْاء وطفف ْ من الأخرى

ولا تنزعج من لغو عبد حَقَرْتَهُ ... فأكذبُ هذي الناس من جرَّبَ الدهرا

فتبسم الملك وقال: لم تنطِقْ طول حياتك بأصدقَ من هذا الكلام. وأمر بأن يبلِّغوه مأمولَه ليذهب من عنده فرحاً مسروراً.

٣٣ - حكاية

رووا أن أحد الوزراء كان يرحم الرعايا ويرغبُ في صلاحهم واتفق أن أَوثقَه الملك في نقمة فبذل الجميعُ لاستخلاصه الهمة . والموكلون بمعاقبته عاملوه باللطف والإحسان، والأعيانُ أثنوا على حسن سيرته عند السلطان، حتى عفا الملك عن خطيئته وأغضى عن زلته . فاطَّلَعَ أحدُ العارفين على تلك الحال فقال :

قطعة

لك الخير كل الخير لو بعتَ جنة ... وِراثـةَ جـدٍ في رضـاءِ صـديقِ

وبذلُكَ ما تحويه أفضلُ مـا يرى ... على ما يَسُرُّ الصحبَ كل شروقِ

فلا تمنع المعروفَ عَنْ غيرِ أهلِهِ ... وإن كـانَ كلبـاً لاهِثـاً بطريـقِ

٣٤ - حكاية

جاء أحد أبناء [هارون الرشيد] إلى أبيه مُغضباً وقال له : إن ابن فلان الشرطي شتمني بأمي فقال هارون لأركان دولته : ماذا يكون جزاء هذا؟ فأشار أحدهم بقتله وآخر بقطع لسانه وثالث بالمصادرة والنفي فقال هارون

لولده : أي بني، من المروءة أن تعفو عنه فإذا لم تستطع فاشتمه كما شتمك . أما إذا تجاوزتَ حد الشتم إلى الرغبة في الانتقام فعندئذٍ يكون الظلم من جهتنا وتقام الدعوى علينا من قبل الخصم .

قطعة

وليس شجاعاً حازماً عند ذي الحجا فتىً يطلبُ الفيل المَغيظَ يُصاولُهْ
ولكنه من لو مِنَ الغيظِ ينشوي ا قال إلا الحق أو نامَ باطلُهْ

قطعة

لئيمُ الطبع سبَّ فتى نبيلاً فأعرض عن بذاءته وأغضى
وقال جهلتَ أقبحَ ما بنفسي فلستُ بكاشفٍ عيبي لترضى

٣٥ - حكاية

كنت في سفينة مع طائفة من الكبراء فغرق زورق من خلفنا ووقع منه أخوانِ في دَوران التيار فقال أحدهم للملاح : خلِّصْ هذين الأخوين ولك مني مائةُ دينار . فما أنقذ الملاحُ أحدَهما حتى هلك الآخر . فقلتُ : حيث نفِدَ عمره حصل التواني بإنقاذه . فتبسم الملاح وقال : إن ما قلته صحيحٌ، غير أن ميلَ

خاطري لخلاص هذا كان أكثر والسببُ في ذلك أنني كنت مرة منقطعاً في الصحراء فحملني هذا على جمله وأما ذاك فذقتُ منه سوطاً لا أنساه ضربني به في عهد صِباه، فقلت : صدق الله العظيم «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها»

قطعة

إيـاكَ أنْ تخـدشَ قلـبَ امـرىء ـذا طريـق شـوكهُ مُتلـِف
وأسـعِفِ البـائسَ إن تلقَـهُ فـربما احتجـتَ لمـنْ يُـسعِف

٣٦ – حكاية

كان أخوان أحدهما بخدمة السلطان والآخرُ يسعى لخبزه بكد يمينه وذات مرة قال الغني للفقير : لماذا لم تخدم السلطان حتى تستريحَ من مشقة العمل؟ فأجابه الفقيرُ وأنت لماذا لاتعمل حتى تخلصَ من مذلة الخدمة وقد قالت الحكماء : لأنْ تأكل خبزكَ وتستريح خيرٌ من أن تتمنطق بالذهب وتقف ذليلاً بخدمة الأمير .

بيت

ـع الكف في جيرٍ ولا ترضَ عَقدهَا
عـلى الـصدرِ في ذلٍ أمـامَ أمـير

قطعة

إلى متى تقطعُ العمرَ العزيزَ سُدى   لحاجــة لم تُنَــلْ غاياتُهــا أبــدا
بلقمةِ الخبز فاقنعْ إن أردتَ عُـلا   ولا تَــذِلَّ لِلْمُلْــكِ تبتغيــه جَــدا

٣٧ - حكاية

أتـى رجـل ببشارة إلى [أنـو شروان العـادل] فقـال : إن الله عـز وجـل أهلك عدوك فلاناً . فقال له : أطرَقَ سمعك أنني سأخلد بعد موته .

بيت

أيفرحنـا مـوت العـداة ولم نكـن   بموتهم نحيا على الـدهر سرمـدا

٣٨ - حكاية

تكلم جماعةٌ من الحكماء بحضرة كسرى وكـان بزرجمهـر سـاكتاً فقـالوا له : لماذا لم تشتركْ معنـا في هـذا البحـث؟ فقـال : الـوزراء كالأطبـاء والطبيـب لايُعطي الدواء إلا للعليل، وحيث بان لي أن رأيكم على نهج الصواب فليس من الحكمة إذن أن أشترك معكم في ذلك الخطاب .

شعر

إذا عمــلي يجــيء بــلا فــضولٍ فــمالي عنــده في القــول حكــمُ
وإن أبـصرتُ أعمـى حـول بئـرٍ ومــا نبَّهتُــه فالــصمتُ إثــمُ

٣٩ – حكاية

لما سُلِّمَ مُلكُ مصرَ لهارون الرشيد قال: إنني خلافاً لذلك الطاغية الذي اغتر بمُلك مصرَ فادعى الألوهية لا أهب هذه إلا لأخس عبيدي وكان له عبدٌ أسودُ بليدٌ اسمه (خَصيب) فاختاره لملك مصرَ وقيل إن عقله كان ناقصاً وكفاءته محدودة. فجاء إليه جماعة من الزراع يشكون من الضرر الذي لحق مزروعاتهم فقالوا: لقد جاء المطرُ في غير أوانه فأتلف القطنَ الذي زرعناه بأطراف النيل فقال: الأمر سهل فيلزم أن تعتاضوا عنه بزراعة الصوف فسمعه أحد النبهاء فقال:

قطعة

فلو أن رزق المرء يزداد بالحجا لما نال ذو جهل فتيلاً من الرزقِ
ولكــن رزق الجــاهلين ميــسرٌ لذا احتار فكر النابهين من الخلقِ

رجز

بــالعلم لا تُحــرز نَيْــلَ الجــاهِ إلا بتأييـــــد مــــن الإلـــــهِ
فكــم جهــولٍ حظــه ســعيدُ وكــم علــيمٍ حظــه منكـــودُ
ذو الكيميا يقضي بوجه شاحبِ والبُلْـه تلقـى الكنـز في الخرائـب

٤٠ – حكاية

أحضروا لأحد الملوك جاريةً صينيةً فأراد وهو في حالـةٍ مـن الـسكر أن يواقعها فمانعتهُ الجاريةُ فغضب الملـك ووهبهـا لعبـد أسـودَ مـن عبيـده شـفَتُه العُليـا جـاوزت أرنبـة أنفـه والـسفلى تهـدَّلَتْ تحـتَ جيبـهِ، هيكـلُ المـسخ في صورته، و |صَخرةُ| الجنيُّ يرتعد فرقاً من طلعته، وعـين القطـران تجـري مـن صِنان إبطيه وسُرتِه .

بيت

كقــبح محيــاه إلى الحــشر لا يُــرى كما لايُـرى يومـاً جميـلٌ كيوسـفِ

قطعة

قبحٌ غريـبٌ عجيـبٌ لا نظـيرَ لـه تعيـــا بأوصـــافه أفـــذاذُ تبريـــزِ
من نـتن إبطيـه بـاللهِ اسـتعذْ فهـما كالفيح من جيفةٍ في شمسٍ تمـوزِ

وروي أن الأسودَ في تلك الآونة مالت نفسه إليها فغلبته شهوته وحرَّكته غريزته فافتض بكارتها وعند الصباح طلب الملكُ الجاريةَ فلم يجدها فأخبروه بما جرى فتملكه الغضبُ وأمرَ بأن يحكم وثاق رجلي الأسودِ والجارية ويديهما وأن يُرميا من أعلى الجَوْسق إلى أسفل الخندقِ. وكان أحد الوزراء حسنَ المحضر فقبَّل الأرضَ بين يدي الملك مستشفعاً وقال: الأسودُ في هذه الحالة ياسيدي لم يكن مخطئاً إذ سائر العبيد والخدم على المواهب الملوكية مُعتادون فقال الملك: ما كان عليه لو استبقاها ليلتها. فقال: أيها الملك أما سمعت ما قالوا:

قطعة

لو أبصرتْ عينَ ماءٍ عينُ ذي ظمأ وقد رأى حولَها فيلاً أيمتنعُ
وملحدٍ صائمٍ جوعانَ منفردٍ والزادُ في يده هل عنه تَرتفعُ

وسُرِّي عن الملك بهذه اللطيفة فقال: وهبتُ لك الأسودَ أما الجارية فماذا أصنع بها؟ فقال: هَبْها كذلك للأسود فهي تليق له لأنها فضلةُ طعامه.

قطعة

أتمتد مُّن ملك يد لتُرُ نجةٍ على الروثِ طاحتْ وهو بالعين يَنظرُ
وهل يستسيغُ الماء في الكوز ظامئ وقد عَبَّ منه نحوَ ثُلْثيهِ أَبخرُ

٤١ - حكاية

سألوا الأسكندر الرومي: بماذا ملكت ديار المغرب والمشرق وقد كان الملوك القدماء أكثر منك مالاً وأوسع مُلكاً وأطولَ عمراً وأعز جنداً ولم يتيسْر لأولئك من الفتح ماتيسر لك. فقال: بعون الله تعالى، كلُّ مملكة حُزتها ما آذيتُ رعيتها ولا جرى ذِكرُ ملوكها على لساني إلا بالخير.

بيت

ما إن يُعَدُّ عظيماً عندَ ذي أدبٍ   فتىً بفضلِ عظيمٍ ليس يعترفُ

قطعة

بعد موتي لم يبقَ أمري ونهيي   وحظوظي وتاج عزي وملكي

فاذكر الغابرينَ بالخير كي يَبْـ   ـقى لكَ الذكرُ خالداً بعدَ هُلْكِ

الباب الثاني في أخلاق الفقراء

١ – حكاية

قال رجلٌ من الكبراء لأحد العُبَّاد : ماذا تقول بحق فلان العابد فإن ناساً ألحُّوا عليه بالطعن فقال : ما رأيتُ عيباً في ظاهره وليس عندي علم بما في باطنه .

قطعة

عُدَّ في الصالحين من بان منه — زيُّ أهل الصلاح في غير طعنِ
أفتدري ماذا يُكنُّ وظلمٌ — أن تجاسَ الديارُ من دون إذنِ

٢ – حكاية

رأيتُ درويشاً واضعاً رأسه على عتبةِ الكعبة وقد مَرَّغ وجهه على الثرى وهو يتضرع ويقول : ياغفورُ ويا رحيمُ أنتَ تعلم بما يليق بك مما يأتي به الظلومُ الجهول .

قطعة

قدمتُ عذري عن التقصير يا أملي   إذ لا اعتمادَ على نُسكي وطاعاتي
تاب العصاةُ وأما العارفونَ فقد   تَبَرَّأوا لك من تلك العباداتِ

العابدون يطلبون منك ثوابَ طاعتهم والتجار يطلبون ثمنَ بضاعتهم وأنا العبد جئتك بأملي لا بطاعتي وبذلي واحتياجي لا بتجارتي. إصنع بي ما أنتَ أهلُه ولا تفعل بي ما أنا أهلُه.

بيت

ن تعفُ أو رُمتَ قتلي لا إرادةَ لي   فالرأسُ منيَ مَحنيٌّ على البابِ

قطعة

على باب بيت الله أبصرت سائلاً   يقول ويُذري الدمعَ سحاً من الكرب
إلَهيَ لا أبغي قبولاً لطاعتي   فَجُرَّ يراعَ العفو منك على ذنبي

٣ – حكاية

رأيت عبد القادر الكيلاني قُدِّسَ سره في حرم الكعبة واضعاً رأسَه على الحصا وهو يقول: إلهي اعف عني وإن كنتُ مستوجباً العقوبةَ فاحشرني يوم القيامة أعمى حتى لا أذوب خجلاً من رؤية وجوه الصالحين.

قطعة

أُعفِّـرُ وجهـي كلـما هبـت الـصَّبا على التربِ كي ترضى لعجزي وتقصيري
فيا شـاغلاً قلبي بـذكراك يـا تـرى أعنـدكَ لي ذِكـرى تُـديمُ سروري

٤ – حكاية

دخل لصٌّ إلى بيتِ عابدٍ، وبعد البحث الكثير ضاق صدره لأنه لم يجد ما يسرقُه، ولما فطِنَ لَهُ العابد ألقى البساطَ الذي يَنامُ عليه في طريقه لئلا يعودَ محروماً.

قطعة

السالكو طريقَ أهلِ الهدى لم ينكأوا حتى قلوبَ العدى
وأنتَ ما دمت كذئبٍ على أخيكَ لن تَبلُغَ هذا المدى

فمودة إخوان الصفا سواءٌ في الوجه وفي القفا إذ ليسوا كمن أمامكَ يستميحك عُرفَك وفي قفاك يروم حتفَك.

بيت

في الوجهِ كالحمَل الوديع وفي القفا كالـذئب لايبقـي عليـك ولايـذرْ

بيت

مَن عَدَّ عيبَ الناس عندك فَهْو عَنْ إحـصاءِ عيبـكَ عنـدهمْ لايُحْجِـمُ

٥ – حكاية

اتفق على السياحة جماعةٌ من المتجردين وعزمتُ على مشاركتهم في السراء والضراء ولما طلبتُ مرافقتهم امتنعوا عن تحقيق رغبتي فقلتُ : إن من الغريب في أخلاق الكبراء أن يُعرضوا بوجههم عن مرافقة الفقراء وأن يغفلوا عن الاستفادة من صحبتهم وأنا أُحس أن في نفسي من القوة والمقدرة ما أستطيع به أن أخدمَ إخواني بحذق وإخلاص وألاّ أكونَ عالةً عليهم .

شعر عربي الأصل

إن لم أكـن راكـبَ المـواشي أسـعى لكـم حامـلَ الغـواشي

فقال لي أحدهملا يضق صدرُك بما سمعتَ فقد جاء إلينا منذ أيام لصٌ بصورةِ الدراويش لا بصفتهم وانتظمَ بسلك صحبتنا .

بيت

مــاذا وراء ثيابــه يُخفــي الفتــى　　　يدري بمضمون الكتاب الكاتبُ

وحيث إن شأن الدراويش حُسن الظن بالناس ما فطنا لسوء قصده وقبلناه رفيقاً لنا.

بيت

دلقٌ مِرآة حالِ العارفينَ وذا　　　يكفي رياءً لَهُمْ في أعين الناسِ

قطعة

كُن عاملاً مُخلصاً واختر لنفسك ما

تَهوى لَبوساً وضعْ تاجاً على الراسِ

ليسَ التصوفُ لبسَ الصوف تَحسَبُه

فالبسْ حريراً ولَيِّن قلبَكَ القاسي

قطعة

ألزهدُ في ترك هوى النفوس　　　ولم يكن بالزهد في اللَّبوسِ

فالدرع من ملابس الشجعان　　　والسيف لا يصلح للجبانِ

وصفوة القول أننا سرنا في يوم من الأيام حتى داهمنا الظلامُ فبتنا تحتَ قلعة هناك، أما اللص عديم التوفيق فحمل إبريق رفيقٍ لنا وذهبَ للطهارة ولم ندرِ أنَّه تأهبَ للغارة .

بيت

أنظر فذا عابدٌ يُزهى بخرقته | وكسوةُ (البيت) قد تُزهى بها الحمُر

ولما توارى عن نظر أولئك الفقراءِ صَعِد إلى برج وفازَ منه بسرقةِ دُرج وما لاح النهارُ حتى أَوغل ذلك المظلمُ القلبِ في القفار وأما الرِّفاقُ الأبرياءُ ففي الصباح سيقوا جميعاً إلى القلعة وزُجَّ بهم في غَيابة السجن ومن ذلك التاريخ قلنا بترك الصحبة ولزمنا طريق العزلة وأيقنا أن (السلامة في الوَحدةِ) .

قطعة

إذا مابدت من فسل قوم مثالبٌ | فكل كبير أو صغير يذمُّ
وإما عدا ثور على الزرع خلسةً | فثيران ذاك الحقل طراً ستُظلمُ

فقلت المنة لله عز وجل، إذ لم أبق محروماً من فوائد الفقراء ولئن صرفت عن صحبتهم فقد استفدت من قصتهم فعلى كل غرٍ مثلي أن يعمل بهذه النصيحة مادام على قيد الحياة .

قطعة

إذا حل في نادي كرام ملوثٌ　　فكل ذكي عنه في ألم ينبو
فبِركة ماء الوردِ مَعْ طيب عَرفها　　تُنَجَّسُ إنْ يوماً بها فَطَسَ الكلبُ

٦ – حكاية

أضاف أحدُ الملوك زاهداً فلما جلسوا على المائدة أكل الزاهدُ أقلَّ من استطاعتهِ وحينَ قاموا للصلاة صلَّى أكثرَ من عادته حتى يَظنوا به الصلاح زيادةً عن طبيعته .

بيت

دليلَي لايُفضي إلى [البيت] دربنا　　وخوفي إلى يهماءَ يفضي بنا الدربُ

ولما عاد إلى منزله طلب السُّفَرَةَ لتناولِ الطعام وكان له ابن ذو فراسة فقال : أي أبتِ أما أكلتَ شيئاً في دعوة السلطان فأجابه لم آكل كفايتي بنظر أولئك لئلا يظنوا أن تلك عادتي فقال الولد لأبيه إقضِ الصلاةَ أيضاً لأنك لم تفعل شيئاً كعادتك .

قطعة

أَتُظهِـرُ بـين النـاسِ فـضلاً مُزَيَّفـا

وتخفي الذي يُخزيكَ من عيبك المزري

فيـا أيهـا المغـرورُ مـاذا ستـشتري

بزائـفِ هـذا النقـدِ في أرْذل العُمْـرِ

٧ – حكاية

لا أزال أذكر أنني كنتُ في عهد طفولتي مولعاً بإحياء الأسحار زاهـداً متقياً وفي ذات ليلة قعدتُ لخدمةِ أبي والمصحف الشريف في حجري أقرأ منه ما شاء الله أن أقرأ ولم ينطبق لي جَفنٌ على جَفن. وكان الجماعة الذين أتوا للسمر عندنا قد غرقوا بنومهم فقلت لأبي: إن واحداً من هؤلاء لم يرفع رأسه ولم يتهجدْ بركعتين ولقد استغرقوا في نومهم فكأنما هم أموات. فقال لي: يا روحَ أبيكَ أنت أيضاً لو أنك نمتَ لكان خيراً لك من أن تمزق جلودَ خلق الله.

قطعة

ما إن يَرى المدعي للناس مَوهبةً	لأنه من غرور النفس في حُجُبِ
ولـو رآهـم بنـور الله كـان رَأى	لعجـزه نفـسَه في أحْقـرِ الرُّتَـبِ

٨ – حكاية

أثنى جماعةٌ في مَحفل على أحد الكبراء فأشادوا بأوصافه الجميلة وبالغوا بإطرائه . فرفعَ إليهم رأسَه وقال أنا نفسي الذي أعرفُ مَنْ أنا .

شعر عربي الأصل

كفيتَ أذىً يامن تَعُدُّ محاسني علانيتي هذا ولم تدرِ باطني

قطعة

لي ظاهرٌ حَسنٌ في العين منظرهُ

وباطنٌ قُبْحُهُ ما زالَ من شُغُلي

يَستحسِنُ الناسُ في الطاووسِ رَونَقَهُ

وقبحُ رجليه يدعوه إلى الخجَلِ

٩ – حكاية

دَخل جامعَ دمشق رجلٌ من صُلحاءِ جبل لبنان وكانت له في بلاد العرب مقاماتٌ مذكورة وكراماتٌ مشهورة . ولما جلس على طرف بركة [الكلاسة] ليتوضأ زلت قدمُه فوقعَ فيها ولو لم تتداركْه العنايةُ لغرق . وبعد أن أدَّى المصلونَ الصلاةَ المكتوبة قال له أحد الأصحاب : أيها الشيخ عندي مشكلٌ فقال الشيخ وما ذاك . فقال : أذكر أنني كنتُ رأيتُك تمشي على وجه بحر المغرب ولم تبتلَّ لكَ قدم . واليوم كدت تغرق بها لا يزيد عن عمق قامة من الماء فما السرُّ في هذا يا تُرى . فأدخل الشيخ رأسه في جيبه وبعد تأمل طويل رفع إليه رأسَه وقال : ألم تسمعْ ما قاله سيد العالم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم «لي مع الله وقتٌ لا يسعني فيه ملَك مقرب ولا نبي مرسل» ولم يقل كلُّ وقتي كان هكذا . وإلا لما تفرغ لجبريل وميكال ولما بنى بحفصة وزينب وغيرهما بأوقاتٍ أخرى . لأن مشاهدة الأبرار بين التجلي والاستتار تلمُحَ فتختَطَفُ

بيت

بحسنك تُغريني وتطلبُ عصمتي　　　ونارَ الهوى تُذكي وتأمرُ بالتقوى

شعر عربي الأصل

أشـاهدُ مـن أهـوى بغـير وسـيلةٍ — فيلحقنــي شــأنٌ أضــل طريقــا
يـؤجّج نـاراً ثـم يطفـي برشـةٍ — لــذاك تــراني مُحرقــاً وغريقــا

قطعة

قـالوا الفاقـد طفـلٍ لانظـير لـه — في الحسن ياخير من أوذي وقد صبرا
أظهرت من بعد ذاك اليأس معجزةً — يكـاد ينكـر راويهـا لنـا الخـبرا
شممت من إطِيبة |ريحَ القميص وما — أبـصرتَ مـن جـب كنعـان لـه أثـرا
فقـال نحـن كمثـل الـبرق تلمحـه — طوراً خفياً وطوراً يَخْطف البصرا
فتـارةً لا نـرى مـا تحـت أرجلنـا — كالعمي تدرأ عنها بالعصا الخطـرا
وتـارة غـاربُ الأفـلاك مَقعـدُنا — حتـى لَيـزحَمَ فيهـا عزمنـا القـدرا
ولـو جـرت بـاطراد حالنـا لخلـتْ — مـن الحيـاتين كفـي فـاتركوا الهـذرا

١٠ – حكاية

كنتُ مرةً بجامع بعلبكَّ أُقرِّرُ كلماتٍ بقصد الوَعْظِ على جماعة قلوبهم متحجرةٌ ميتةٌ وعقولهم لم تنصرف عن عالم المبنى إلى عالم المعنى فرأيت أن أنفاسيَ الملتهبة لم تجذبهم إلى حظيرة القرب ونارَ روحي المتأججة لم تؤثر في

حطبهم الرطب فتأسفتُ أشدَّ الأسف على ضياع تربيتي فيمن يُضارع الحيوان وعلى وضع مرآتي المجلُوَّة في زاوية العميان ومع كل هذا فقد انفتح عليَّ بابُ المعنى واتَّسع أمامي مجالُ القول في هذه الآية الكريمة «ونحن أقرب إليكم من حبل الوريد» فكنتُ أوصِلُ القول إلى الغرض المرادِ منه عن أقربِ الطرق حتى قلتُ:

قطعة

الله أقربُ من نفسي إليَّ وإنْ نأيتُ عنه وهذا أعجبُ العجبِ
ما حيلتي ولمن أشكو هواه وقد أحاط بي ورماني الهجرُ بالحرَبِ

وبينا كان سكري من خمر هذا الكلام لا يُحدُّ وفضلةُ الكأس لاتزال في اليد إذا بعابر سبيل مرَّ من طرف المجلس فأثَّرت فيه تلك الفضلةُ فانتشى وصاح صيحة ردَّدَ صداها آخرون وأصبح المجلسُ يموجُ بعضُهُ في بعض من الوجد فقلتُ: سبحان الله، البعيدُ حاضرٌ بالخبر والقريبُ غائب لفقد النظر.

قطعة

إذا لم يكن يقوى على الفهم سامعٌ فلا تطلُبِ الإعجاز من متكلم
فهيءْ لميدان الإرادة فُسحةً يُدهدي لك المزجي كراتٍ من الفم

١١ - حكاية

عجزتُ عن السير ليلةً من الليالي في بادية مكة فلم أستطع أن أنقل قدمي لشدة السهر فوضعت رأسي على الثرى لأستريح وقلت للجمَّال انفض يدَك مني .

قطعة

مـاذا تلاقيه أقدامُ الحفاة وقد أعيا البخاتِيَّ طول السير في البيد
لأنْ يعودَ صليبُ العود من لَغَبٍ مثل َالخلال نحيفُ العود قد يُودي

فقال لي : أيها الأخ، الحرمُ أمامك واللصوص وراءك فإذا سرتَ نجوتَ وإذا نمتَ هلكتَ .

بيت

تحت [أم غيلان] ما أحلى الكرى سحرا عند الترحُّل لولا شدةُ الخطرِ

١٢ - حكاية

رأيتُ عابداً على ساحل البحر قد عضَّه النمر وأزمن معه الداءُ وما شُفي بدواء ومع طول مرضه وشدة ألمه كان لا يفتر عن شكر الله تعالى قائلاً : الحمد لله الذي أوقعني بمصيبة لا بمعصية .

قطعة

إذا رمت قتلي يا حبيبي فإنني حقيرٌ وموتي ليس إلا مِنَ الهمِّ
ومالِيَ من ذنب ولا أنا جازعُ ولكنها آسى عليكَ من الغمِّ

١٣ - حكاية

حكوا أن درويشاً ألجأته الضرورةُ إلى أن يسرق بساطاً من بيت صديق له فأمر الحاكم بقطع يده فتشفع له صاحب البساط وقال : أنا بحلٍ مما فعل فقال الحاكم : لا أُعطِّلُ حداً من حدود الشرع لأجل شفاعتك فأجابه صاحبُ البساط : الحق ما حكمت به ولكن ليس كلُّ من يسرق من مال الوقف شيئاً يلزم أن تُقطع يده لأن «الفقير لايملك شيئاً ولا يُملكُ» وكلُّ الفقراء بحاجة لمال الوقف . فملكه الحاكم يد السارق وقال له : أضاقت عليك المسالك حتى لاتسرق إلا من بيت صديق كهذا؟ فقال : أيها الأميرُ ألم تسمع بالمثل القائل «أكنُسْ بيتَ الأصدقاء ولاتَدُقَّ بابَ الأعداء»

بيت

إن عضَّك الجوعُ لاتكسلْ وكن نمراً أغْرِ الأحبةَ واسلخْ جلدَ أعداكا

١٤ – حكاية

رأى أحد الملوك عابداً فقال له : هلا تذكرني أصلاً فأجابه : نعم في الوقت الذي أذهل فيه عن ذكر ربي .

بيت

يسعى لغيرك مطرود لشقوته ومن يرجيك لايسعى إلى أحدِ

١٥ – حكاية

رأى أحد الصلحاء في منامه ملكاً في الجنة وعابداً في النار فسأل : ما السببُ الذي جعل هذا في درجات النعيم وجعل ذاك في دركات الجحيم مع أن الحال بخلاف ما كنا نظن . فقيل له : «الملك لحبه الفقراءَ أصبح في الجنة والعابدُ لحبه الملوكَ أصبح في النار .

قطعة

لا الدلقّ ٪ يجديك نفعاً أو مرقعةٌ مادمتَ من شهوات النفس في خَطَرِ
فدع {كُلاها} من الأوْبارِ تلبسه واستشعر الفقر والبس بِزَّةَ التّتر

١٦ – حكاية

خرجَتْ قافلة من الكوفة تريد الحجاز فرافقها رجلٌ عاري الرأس حافي القدمين طَروبٌ لم يفتر عن الترنم بهذين البيتين .

لستُ بغلاً تحت حملي لا ولم أركبْ بعيرا
لم أكن عبدَ مليك لا ولم أُصبحْ أميرا
الغنى والفقر سيان فما مرا بفكري
جِد سهل أنني في نفسٍ أقطعُ عمري

فقال له راكب جمل أيها الدرويش أين تذهب عُد أدراجك لئلا يُضنيك التعب فتهلك، فلم يلتفت إليه ومشى ضارباً في البادية على قدميه . حتى إذا انتهينا إلى [نخلة محمود] أدرك الأجلُ ذلك الراكب الغني فمات . فوقف الدرويش عند رأسه وقال : نحن مع شدة التعب لم نمُتْ وأنت مع الراحة مُتَّ . وأنشد :

بكى صحيحٌ مريضاً طولَ ليلته وحين أصبح أودى والمريض نجا

قطعة

كم سَلْهبٍ بات دون القصدِ من لغبٍ وكم حمارٍ كسير راحَ لم يبتِ
وكم أصحاءَ في جوف الثرى دُفنوا وكم جريحٍ عميقِ الجرح لم يَمتِ

١٧ – حكاية

استدعى أحدُ الملوك عابداً لحضرته ففكَّر العابدُ في أن يتناول دواءً فيشربه ليظهر ضعيفاً فيزداد اعتقادُ الملك به . وقيل إن الدواء كان قاتلاً فشربه فمات .

قطعة

تحسَبُه فُستقةً لُباً بعين المجتلي — إذا به قشرٌ على قشر كرأس البصل

يستدبرُ القبلةَ في الصلاة من مِرائه — ووجههُ موجَّهٌ للخلق من ريائهِ

بيت

إذا العبدُ لايرجو سوى الله داعياً — فلا يدْعُ غير الله إن عز مَطلبُ

١٨ – حكاية

أغار جماعة من قطاع الطريق على قافلة كانت تسير في أرض يونانَ فسلبوا كلَّ ما تملكه من مالٍ ومتاعٍ فناحت القافلة وأعولتْ وتشفعت بالله ورسوله فلم يجُدها ذلك نفعاً .

بيت

متى نالَ لصٌ من سليب مرادَهَ فهيهات أن يَرثي لنوح سلَيبِ

وكان في القافلة لقمانُ الحكيم فقال له أحد المسلوبين : ألا تُلقي يا سيدي على هؤلاء كلماتٍ من الحكمة والموعظة فعسى أن يتركوا بيدنا بعض ما سلبوه منا، فوا أسفا على هذه النعمة الوافرة التي تضيع سُدى فقال له لقمان : وياخسارةَ الكلمة الحكيمة التي تُلقى على أمثال هؤلاء .

قطعة

إن الحديدَ متى أودى به صدأٌ فليس بالصقل تبدو منه آثارُ

لايدخلُ الوعظُ قلباً مظلماً أبداً ولا يغوصُ بقلب الصخر مِسمارُ

قطعة

بِرَّ المساكينَ إما كنتَ ذا سعةٍ فجبر خاطرهم يُنجي من العطبِ

واعطفْ على السائل الشاكي فربَّتما ألوتْ بمالِكَ قسرا كَفُّ مُغتصبِ

١٩ - حكاية

طالما أمرني شيخي الأجلُّ شمسُ الدين أبو الفرج ابنُ الجوزي بترك السماع وكم أشار عليَّ بالخلوة والعزلة فغلبني عُنفوانُ الشباب وطلبُ الهوى والهوس ولقد كنتُ بالضرورة ذاهباً بخلاف رأي المربي آخذاً بحظي من السماع والمخالطة مع صحبي وكلما فكرتُ في نصيحة شيخي أقول :

إذا مَعَنا القاضي تُصفِّق كفُّه فحاسي الطِّلا المخمورُ في يده العذرُ

حتى وصلتُ ليلة إلى مجلس قوم فرأيتُ بينهم مُطرباً .

بيت

تُجذُّ نياطُ القلب من نقر عوده كصوتِ أبيه وهو ينحَطُ في القبرِ

تارةً أصابعُ الإخوان توضَعُ منه في الآذان وتارة على الشفاه أن صَهْ أيها الحيوان .

شعر عربي الأصل

يُهاج إلى صوت الأغاني لطيبه وأنت مُغَن إن سكتَّ تَطيبُ

بيت

لايرى المرءُ في سماعك خيراً   من سكوتٍ يريحُه أو نزوحِ

رجز

لماسمعتُ صوتَ ذاك العازف   قلتُ لرب الدارِ بالله انصفِ

ضعْ زئبقاً في أذنيَّ تُخَرَقا   أو افتح البابَ فما أهوى البقا

والخلاصة أنني وافقت على البقاء رعايةً لخاطر الأصحاب وقضيت ليلةً نكراءَ إلى أن لاح النهار بكل جهد واكتئاب .

قطعة

بالفجر صاح مؤذنٌ وأراه لَمْ   يشعُرْ بطول الليل قبلَ طلوعهِ

فسلوا إذن عن طوله جَفني فقد   أحصى ثوانيه بقطرِ دموعهِ

وفي الصباح حسبَ التبرك حللت عصابتي عن رأسي وأخرجت ديناراً من حزامي ووضعتها أمام المغني واحتضنته وشكرته كثيراً فرأى الإخوانُ مني هذه الحْفاوَةَ به على خلاف العادة وحملوا ذلك مني على خفة عقلي وتضاحكوا خُفية من فعلي وأطالَ أحدُهم لسانَ اعتراضه وابتدرني

بالملامةِ قائلاً : إن هذه الحركة لاتناسبُ حال العقلاء وكيف تبذل خرقةَ الفقراء لمثل هذا المطرب الذي عمره ماوقع درهم في كفه ولا قُراضةٌ في دَفه .

رجز

مغنٍ كهذا لا تُحلُّوهُ دارَكم فما حل في دار وحل بها السعدُ
إذا ما بدا من حلقه الصوتُ أُرعدتْ فرائص من يُصغي له حينما يَشدو

فقلت : تلك هي المصلحةُ فلا تُطِلْ لسان الاعتراض ولقد ظهرتْ لي منه كرامة فقال : أطلعني على تلك الكيفية حتى أَتقربَ كذلك إليه وأتقدم لملاطفته والاستغفار منه فقلت : إن الشيخ طالما أمرني بترك السماع ووعظني ببليغ المواعظ فما استقرت بسمعي وفي هذه الليلة هداني طالعي الميمونُ وحظي العظيم حتى تُبتُ على يد هذا المطرب وإنني بعد هذه الليلة لا أُجيز لنفسي السماعَ ولا مخالطةَ الرَّعاع .

قطعة

يؤثر في النفس الصدى من مليحة وإن لم يكن في السمع يُلفى له وقعُ
ويُكرَهُ ممن لانحب لقاءهُ وإن كان للأوتارِ في لحنهِ سَجْعُ

٢٠ – حكاية

سألوا لقمان الحكيم : ممن تعلمت الأدب فقال : من عديمي الأدب لأن كل مايقع عليه نظري منهم فأراه غير لائق أن يفعل احترز من فعله .

قطعة

لاينبسون بحرف مازحين وهل … سوى النصيحة ترجى من ذوي الحكمِ
وليس يلقي جهول سمعه أبداً … لواعظ لو حباه حكمة الأممِ

٢١ – حكاية

حكوا أن عابداً كان يأكل في كل ليلة من الطعام وزن عشرة [أمنان] ويقوم إلى الصلاة فلا يأتي وقتُ السحَر إلا ويكون قد ختم القرآن . فسمع به أحد العارفين فقال : لو أنه يأكل نصف رغيف وينام لكان أفضل له من ذلك العمل الشاق الذي يدل على الرياء والنفاق .

قطعة

أخْلِ الفؤادَ من الطعام فإنه … إن يخلُ منه بالمعارفِ يَمتلي
لَم يخلُ من حكم الإله لَوَ انَّهُ … لم يُحشَ من خَبَثِ الطعام فأقلِلِ

٢٢ – حكاية

أنارت المواهبُ الإلهية سراجَ طريق التوفيق فهدت ضالاً في بيداء المعاصي حتى انخرطَ في سلك أهل التحقيق فبيُمنِ صحبة أولئك الفقراء وصدقِ أنفاسهم تبدَّلت أخلاقه الذميمة بمكارم الأخلاق وقَصُرتْ يداه عن تناول مُشتهاه. فطالت ألسنة الطاعنين بحقه فقالوا: إنه لم يتحولْ عن أسلوبه الأول وليس على زهده وصلاحه مُعوَّل.

بيت

تسطيع تهربُ إما تبتَ من سَقَرٍ ومن لسان الورى لايُمكن الهربُ

ولما ضاق ذرعاً بجَوْر ألسنتهم شكا أمرَه إلى شيخ الطريقة فبكى الشيخ وقال له: بماذا تؤدي شكر هذه النعمة إذ أنتَ أفضل مما ظنوا.

قطعة

كم ذا تقولُ عَدوّي والحقودُ على إظهار عيب امرئ مثلي قد اتَّحدا

إما يقوما فقتلي نُصبَ عينهما أو يقعدا فلحَيْني رُبَّما قعدا

كن خيِّراً عند لؤم القادحين ولا تكن لئيماً وتبدو خيّراً أبدا

ولكن انظر إليَّ فإن الجميعَ يُحسنون الظنَّ بي ويعتقدون أنني بأعلى درجاتِ الكمال، والحقيقةُ أَنني بأدنى دركات النقصان .

بيت

لـو ان ذاك الـذي قـد قلـتَ تفعلُـه		لكنتَ حقا بحُسن الطبع تتصفُ

شعر عربي الأصل

إني لمـستترٌ عــن عــين جــيراني		والله يعلــم اسراري وإعـــلاني

قطعة

قـد نُغلـق البـابَ عـلى نفـسنا		كــيلا تــرى عيوبَنــا الأعــينُ
ولــيس يجـدي غَلقُــه عنـدَ مَـنْ		يعلــم مــا نخفــي ومــا نعلــنُ

٢٣ - حكاية

أعلنت شكواي لأحد المشايخ بأن فلاناً شهد علي بأنني متصف بالفساد فقال لي : أخجله أنت بعمل الصلاح .

قطعة

كـن أنـت ذا سـيرةٍ في النـاس طيبـةٍ   كيلا يرى فيك نقصاً قـاصر النظرِ
فـالعود بـالعزف لم تُعْـرَكْ لـه أُذُنٌ   إلا إذا اختلّـت الأنغـام بـالوترِ

٢٤ – حكاية

سألوا أحدَ مشايخ الشامِ عن حقيقة التصوف ما هي فقال : كانَتْ هذه الطائفةُ في غابر الزمان متفرقـةً في المبنى مجتمعـةً في المعنى أمـا اليـومَ فهـي في الظاهر متحدةٌ وفي الباطن متفرقة .

قطعة

لاترجُ يوماً صفاءَ العيش مُحتِلياً   مـا دامَ قلبُـك بالأغيـارِ يَـشتعِلُ
وأنـتَ في خلـوةٍ مادمـتَ مرتبطـاً   بـالله لـو بنعـيم المُلْـك تنـشغِلُ

٢٥ – حكاية

لا أزال أذكر ذاتَ ليلة أننا سرنـا مع قافلـة طول ليلتنـا حتى إذا كـان السَحر نمنـا عـلى طـرف غابـة . وكـان يرافقنـا في تلـك الـسَّفْرة رجـلٌ مُدلَّـهٌ

مجذوبٌ فمذ هام في تلك البطاح ما فتر لحظة عن الصياح فلما وضحَ النهارُ قلت له ما هذه الحال التي كنت عليها فقال: رأيتُ البلابل تترنم على الأغصان وأبصرت أُلحجلَ يَنحدر على صوتها من الجبل وسمعت نقيقَ الضفادع يناجي خريرَ الماء وأصوات الوحوش في الغابة ترن في أذن الجوزاء. فمر بخاطري أنه ليس من المروءة أن تذهَبَ في التسبيح تلك العجماواتُ وأسكت أنا سادراً في الغفلات.

قطعة

أمسِ غنَّى حتى الصباحِ صَدوحٌ	فسبى مهجتي وبَلْبلَ حالي
وصديق بمسمعيه ترامى	صوتُ نوحي وكان ثَمَّ حِيالي
قال ما كنتُ موقِناً أن طيراً	بات يَرميكَ هكذا بالخبالِ
قلتُ: تبغي سكوتَ مثلي وقد سبَّـ	ـح طيرٌ: فذاك فَوقَ احتمالي

٢٦ – حكاية

رافقني في السفر إلى الحجاز طائفةٌ من الشبان أرباب القلوب فكانوا بأغلب أوقاتهم يترنمون أو بأبياتٍ ذات معانٍ دقيقةٍ يتباحثون وكان معنا في الركب عابدٌ يُنكر على المتجردين حالهم لغفلته عن لوعة قلوبهم حتى إذا

انتهينا إلى [نخيل بني هلال] خرج علينا غلامٌ أسودُ من حيٍ هناك عربي فصاح صيحةً أوقف بها طيور الهواءِ عن الطيران والماءَ المنحدرَ عن الجريان فرأيتُ جملَ العابد رقَص به فأوقعه عن ظهره وشرد في طريق البادية فقلت له أيها الشيخ قد تأثر الحيوانُ ولم تتأثر أنت أيها الإنسان.

قطعة

أتعلمُ ماذا قال لي أمسِ بلبلٌ   أبا لعشقِ يامغرورُ هل لك أخبارُ
يُؤثر في العيسِ الحداءُ فتنتشي   فإن لَمْ تذُبْ عِشقاً فأنتَ حمارُ

قطعة

بذكرِه كلُّ شيءٍ لاهِجٌ أبداً   والقلبُ يفهَم مَعناهُ ويسمعهُ
ما سبَّحَ اللهَ فوق الوردِ منفرداً   هزارُ دوحٍ بتغريد يُرجِّعهُ
وإنما كلُّ شوكِ الوردِ ألسِنَةٌ   لها من الذكرِ والتسبيح أَرْوَعُهُ

٢٧ – حكاية

لما رأى أحدُ الملوكِ أن مدةَ عمره قد قاربتْ نهايتها ولم يكن له وارث يقوم مقامَه أوصى بأن يُوضعَ تاجُ السلطنة على رأس أولِ داخل عند الصباح من باب المدينةِ وأن تُفوَّضَ له أمورُ المملكة. واتفق أنَّ أولَ من

دخل مُتسولٌ كان طولَ عمره يجمع قوته لقمةً فلقمةً وكساءَه خرقة فخرقة . فنفَّذ أركانُ الدولة وأعيان المملكة وصيَّةَ الملك ففوضوا إليه المُلْكَ والخزائنَ وأطاعوا أمره فقام بإدارة المملكة مدةً من الزمن ولكن بعض أمراء الدولة خلعتَ عْن أعناقها ربِقْ طاعته، وملوك الأقطار المجاورة قامت لمنازعته وجهزت العساكر لمقاومته . وصفوة القول أن الجندَ والرعية قلَبتْ له ظهرَ المِجَنِّ وخرج قسم غير قليل من بلاده عن قبضة تصرفه فأصبح ذلك المسكين مشتتَ الأفكار مجروح الفؤاد مما حل به . وفي تلك الأثناء عاد من السفر درويشٌ كانت تربطه وإياه صداقة قوية في أيام الفاقة فرآه في تلك المنزلة الرفيعة فقال له : المِنةُ لله عز وجل أنْ كان السعدُ قائدك والإقبالُ رائدك حتى خرج وردُك من شوكِ ذُلِّك وشوكُ الحفا زال من رِجلِك فتسنَّمتَ ذروة العرش الرفيع، فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا .

بيت

تَعرى من الوَرقِ الأشجارُ آونة   والزهرُ في الروض يذوي ثم يزدهرُ

فقال له الملك أيها الأخ إن التعزية فَي هذا المقام أليق من التهنئة ألا ترى أن همي في ذلك الحين رغيف خبزٍ أسُدُّ به رمقي وأما اليوم فإنَّ سقمي من كل ما في هذه الدنيا .

قطعة

تُلوِّعنــا الــدنيا إذا لم تواتنــا وإن هي واتتنا ففي حُبها السمُّ
فما فتنةٌ منها أشد على الورى بلاء وكلتا حالتيها لنا همٌّ

قطعة

إذا رمت الغنى فحذارِ تبغي سوى مُلك القناعة في الوجودِ
وإن نثر الغنيُّ التِّبرَ نثراً فلا تحسبَه عن كرم وجودِ
فما بذلُ الغني كصبرِ ثاوٍ على الرمضاءِ في دنيا الجُدودِ

٢٨ – حكاية

كان لأحد الناس صديقٌ من عمال الديوان انقطع عن رؤيته ردحاً من الزمن فقال له شخص : إنك لم تر فلاناً منذ أمد بعيد فقال : أنا لا أَوَد أن أراه وكان أحد أخصاء العامل حاضراً فقال له : ما الخطأ الذي عمله حتى مللِتَ رؤيته؟ فأجاب : ماله أي خطأ ولكن الصديق المتعلق بالديوان لا يُشاهد إلا إذا عزل ولا يليق بي أن أتعبه لراحة نفسي .

قطعة

في كـــراسيّ حكمهـــم وغنـــاهم   لايـــرى ظلّهـــم أخٌ في الطريـــقِ
وإذا مـــا مُنـــوا بعـــزلٍ وعجـــزٍ   أظهـــروا داءَ قلـــبهم للـــصديقِ

٢٩ - حكاية

كان أبو هريرة رضي الله عنه يأتي على الدوام لخدمة المصطفى ﷺ فقال له: يا أبا هريرةَ زُرْني غباً تزددْ حُباً. يعني لا تأتِ إلي كل يوم لتزداد محبتك عندي.

لطيفة: قال ناس لأحد العارفين: إن الشمس مع حسنها الباهر لم نسمع أن أحداً عشقها فقال: بسبب أنها في كل يوم تمكن مُشاهدتها إلا في الشتاء فإنها تكون محجوبة ومحبوبة.

قطعة

لاعيبَ في أَنْ تزورَ الخل مفتقداً   وإنما العيبُ في الإكثار فاقتصدِ
إن لمتَ نفسك تبغي كبحَ شهوتها   فلستَ تسمعُ عنها اللومَ من أحدِ

٣٠ - حكاية

استدارَ ريح بأمعاءِ أحد الكبراء وما ملك القدرة على ضبطه فصدر عنه بدون اختياره فقال لجلسائه : أيها الإخوان إن ما حدث مني لم يكن عن اختياري فوزرُه إذن لم يُكتب عليَّ وقد وصلَتْ منه راحة إلي فتكرموا أنتم أيضاً واقبلوا معذرتي .

قطعة

أَلبطنُ سجنُ الريح ياذا الحجا والـريح لا يحبسُه عاقلُ
حِملٌ على القلب فلا تُبقِهِ إن دارَ بالأمعاءِ يا حاملُ

بيت

إن راح يوماً ثقيلٌ عنك مرتحلاً فدعْه يمضِ ولا تمدُدْ إليه يدا

٣١ - حكاية

اعتراني مَللٌ من صحبة إخواني في دمشق فخرجتُ هائماً على وجهي في بادية القدس وأنستُ بصحبة الوحش بعد صحبة الإنس ولكني وقعتُ أسيراً بيد الإفرنج فأصبحتُ أشتغل بالطين مع اليهود في خندق طرابلس . حتى مر بِّي أحد رؤساء حلب وكان بيننا سابقُ معرفةٍ فقال لي ما هذه الحال وكيف صرتَ إلى هذا المآل؟ فقلت :

قطعة

هربتُ إلى الصحراء عن صحبة الورى　　إلى الله لا أبغـــي ســـواه أنيـــسا
تصوَّرْ بهذا الوقـتِ مـا هـي حـالتي　　مع البَهْم في الإسطبل صرت حبيسا

بيت

الرِجلُ في القيد عند الأصدقاء ولا　　رياضـــةٌ في جنـــانٍ عنـــدَ أعـــدائي

فرحمني ورقَّ لحالي وافتداني من أسر الفرنجة بعشرة دنانير وأخذني معه إلى حلب. وكانت له ابنة فعقد لي نكاحها بمائة دينار وبعد أن بَنَيْتُ بها ظهر لي أنها سيئة الطبع مجبولة على العناد مخلوعة العِنان سليطة اللسان فنغَّصت علي عيشي وكأنما عناها الراجز بقوله:

ســـيئةُ الخُلْـــق بـــدار الخـــيِّرِ　　جهـنمٌ مـن قبـل يـوم المحـشرِ
حـــذارِ مـــن أمثالهـــا حـــذارِ　　وقـل: قِنـا رَبِّ عـذاب النـارِ

وذات مرة أطالتْ بي لسانها واستمرت تقول: ألستَ أنت ذاك الذي اشتراك أبي فأعتقكَ من قيد الفرنجة بعشرة دنانير فقلتُ: بلى هو الذي اشتراني بذلك المقدار ولكنه أوقعني بأَسْرِ يديكِ بمائة دينار.

قطعة

رأى سَـيِّدٌ كبـشاً بأنيـاب أطلّـسٍ فخلَّصه عند الأصيل مـن الكـربِ
وعنـد المسا سـميَّ وأزهـقَ روحَـه فصاحتْ، وقد طارت إلى الله :ماذنبي
أيا منقذي من مخلب الـذئب رحمةً لقد عدت عقبى الأمر من شقوتي ذنبي

٣٢ – حكاية

سأل أحد الملوك عابداً : كيف تقضي أوقاتك العزيزة فقال : أقضي الليـل كلَّـه بالمناجـاة والـسَّحرَ بالـدعاء والحاجـات وعامـة النهـار بقيـد الإخراجات . فأمر الملك بأن يُعيَّن له على وجه الكفاف مقدارٌ من المال ليخفف عن قلبه أثقالَ همِّ العيال .

قطعة

أيهـــا المبـــتَلى بهـــمِّ العيـــالِ أطلـق الفكـرَ مـن قيـودِ الخيـالِ
همُّ رزق العيال كـم عـاق في السيْـ ـرِ مُريـداً لـدى مَراقـي الكـمالِ
بنهـاري أقـولُ : إن جَـنَّ لـيلي فَـسأُحييه في هـوى ذي الجـلالِ
وإذا الليـل جَننـي كـانَ همـي «بـصباحي مـاذا أقـوتُ عِيـالي»

٣٣ - حكاية

رُويَ أن أحد المتعبدين في ديار الشام عكف على العبادة سنينَ طويلة وكان يتغذّى بأوراق الأشجار فتوجه لزيارته مَلِك تلك الجهة وقال له: إذا رأيتَ من المصلحة أن نُهيئ لك مقاماً في المدينة أمرنا بتنفيذ ما تريد لأن تفرغكَ للعبادة فيها أيسرُ عليك وتكون الناسُ عندئذٍ قد استفادت من بركات أنفاسك واقتدت بصالح أعمالك. فلم يَقبَلِ الزاهد كلام الملك فقال له أركان الدولة: نرى من المصلحة أن توافق على ما رَغب فيه الملك فتقيم بالبلد أياماً وترى مقامك بها فإن استقام لك فهو المطلوب وإن رأيت أن صفاء وقتك العزيز تكدَّر من صحبة الأغيار فعندئذٍ يكون لك في نهاية الأمر الخيار، فقيلَ إن العابد صدع بالأمر وانحدر إلى المدينة فهيأوا له بُستاناً حول قصر الملك الخاص بغاية الزينة فكان مقاماً يُبهجُ النفوس ويَسرُّ القلوب فكأنه جنة الفردوس، كما قيل فيه:

شعر

سنبُله غدائرٌ أرسِلَتْ ... ووردهُ مثل خدودِ الحسانْ
كلاهما من خوف [برد العجوز] ... ما ارتضعا من ثَدي غيثٍ لِبانْ

شعر عربي الأصل

وأفــــانينُ عليهــــا جلنــــارُ علقــت بالـشجر الأخـضر نــارُ

وأرسل إليه الملك في الحال جاريةً بديعةَ الجمال .

قطعة

فتــاةٌ كحـسن البـدر فتنـةُ عابـدٍ بزينـة طـاووسٍ وطُهـر مـلاكِ

إذا مـا بَـدَتْ للزاهـدين تخـاذلوا عن الصبر أو طاحوا بغير حَراكِ

وأرسل إليه على أثرها غلاماً بديع الجمال لطيف الاعتدال .

شعر عربي الأصل

«هلـك النـاس حولـه عطـشاً وهـو سـاق يـرى ولا يـسقي»

لـيس تـروى عيـون نـاظره كفُـــراتٍ حـــلا لمستـــسقي

فأخـذ العابـد يأكـل الطعـام الـشهي ويلـبس الكـساءَ البهـي ويتمتـع بحلاوة الثمار ويستنشق عبير الأزهـار ويـتملى جمـال الجاريـة والغـلام وقـديماً قال العقلاء : صُـدغ الجميلـة زنجيرُ سـاق العقـل الخَطِر وفـخ طـائر القلـب الحذِر .

بيت

صرفتُ عقلي وديني في هواكَ وقد ... أصبحتَ فخاً لقلبي الطائر الحذرِ

وحاصل القول أن دولة زهده آذنت شمسها بالأفول كما قيل .

قطعة

كم من مريدٍ وذي نسكٍ ومجتهد ... وواعظ ذي بيان طاهرِ النفَسِ

لَّما بدنيا الدنايا راحَ منغمساً ... أمسى إكنحلِ جَنىً إبالشهد مُنغمِسِ

وذات مرة رغب الملك في مشاهدته فرآه قد تغير عن حالته الأولى فقد عاد أبيضَ سميناً مُشرباً بالحمرة وألفاه متكئاً على وسادة من الديباج، وغلامٌ أحورُ الطرف ملائكي الطلعة قائمٌ على رأسه يروِّح له بمروحة طاووسية فَسُرَّ الملك كثيراً من حسن حاله وأخذ يتفنن معه بالحديث ويفتح له أبواباً من النوادر حتى قال في نهاية الكلام : أنا أُحبُّ من دنيايَ هاتين الطائفتين العلماء والزهاد . وكان في المجلس وزير فيلسوف مجرب فقال أيها الملك شرط المحبة أن تفعل معروفاً مع كلتا الطائفتين . فقال الملك : وكيف ذلك؟ فقال : أن تُعطيَ الذهبَ العلماء حتى يستعينوا به على التبحر بالعلم وألا تعطي الزهادَ شيئاً حتى يَبْقوا على زهدهم .

بيت

أخو الزهد لايبغي لُجيناً وعسجداً فإن رامه فاطلبْ سواه أخا زهدِ

قطعة

لِفاضل الأخلاق ما إن يُبتغى خبز الرباط ولقمةُ المتسولِ
وكذلك الحسناء ليس يَزينُها في عين عاشقها التجملُ بالحُلي

٣٤ - حكاية

مما يطابق هذا الكلام أن ملكاً عَرَضتْ له مهمة فقال : إذا جاءت في النهاية على حسب مرادي فسأعطي الزهادَ مقدار كذا من المال فلما قضيت لزمه الوفاء بالنذر فأعطى عبداً من خاصته كيساً من الدراهم وقال له فرِّقْ ما فيه على الزهاد . وقيل إن الغلام كان عاقلاً لبيباً فمضى طول نهاره ولما كان المساء عاد ومعه الكيس فقبَّله ووضعه بين يدي الملك وقال ما وجدت زاهداً فقال الملك : ماهذه الحكاية إنني أعرف في هذه البلدة اربعمائة زاهد فقال الغلام : يا ملك الزمان الزاهد لايقبل النقود والذي يقبل النقود ليس بزاهد . فتبسم الملك وقال لندمائه : على قدر إذعاني ورغبتي في هذه الطائفة من العبَّاد قد استولت على هذا الوقح فيهم العداوة والزهادة ولكن مع كل هذا فالحق معه .

بيت

إذا مــا رأيــتَ المــال في يــد زاهــدٍ فدع نَهجَه واطلبْ سواه أخا زُهدِ

سألوا أحد العلماء الراسخين : ماذا تقول بجماعة على خبز الوقف مجتمعين؟ فقال : إذا أخذوه ليستعينوا به على التفرغ للعبادة فهو حلال وإن كان ليس إلا لأكله فلا أفتي بحله .

بيت

يُطلَــب الخبــز للعبــادة والعكــ ــس مــشين بــسمعة العقــلاء

٣٥ – حكاية

وصل درويش إلى مُنتدىً صاحبُه كريم النفس رهيف الحس لديه جماعة من ذوي الفضل والبلاغة وكل منهم يُبدي نكتةً لطيفةً أو يتندَّر بفكاهة ظريفة على رسم الأدباء وقاعدة الظرفاء وذلك البائس لم يسترحْ بعدُ من وَعثاء السفر وقد ألهب أحشاءه الجوعُ وأعياه اللَّغب . فخاطبه أحدهم بطريق الانبساط : ألا ترى أنتَ كذلك أن تُتحفنا بشيء مما عندك فقال :

لست من فرسان هذا الميدان وما لي كغيري بلاغة ولا بيان فأرجو أن تكتفوا مني بهذا البيت فأجابه الجميع قُلْ، فأنشد:

قد ألهب الجوع أحشائي وسفرتكم ... من فوقها الخبز محفوفٌ بألوانِ
فحالتي معكم قد أشبهتْ عزَباً ... لا يبرحُ البابَ في حمام نسوانِ

فاستحسنوه ووضعوا المائدة بين يديه فقال له صاحب الدعوة: أيها الصديق تمهَّل قليلاً فإن عبيدي يهيئون الشواء فأطرق الفقير ملياً وقال:

بيت

ما لمثلي وما لأكل الكبابِ ... أنا بالخبز قانع يا صحابي

٣٦ – حكاية

قال مريدٌ لشيخه إنني متضايقٌ من كثرة زيارة الخلق لي وإن أوقاتي الثمينة ضاعت لاستمرارهم بالتردد عليَّ فأجابه أقرضْ فقيرهم واستدنْ من غنيهم يَنفَضُّوا من حولك فلا تجدُ منهم أحداً.

بيت

لو أنَّ عسكرَ إسلامٍ تَقدَّمه ... شَحاذُ فرَّ العدى منه إلى الصينِ

٣٧ – حكاية

قال فقيه لأبيه : إن كلمات الوعاظ الآخذة بمجامع القلوب لا تؤثّر في نفسي أصلاً وذلك لأنني لا أرى أفعالهم توافق أقوالهم كقوله تعالى «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» .

رجز

أَتأمرُ الناسَ بترك الدنيا　　　وتكنز المالَ لكيما تَغنى
فعالم يقولُ ما لا يفعلُ　　　عند امرئ أقوالُه لا تُقبلُ
من وعظَ النفس فذاك العالمُ　　　ومن لغا بالقول فهو الآثمُ

بيت

هيهاتَ يُمسي دليلاً في طريق هُدى　　　من بات بالجسم لا بالنفس ينشغل

فقال الأبُ : أي بني لا يجوز لمجرد هذا الخيال الباطل أن تُعرِض بوجهك عن تربية الناصحين وتسلك طريق البطالة وتنسب العلماء إلى الضلالة فإنَّ منْ طلب العالمَ المعصوم عاش وهو من فوائد العلم محروم فمثله كمثل ذلك الأعمى الذي وقعَ ذاتَ ليلة في الوحَل فقال : أيها المسلمون ضعوا سراجاً في طريقي فسمعته امرأة فاجرة فقالت له : أنتَ

لاتـرى الـسراجَ فبالـسراج مـاذا تَـرى . وهكـذا مجلسُ الـوعظ كحوانيـت البزازينَ ما دُمتَ هناك لا تُعطي النقـدَ لا تتسلم البـضاعة، وهنـا مـا لم تبـذل الإرادة لاتنال السعادة .

قطعة

إسمع بروحك نصحَ الـواعظين وإن | يُخـالفوا مـا نَهـوْا عنـه ومـا أمـروا
فباطـلٌ مـا ادَّعـاه المـدعون وهـل | بنـائمٍ غافـلٍ تـستيقظُ البـشرُ
وإن ذا اللُّـبِّ يُلقـي في مـسامعه | قولَ النصيح وإن زينَتْ بـه الجُدُر

حكاية منظومة

جاء ذو نهيـةٍ لمدرسـة العلـ | ـم وعـاف الربـاط والنساكا
قلت مـا بين طالـب ومريـد | أي فـرق حتـى تخيرت ذاكـا
قال ذاك النجـاة يبغي مـن المو | ج وذا للغريق يلقي الشباكا

٣٨ – حكاية

غلب السكر على شخص فنام على قارعة الطريق وقـد خـرج عـن حـد اعتداله وأُفلِتَ من يده زمام اختيـاره فمـر عليـه عابـد واستقبح حالتـه فرفـع الشاب إليه رأسَه وقال «وإذا مروا باللغو مروا كراما»

شعر عربي الأصل

اذا رأيت أثيماً كن ساتراً وحليماً　　يامن يُقبح لَغوي لِمْ لا تمر كريما

قطعة

لا تُعرضَنَّ عن الأثيم أخا التقى　　وامنن عليه بنظرة وتعطُّفِ

إلا أكُنْ في الخيِّرين لشقوتي　　فعليَّ مُرَّ كخيِّرٍ وتَلَطَّفِ

٣٩ – حكاية

ألح طائفة من الخلعاء على درويش بالإنكار وآذوه بما لا يليق بحق أمثاله من الأبرار فشكا مانا به من أولئك الزناديق إلى شيخ الطريق فقال له : أيْ بني خِرقة الفقراء هي ثوبُ الرضا بما حكم به القضا، فمن لم يتحمل مع كسوته ما نفذَت به الأحكام فخرقة التصوف عليه حرام .

بيت

أتُكدِّر البحرَ الخِضَّم حجارة　　فإذا أَلِمْتَ فأنتَ حوضٌ ناضِبُ

قطعة

تحَمَّل إذا أوذيتَ واعفُ فإنما ... ستُجزى عن العفو الجميل ثوابا
اذا لم يَكُنْ بُدٌ بأنَّكَ صائرٌ ... تُراباً فكنْ للعالمينَ ترابا

٤٠ – حكاية منظومة

إسمع حواراً طريفاً قد جرى قدماً ... بين الستارة في بغداد والعلَمِ
سما إليها على عتب وقال لها ... مما يعانيه في الأسفار من ألمِ
أنا وأنتِ كلانا عبدُ سيده ... وعند سلطانه من جملة الخدمِ
لم أسترح ساعة من خدمتي فإذا ... أقامَ جندُ الحمى في السلم لم أقِمِ
وأنتِ لم تعرفي ذُلَّ الحصار ولا ... زعازع البيد والإدلاج في الظُّلَمِ
بالسَّعي لي قدمٌ سباقة فلِما ... أُفرِدْتِ بالعزدوني داخلَ الحرمِ
في القصر أنتِ مع الولدان عابقةٌ ... بالياسمين وبين الحور في نِعَمِ
وها أنا بيد الغلمان مُضطربٌ ... في القيد رجلي ورأسي في يد العدمِ
قالت تواضعتُ بل نكَّستُ في أدب ... رأسي ورأسُك سام في الذُّرا فهمِ
وكل مستكبر في غير مَقدرة ... يَلقى الهوانَ فعش ماعشت في سأمِ

٤١ – حكاية

رأى أحدُ العارفين رجلاً |من المتمرنين على حمل الأثقال| مكفهرَّ الوجه واضعاً يده على خده وقد استشاط غضباً فقال: ما شأن هذا؟ فأجابه أحدُ الحاضرين: شتمه فلان فقال: هذا الدنيءُ يحمل ألف رِطل من الحجارة ويعجز عن تحمل كلمة.

قطعة

بجُمع كفك لا تفخر فقوَّتُه ليستْ تَميزُ لكَ الأنثى من الذكر
إن رمت فضلاً فكن عذب الحديث فما فضلُ الملاكم في الدنيا على البشرِ

قطعة

اذا ما صدمتَ الفيل أوفقتَ وزنه فلست بإنسانٍ خليقٍ باكباري
من الترب خلَقْ ُ الآدمي وطبعُه فالإ تكنْ تُرْباً فأنتَ من النارِ

٤٢ – حكاية

سألوا أحد الكبراء عن سيرة إخوان الصفاء فقال: الناقصُ هو الذي لايُقَدِّم رغبةَ الصديق على مصالح نفسه فالحكماء قالوا: الذي يُقيِّدُ سعيةَ بخاصة نفسه لا يُعدُّ أخاً ولا صديقاً.

بيت

اذا ما امرؤ بـالأمر يعجـل فاقلِـه ولا ترتبط إلا بمن لـيس يَعجَـلُ

قطعة

إذا مـا قريـبٌ في الخـصومة لم يكـن ليرقـب إذ يؤذيـك دينـاً ولا تقـوى
فلا تـصطحبه واقطـع الـرحم التـي شـقيت بهـا واهجـر مـودة ذي القربـى

وأذكر أن أحد المدعين اعترض عـلى قـولي في هـذا البيـت فقـال : الحـق جل وعلا نهى في كتابه المجيد عن قطع الرحم وأمـر بمـودة ذي القربـى ومـا قلتَه مناقض لذاك . قلت إنك واهم فإن ما قلته مُوافق للقرآن قـال الله تعـالى «وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما» .

بيت

الغريـب القريـب مـن رحمـة اللـ ـه يُفـدَّى بـألف خـلٍ بعيـدِ

٤٣ – حكايـة منظومة

ظريـفٌ مـسنٌ كـان أنكَـح بنتَـه ببغـداد إسـكافاً ليُنـسلَها الولـدا
فـصادف أن قـد كـان فظـاً فعـضَّها دِعابـاً فـأدمى مرشـفاً يـشبه الـوردا

فهال أباها حين أصبح ما رأى — فراح مَغيظاً مُحنَقاً يسأل الوغدا
أيافسلُ قلْ ما ذلك السنُّ واعترف — بأن الذي قد لكته لم يكن جلدا
وما قلتُ هذا القول مزحاً كما ترى — فدعْ عنك مزحاً لم يفد وخذِ الجدَّا
لئن كان قبحُ الطبع فيك سجيةً — فليس ليُمحى أو يوسدَك اللحدا

٤٤ – حكاية

كانت لفقيه ابنة بغاية الدمامة وقد عَنَستْ وما رغب أحد في نكاحها مع وجود جِهازها ووفرة نعمتها .

بيت

أرى الدبيقيَّ والديباج ضائعةً — على العروس اذا ما قُبْحها اشتهرا

غير أن أباها عقد – بحكم الضرورة – نكاحها على ضرير . وقيل إنه حضر بذلك التاريخ طبيبٌ من [سَرنديبَ] اشتهر بإنارة أعين العمي فقال ناس للفقيه لماذا لا تعالجُ صهرَك عندَه فقال : أخشى أنه متى رأى وجه ابنتي أن يطلقها . فخير للمرأة الدميمةِ أن يكون زوجُها أعمى .

٤٥ – حكاية

نظر مَلِك إلى طائفة من الصوفية بعين الاحتقار فأدرك أحدُهم منه ذلك بالفِراسة فقال : أيها الملك نحن في هذه الدنيا أقلُّ منك جيشاً وأهنأ عيشاً وإنا وإياك في الموت سواء وفي يوم القيامة أفضل منك عند الله . وأنشد :

قطعة

سوى الخبزِ لا يُلفى لأعظم فاتح — ولا لفقير إن تأملتَ مَطلبُ
وليس من الدنيا لمن ماتَ منهما — سوى كفنٍ والموتُ ما عنه مَهربُ
وما دمتَ تبغي المُلكَ سهلاً موطَّأً — فلا تبغ عرشاً إنَّ فقركَ أطيبُ

فشعار الصوفية الظاهر ثوبٌ مرقعٌ وعباءةٌ من الصوف وأما شعارهم الحقيقي فقلبٌ حَيٌّ بالأذكار ونفسٌ ميتة بالانكسار .

قطعة

يا من على باب دعواه أقام وإن — رأى من الناس نقداً ثار معتديا
لو حِدْتَ عن حَجر من رأس شاهقة — هوى لما كنتَ للعرفان منتهيا

وطريق الصوفية الذكر والشكر والطاعة والإيثار والقناعة والتوحيد والتوكل والتسليم والتحمل، فكل من اتصف بهذه الصفات فهو بالحقيقة صوفي وإن كان في الظاهر ذا لباس فاخر، وأما المولَع بالهذيان المتهاون بالصلاة العابدُ هواه الشاغل نفسه بالعبث والهوس الذي يصلُ نهاره بليله منغمساً بالشهوات ويصل ليله بنهاره مستغرقاً بالغفلات، يلتهمُ كلَّ ما يقع بين يديه من حلال أو حرام وينطق بما يجري على لسانه من فارغ الكلام فذاك هو الفاسق الخليع وإن التف بعباءته وتستر بدُرَّاعته .

قطعة

يا من خلا من حساب النفس باطنُه ... وباتَ ظاهرهُ بالغش مَعمورا
اخلع لباساً كطَيفِ الشمس صِبْغَتهُ ... واطوِ الحصيرَ الذي في الدار منشورا

٤٦ - حكاية منظومة

على قبةٍ باقات ورد رأيتُها ... وقد رُبطتْ بالعشب ربطاً مُحكما
فقلتُ : وهل للعُشب قدرٌ وقيمةٌ ... فيجلسَ في صف الزهور مكرَّما
فقال اتئِدْ وانهَلَّ واكِفُ دمعه ... ولا تنسَ لي فضلَ انتسابي فأظلَما
إذا لم أطب عَرْفاً وحُسناً ومنظراً ... ولم أكُ زرعاً في الجنانِ مُقوَّما
فإني لَعبدٌ للكريمِ وطالما ... بآلائه العظمى رَبيتُ مُنعَّما

سـواء إذا لم أدرِ أو كنـتُ داريـاً   فـإن رجـائي فيـه أنْ لـستُ أحرمـا
ومع كل ذا لا رأسُ مالي من التقى   ولم أجن بالطاعات ما عشتُ مَغْنما
إذا انقطعتْ سبلُ النجاة فإنه   ليفٌ بحال العبد إن هوَ أجرَما
من عـادة الأسـياد عتـقُ عبيـدها   متـى لَفَّـع الفـودَ المـشيبُ وعمَّـما
فيـا مُـبهج الـدنيا بـأنوار لُطفـه   على عبدك الشيخ الضعيف تكرمـا
ويا سعدُ فاستهدي إلى منهج الرضا   ولا تـسلكنْ نهجـاً سـواه فتحرمـا
فما كان أشقى من لَـوى عنـه رأسَـه   ففي غـير هـذا الـنهج يقتُلـك الظَّما

٤٧ – حكاية

سألوا حكيماً : أيهما افضلُ السخاءُ أم الشجاعة فأجابَ : كـل مـن وُجِـدَ في طبعه السخاءُ فليستْ به حاجةٌ إلى الشجاعة .

بيت

بقبر بهرامَ خَطُّوا سطراً بصافي اللُّجين   ألجودُ بالكف خيرٌ من قوةِ الساعدَينِ

قطعة

لم يبـقَ حـاتِمُ حياً في الوجـود وقـد   أحيا اسمَه الجودُ بين العُجم والعَربِ
فـزكِّ مالَـكَ إنَّ الكَـرْمَ يُصلِحُه الـ   ـتَّقليمُ حتـى يُرينـا أطيـبَ العِنَـبِ

الباب الثالث في فضل القناعة

١ – حكاية

كان سائلٌ مغربي ينادي بسوق البزازين بحلب: يا أرباب النعمة لو أنكم كنتم منصفين وكنا نحن قانعين لارتفع رسم السؤال من الدنيا.

قطعة

دعوتكَ يا كنز القناعةِ فاغنني ... أيا بلْسَماً ماثِله لكَلْيمِ
قد اختار كنز الصبر لقمانُ حِكمةً ... فَمنْ ليسَ ذا صبر فغيرُ حكيمِ

٢ – حكاية

كان في مصر وَلدا أمير عكف أحدهما على طلب العلم والآخر على جمع المال فذاك أصبح عَلاَّمة الدهر وهذا صار عزيز مصر وكان الغني ينظر إلى الفقير بعين الاحتقار ويقول: أنا وَصلتُ إلى السلطنة وأنت بقيتَ في الذل والمسكنة فقال له الفقير: أيها الأخ هذه نعمة من الله تعالى يجب عليَّ

شكرُها حيث وَجدتُ ميراثَ الأنبياء «يعني العلم» ووجدت أنت ميراث فرعون وهامان «يعني مُلْكَ مصر».

قطعة

كنملـةٍ أنـا تُـؤذى وهـي غافلـة ولم أكـن عقربـاً تـؤذي فتنجَحِـرُ
فكيـف لي أنْ أُوفي شـكر ذي نِعَـمٍ إن لم أطُـق حمـلَ مـاتُؤذى بـهِ البشرُ

٣ - حكاية

سمعت أن درويشاً احترق بنار الفاقة وخاط ثوبه خرقةً على خرقة وكان على الدوام يُسَلي نفسَه بهذا (البيت):

بالدلق مع يابس الخبز اقتنعْ أبداً واحملْ جفاك ولا تحمِل جدا بَشرِ

فقال له شخص: ما قعودُك على ما أنت فيه وفلان في هذه البلدة ذو طبع كريم وفضل عميم قد شدَّ وسطه لخدمة الأحرار وجلس على باب إرادتهم فلو اطَّلع على حقيقة حالك لما تأخر عن مراعاة خاطرك العزيز قبل سؤالك، فقال له: اسكتْ فإن الموتَ بالفقدان خير من عَرض الحاجة أمامَ إنسان. لأنهم قالوا:

قطعة

خِطْ رُقعةً فوق أخرى إن عريتَ ولا　　تخُـطَّ يومـاً للملـك رُقعـةً أبـدا
فكـا لجحـيم عقابـاً لا نظـيرَ لـه　　بـأن تمُـدَّ لجـارٍ في النعـيم يـدا

٤ - حكاية

أرسل أحدُ ملوك العجم لخدمة المصطفى طبيباً حاذقاً فلبث عدة سنين في بلاد العرب وما أتى عنده أحد لتجربة ولا قصده إنسان لمعالجة فجاء في أحد الأيام أمامَ سيد الأنام وشكا إليه قائلاً : إني كنت مُرْسلاً لمعالجة الأصحاب وفي كل هذه المدة ما التفتَ إليَّ أحد أصلاً حتى أقومَ بأداء ما عليَّ من الخدمة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن طريقةَ هذه الطائفة ألاَّ يتناولوا شيئاً من الطعام ما لم يغلِبهم الاشتهاءُ إليه وأن يرفعوا أيديَهم عنه قبيل استكمالِ شهوتهم منه فقال الطبيب : هذا هو سببُ العافية وقبَّل الأرض بين يديه وانصرف .

رجز

لا يبتـدي الحكـيم بـالقول ولا　　بطَـرفِ الأصـبع يبغـي المـأكلا
إلا اذا بِـصَمْته نقـصاً يـرى　　أو من زهيد الأكل يلقى الـضررا
عندئـذ مـن قولـه تبـدو الحِكـمْ　　والأكلُ يُنجي نفسه مـن الـسَّقَمْ

٥ – حكاية

كان شخص يكثر التوبة ثم يعود فينقضُها فقال له أحد المشايخ : مما لا أشك فيه أن عادتك أن تأكل كثيراً . وقَيدُ النفس «يعني التوبة» أدقُّ من الشعرة فكلما سَمِنَتْ نفسُك تقطَّع زنجيرها من الضيق وسيأتي يوم يكون لك فيه التمزيق .

بيت

رَبىَّ امرؤٌ جروَ ذئبٍ من جهالته   وحين أصبح ذئباً فاتكاً أكلَهْ

٦ - حكاية

ورد في سيرة ازدشير بن بابك أنه سأل طبيباً عربياً : ما مقدارُ الطعام الذي يلزم للتغذية في اليوم الواحد فقال له الطبيب : يكفي وزنُ مائةِ درهم فقال ازدشير : هذا المقدارُ ماذا يُعطي من القوةِ فأجابه الطبيب : «هذا المقدارُ يحملك وما زاد على ذلك فأنت حامِلهُ»

بيت

الأكلُ ما كان إلا للحياة ولم   فُ َ الحياةُ لأجل الأكل فاستفدِ

٧ – حكاية

كـان درويـشان مـن أهـل خُراسـان صـديقين حميـمـين فاتفقـا مـرة عـلى السياحة وكان أحدهما ضعيفاً يأكل في كل ليلتين مـرة والآخـر قويـاً يأكـل في اليوم ثلاث مرات، وصادف أن أُلقي القبضُ عليهما بتهمـة الجاسوسـية عـلى باب إحدى المدن فحُبسَ كل منهما في دار وطُيِّنَ عليـه بابهـا وبعـد اسـبوعين تبين أنهما بريئان من هذه التهمـة فَفُتحَ البـابُ عـلى القـوي فوُجِـدَ ميتـاً وعـلى الضعيف فَوُجِدَ حياً فعجب الناس من أمرهما فقال أحد الحكـماء : كـان لكـم أن تعجبوا لو كان الحالُ على خلاف هذا لأن الذي كـان يأكـل كثـيراً لَمَّـا فقـد القوتَ لم تبق له طاقة على احتمال ألمِ الجوع والآخر كـان قـد تعـود عـلى كـبح جماح نفسه فصبر على المكروه وبقيَ سالماً .

قطعة

من اعتادَ مطْلَ الجـوع حتـى يُميتَـه فليس يعاني غُصةَ الجـوع في المحـلِ
ومــن بلذيـــذ العـــيش رفّـــه نفـــسَه وصادف محلاً مات من قلـة الأكـلِ

٨ – حكاية

نهى أحدُ الحكماء ابنَه عن كثرة الأكـل قـائلاً : إن الـشبع يوقـع الإنـسان بالمرض فقال الولد والجوع يـا أبـتِ يهلـك، ألم تـسمع قـول الظرفـاء : المـوتُ

بالشبع خير من الحياة بالجوع فقال الأبُ حسناً ولكن تمسك بالاعتدال قال الله تعالى : «كلوا واشربوا ولا تسرفوا»

بيت

'تترك اِلجوف َ مملوءاً على تَأَقٍ ولا تَسِرْ لنحول الجسم بالجوعِ

قطعة

أشهى المآكل مما قد تُسَر به لو زادَ عن حده يؤذيك من جشعِ
يضركَ العسلُ الماذي مُتَّخِماً ويابسُ الخبز لا يؤذي بلا شبعِ

٩ – حكاية

قالوا لمريض ماذا يُريد قلبُك قال ما لايريدُه قلبي أصلاً

بيت

متى حل بالأمعاءِ داءٌ لتخمة فما بعلاجٍ عند ذلك تَصْلُحُ

١٠ - حكاية

كان لجزار بواسط مقدار من الدراهم على بعض الصوفية فأخذ يغدو عليهم ويروح في كل يوم ويُغلظ لهم الكلام فتكدر خاطر الأصحاب من عَنَته وما وجدوا بُداً سوى تحمل غلظته فتصدى لتأنيبهم وَرِعٌ منهم وقال: وعْدُ النفس بالمطاعم أيسرُ من وَعْد الجزار بالدراهم.

قطعة

أرى تركَ إحسانِ الأمير مفضَّلاً   على جفوة الحُجاب تُخزيك بالعار

ولَلموتُ خيرٌ من تمنيك مُضغةً   من اللحم تَلقى بعدها لؤمَ جزار

١١ - حكاية

حُكيَ أن أحد الكرماء أصيبَ بجراح خَطِرة في الحرب التي نشِبَتْ بين الفرس والتتار فقال له أحد عارفيه: إن فلاناً الغني عنده مرهم جيد فلو طلبت منه مقدار حاجتك فلعله يُعطيك وقيل إن ذلك الغني كان مشهوراً بالبخل.

بيت

فلو حلَّت محل الخبْز في سفرتهِ الشمسُ   لما شامَت محياها لأخرى دهرها الإنسُ

فقال الجريح : إذا طلبتُ منه المرهم فإما أن يعطي وإما ألا يعطي وإذا أعطى فيجوز أنه ينفعني ويجوز أنه لا ينفع وعلى كل حال فإن طلبي منه شيئاً سمٌّ قاتل .

بيت

فما تبتغيه من دنيء بمنة ... به بَسطة في الجسم إذ تَنقصُ الروحُ

وقديماً قالت الحكماء : إذا فُرض أن ماء الحياة لايُباع إلا بماء الوجه فإن العاقل لا يشتريه «لأن الموت بالعز خير من الحياة بالذل» .

بيت

كُلِ الحنظلَ من كف جَوادٍ حسَن الطبعِ

ولا الماذيَّ من كف امرىءٍ أقذَر من نِطْعِ

١٢ - حكاية

كان لأحد العلماء عيالٌ كثيرٌ ودخلٌ يسيرٌ فشكا حاله إلى أحد الكبراء وكان يُحسنُ الظن به كثيراً فلوى وجهَه عن أمنيتهِ ولم يُجز عَرْضُ السؤال من أهل الأدب قَبولاً عند حضرته .

قطعة

لخلـك لا تـذهَبْ بوجـهٍ مُقَطَّـبٍ	فتَعديـه ممـا أنـت فيـه وتجـرحُ
بـل اذهـبْ بوجـهٍ بالبـشاشةِ طـافحٍ	فكـلُّ زَهـي الوجْـه بـالنجح يَفـرحُ

وروي أنه زاد قليلاً في مرتبه ونقص كثيراً من تقربه وبعد أيام قليلة لما رأى أن محبته السابقة لم تبق على ما كان يعهد، قال:

شعر عربي الأصل

بـئس المطـاعمُ حـينَ الـذل تكـسبها	القِـدرُ منتـصبٌ والقَـدر مَخفـوضُ

بيت

زاد رزقـي وقـل مـاءُ المحيـا	فاحتيـاجي ولا مذلَّـةُ نَفـسي

١٣ - حكاية

قال أحد الظرفاء: ظهرت علائم الإملاق على رجل من النبلاء فقلت له: إن فلاناً يملك من المال ما لايُحصى فلو أوقفته على حاجتك فمن الجائز أنه لا يتأخر عن قضاء مأمولك فقال: أنا لاأعرفه، قلت: أنا أكون دليلَك

إليه، أخذتُ بيده حتى انتهيتُ به إلى منزل ذلك الرجل فلما دخل عليه رأى رجلاً قد جلس متهدِّلَ الشفة، عابسَ الوجه، فلم يَقُلْ شيئاً وعادَ أدراجَه فسألته ماذا صنعتَ فأجاب: وهبتُ عطاءَهُ للقائِه.

قطعة

لعابس الوجه لا تبد احتياجك إذ ... بقبح أخلاقه تؤذى فتضطربُ
إن كنت لا بد مضطراً فأبدِ لمن ... ترتاحُ من حسن لُقياه وتكتسبُ

١٤ - حكاية

جاءت سنة على الاسكندرية بقحط شديد حتى أُفلِتَ من يد الخلق زمام الطاقة على احتمال الفاقة وغلَّقت السماء أبوابها عن الغبراء وارتفع صُراخ أهل الأرض بالدعاء إلى عَنَان السماء.

قطعة

لم يبقَ وحشٌ ولا طيرٌ ولا بشرٌ ... إلا علا نوحُه للعرش من سَغبِ
دخُانُ أكبادهم إن لم يَعُد سُحباً ... والدمع غيثاً قَضيتُ العمر بالعجبِ

وهكذا في هذه السنة النكراء ألجأ الاضطرارُ إلى ذكر مخنث أبعده الله عن الأحبة الأبرار، لأن الكلامَ في وصفه تَركٌ للأدب وخاصة بحضرة أرباب الرُّتَب والاعراضُ كذلك عن وصف مثلِه لا يليق، لأن طائفةً من الناس ربما حملوا ذلك على العجز في البيان، إذن سأختصر وصفَه بهذين البيتين فالنزر اليسير يدل على الجم الغفير وقبضة شعير بمقدار نموذجٌ لحمل حمار.

قطعة

إما يُطح ترِيٌ رأسَ ذي خَنَثٍ   فليسَ للناس أن تقتصَّ من ترِي
شبيهُه جسر بغداد بأسفلِه   تجري المياه وظهرُ الجسرِ للبشرِ

هكذا أسمعني شخصٌ طرَفاً من وصفه في تلك السنة بأنه يملك نعمة لا تحصى وأنه يهب الفضة والذهب لأهل الضيق وسفرته ممدودة للغادين والرائحين على قارعةِ الطريق وقد همَّتْ جماعة من الفقراء من جور الفاقة أن يقصدوا سماطه وأتوا لمشورتي فأمَلْتُ رأسي عن موافقتهم وقلت:

قطعة

لا يقربُ الليثُ صيدَ الكلب من شرفٍ   لو مات في غابهِ من شدة السغبِ
فأطعمِ الجسمَ للجوع الميتِ ولا   تمد كفاً لنذلٍ غير ذي أدبِ

لا تحسب الغمر انساناً بما ملكت يداه لو كان «افريدون» في الرتبِ
فإنه ببرود الوشيِ زاهيةً مثلُ الجدار إذا تطليه بالذهبِ

١٥ - حكاية

قال ناس لحاتم الطائي : أرأيتَ أو سمعتَ بمن هو أعلى منك همةً في هذه الدنيا فقال : نَعمْ، نَحرتُ يوماً أربعين جملاً وخرجتُ إلى طرف البادية لأدعو أمراء العرب فرأيتُ حاطباً يحمل على ظهره حزمةَ شوك يريد بها المدينة فقلت له : لماذا لم تذهبْ إلى ضيافة حاتم فإن خلقاً كثيراً قد التفوا حول مائدته فالتفت إلي وأنشد :

بيت

أرى كل من بالكدح يُدرك خبزه فليس بمحتاج لمنة حاتمِ

فالحق أقول لقد رأيت ذلك الرجل أعلى مني همة وأكرم .

١٦ - حكاية

رأى موسى عليه السلام فقيراً قد سترَ جسمَه بالرمل من العُري فقال لموسى : ادعُ ليَ اللهَ أن يرزقني كفافاً فقد كاد الفقر يزهق روحي فدعا له اللهَ أن يمنحه ثروةً وبعد عدة أيام عاد موسى للمناجاة فرآه موثقاً وقد اجتمع

عليه خلق كثيرٌ فسأل موسى عليه السلام عن الداعي لهذه الحال فأُخْبِرَ بأنه شربَ خمراً فعربَد وقتل نفساً وقد سيق الآن للقصاص .

بيت

لـو أن الفقيـر الهـرَّ أضـحى مجنَّحـاً   لمـا كـانَ للعـصفورِ ذكـرٌ عـلى الـدنيا

بيت

فلـو أن ذا عجـزٍ تُوافيـه قـوةٌ   لكسَّر أيـدي العـاجزين بـلا ذنـب

فعندئذ أقر موسى عليه السلام بحكمة خالق العالم ومُقدِّر أقواتهم واستغفر من تجاسره على ربه وتلا معنى هذه الآية {ولو بسط الله الرزقَ لعباده لبغوا في الأرض} .

شعر عربي الأصل

مـاذا أخاضـك يـا مغـرورُ بـالخطرِ   حتى هلكت فليتَ النملَ لم يَطِرِ

قطعـة

إذا مـا وضـيعٌ نـال جاهـاً وثـروة   ففـي نيلهـا قتـلٌ لـه وأذاةُ

وذا مثَـلٌ ثـانٍ يفيـدُك ضَربُـه   بغـير جنـاحٍ للـنمال حيـاةُ

حكمة

عسل الوالد كثيرٌ ولكن الولد حرارته طبيعية فليس بحاجة إليه .

بيت

ذاك الــذي مــعَ نُعــماه فقــدتَ غنــى ... بــما يفيــدك أدرى منــك يــا ولَــدُ

١٧ - حكاية

رأيـت أعرابيـاً في سـوق الجـوهريين بالبـصرة فـسمعته يقـول : ضـللت الطريق بالبادية منذ أيام ولم يبقَ معي من الزاد ما أتبلَّغ به وفجـأة عثـرتُ عـلى كيس من الدُّر فطارلي من الفرح إذ ظننت أنه سوَيق ٌ وما أنْسَ مـن شيء لا أنسَ مرارة ذلك اليأسِ الذي اعتراني لَمَّا علمتُ أن ما في داخله لؤلؤ لا سَويق .

قطعة

في قــسوة البيــدِ والرمــضاءُ محرِقــةٌ ... سيان عند العِطاش الدرُّ والصدفُ

وعنــد فاقــدِ زادٍ عَــيَّ مــن لَغَــبٍ ... ســواء ألــذهبُ الوهــاج والخـزفَ

١٨ - حكاية

كان أحد الأعراب في الصحراء لشدة ظمئه يقول متمنياً :

شعر عربي الأصل

يـــا ليـــت قبـــل منيتـــي يومــــاً أفــــوز بمُنيتــــي
نهـــرٌ يلاطـــم ركبتـــي فأظـــل أمـــلأ قربتـــي

١٩ - حكاية

وهكذا تاه مسافر في فيافي الصحراء ولم تبق له قوة ولا قوت سوى دريهمات شدَّ عليها حزامَه وبعد الجهد الجهيد ما اهتدى إلى الطريق فهلك من المشقة لبعد الشُّقة ومرَّ به ناس فرأوه قد وضع دراهمه قدامه وخط على الثرى هذين البيتين :

قطعة

لـــو أن النـــضارَ الجعفـــري جميعَـــه بكفـــك مـــا أغنـــى وأنـــت بـــلا زادِ
ولـــو نلـــتَ في البيـــداء قطعـــةَ سَـــلْجَمٍ على الجوع قد تُغنيكَ عن كل إسعادِ

٢٠ - حكاية

عمري ما شكوتُ من جور الزمان ولا عبستُ في وجه الفلَكِ مدة الدوران إلا في وقتٍ واحدٍ اشتد فيه من الحفا ألَمي ولم أملك القدرةَ على شراء حذاءٍ أسترُ به قدمي فدخلتُ مسجد الكوفة وأنا مضطربُ القلب وإذا برجل مقطوع الرجل فوعظتني حالتُه ورأيتُ أن الحفا بالنسبة إليه نعمةٌ يجب عليَّ لله شكرها.

قطعة

الطائر المشوي في نظر امرئٍ	شبعانَ دون البقلةِ الحمقاءِ
والسلجم المطبوخ أهنأ أكلةٍ	في عين جوعانٍ على الرمضاءِ

٢١ - حكاية

خرج أحد الملوك للصيد مع نفر من المقربين إليه فدَهَمَهم الليل وقد ابتعدوا عن العاصمة فلاح لهم بيت دهقان فقال الملك: لنذهب الليلة إلى هناك حتى لا نعاني شدة البرد فقال أحد الوزراء: لا يليق بقدر الملوك الالتجاءُ إلى بيت دهقان صعلوك فيجدر بنا أن نضربَ هنا خيمةً ونضرمَ النار. ولما وصل خبرهم إلى الدهقان هيأ من الطعام ما قدر عليه وأحضره أمام الملك وقبَّل الأرض بين يديه وقال: قدر الملك السامي مع هذا المقدار

لا يتَّضع ولكن قدر الدهقانُ يريد أنْ يرتفع . فلقي كلامه قبولاً عند الملك فانتقل في تلك الليلة إلى منزله وفي الصباح أغدق عليه نعمه وخلع عليه خلعةً سنيةً . وسمعتُ أنه مشى عدة خطوات في ركاب الملك وأنشد مترنماً :

قطعة

لم ينتقِص شرف المليك وقدرُه ... لما أتى لضيافه الدهقانِ
لكنما الدهقان لما زارَهُ ... ملكُ الورى استَعْلى على كيوانِ

٢٢ - حكاية

حكوا عن متسولٍ ملحاحٍ يملك نعمةً وافرةً فقال له أحد الملوك : نرى أنك تملِك من المال ما لا يُحصى وعلينا مُهمةٌ فإذا ساعدتنا ببعض مالِك بصفة قَرض فسنرده إليك متى وردَ محصولُ الولاية فقال المتسول : لا يليق بقدر ملك الأنام السامي أن يُلوِّث يَدَ همته بمال متسولٍ مثلي جُمِعَ حبةً فحبةً فأجابه الملك : لا تغتم فأنا أعطيه التتارَ لقوله تعالى {الخبيثاتُ للخبيثين}

شعر عربي الأصل

قالوا عجينُ الكلس ليس بطاهرِ ... قلنا نَسُدُّ به شقوقَ المبرزِ

بيت

اذا مـــاءُ بئـــر للنــصارى مـــنجس　　　فميتَ اليهود اغسلْ به دون أن تخشى

وسمعتُ أنه لوى برأسه عن أمر الملك وأخذ يقيم الحججَ الواهيةَ بوقاحة متناهية فأمر الملك بعد أن رأى منه ذلك الصنيعَ أن يُستخلص مضمون أمره من ذلك الوقح بالزجر والتقريع .

رجز

إلا يَجِئْـــكَ عمـــلٌ بـــاللطفِ　　　فليخرجَنْ حتماً بأقوى العسفِ
إذ كـــل مـــن لنفـــسه لايـــرحَمُ　　　فحقـــه مـــن غـــيره لا يُـــرحَمُ

٢٣ – حكاية

رأيت غنياً يملك من المال حِمْلَ مائة وخمسين جملاً وله أربعون عبداً ومثلهم من الغلمان . دخل عليَّ غرفتي ليلةً في جزيرة [كيش] ولم يسترح طول الليل من كثرة الهذَر . فكان يقول : فلان شريكي بتر كتسان ولي بضاعة بهندستان وهذه البطاقة سندٌ بأرضٍ على فلان والشيء الفلاني بكفالة فلان . وتارة كان يقول : إن السفر إلى الاسكندرية يملكُ عليَّ فكري لأن جوَّها لطيفٌ ومرة يقول : لا، لأن بحر المغرب مَخوف وقال لي غيرَ مرة : ياسعدي

ورائي سفرٌ آخرُ فإذا انتهيتُ منه فسأجلس بزاوية اعتزالي بقيةَ عمري وأترك التجارة فقلت : أي سفر ذاك فقال : أريد أن أذهبَ بالكبريت الفارسي إلى الصين لأنني سمعت أنه هناك ذو قيمة غالية ومن هناك سأجلب الأقداح الصينية إلى بلاد الروم والديباج الرومي إلى الهند والفولاذ الهندي إلى حلب والمرايا الحلبية إلى اليمن والبرود اليمانية إلى فارس . ومن بعد ذلك سأترك التجارة وأتخذ لي دكاناً أجلس فيه . وظل يهذي هذيان المحموم بمثل هذه الأفكار الفاسدة ولما لَّم يبقَ بجعبته شيء من ذلك الهُراء قال لي : يا سعدي حدثني أنتَ بما رأيتَ أو سمعتَ فقلتُ :

رباعية

أما سمعتَ بحادي الركب حين هَوى | بجانب (الغَوْر) عن إحدى نجائبه

فقال : لا تمتلي عينُ الحريص سوى | من التراب فهل ينأى بجانبهِ

٢٤ – حكاية

سمعت أن غنياً كان مشهوراً بالبخل شهرة حاتم الطائي بالسخاء ظاهرُ حاله مُزدانٌ بنعمة الدنيا، وخسة طبيعته متمكنة كذلك في قرارة نفسه، ما جادَتْ يده لأحد من الخبز بكسرة ولا خادَعَ هِرَّة أبي هريرة بلقمة، ولا

ألقى لكلب أهل الكهف عظمة، والخلاصةُ أن داره ما رآها بشرٌ مفتوحةً وسفرته ما شهدها أحدٌ ممدودة.

بيت

مـا شـم مـسكينٌ روائـحَ زاده   والطيرُ لم تَلْقُطْ فُتاتَ طعامهِ

فسمعت أنه قصد مصرَ عن طريق بحر المغرب متخيلاً فرعونَ في سر قوله تعالى «حتى إذا أدركه الغرق» وإذا بعاصفةٍ هوجاءَ دارت بالسفينة كما قالوا:

بيت

مَلُولُ السجايا لم يُوافقْه قلبُه   وقد تغرُق السفن العواصفُ في البحرِ

فرفع يديه بالدعاء وأخذ ينوح ويستغيث بلا جدوى كقوله تعالى «فإذا ركبوا في الفُلْك دعوا الله مخلصين له الدين».

قطعة

برفعك الكفين نحو السما   ماذا تفيد البائسَ المعدَما

تديرها لله عند الندا   وتحت إبطيك بوقت النَّدى

قطعة

جُـدْ بـما أنـت جـامعٌ مـن نُـضارِ   وعـلى الـنفس لا تكـن بالبخيـلِ
إن قـــصراً شــيَّدته لخلـــودٍ   سـوف يُمسي لـوارثٍ أو خليـلِ

وروي أنه كان له بمصر أقاربُ فقراءٌ فاغتنوا ببقية ماورثوه من ماله ومزقوا بموته أسمالهم الباليةَ ولبسوا بدَلها الخز الدمياطي ولقد رأيتُ أحدهم في ذلك الأسبوع على جوادٍ فارهٍ وغلامٌ ملائكيُّ الطَّلعة يجري وراءَه فقلتُ في نفسي :

قطعة

يــا إلهــي لــو أن ميتــاً بلحــدٍ   عـاد حياً عـن أهلـه لـن يحـولا
لتمنـــى المـــمات مَـــنْ ورثـــوه   دون رد المـــيراث رداً جمـــيلاً

ولسابق المعرفة ما بيننا أخذتُ بكمه وقلت :

بيت

كُــلْ هنيئــاً فأنــتَ أفــضل ممــن   مـاتَ مـن بعـد كدحـه جوعانـا

٢٥ – حكاية

وقعت سمكة قوية في شبكة صياد ضعيف ولم يُطق ضبطها فغلبَتْه واختطفَتْ الشبكة من يده وغاصَتْ في الماء .

قطعة

وردَ النهرَ يطلبُ الوِرْدَ طفلٌ   فطغى ماؤه فنالَ الهلاكا
كل حين تصيدُ حوتاً شِباكٌ   رُبَّ حوتٍ بالبحر صادَ الشباكا

فأفِ الصيادون ولاموه قائلين : أيقع مثل هذا الصيد في شبكتك ولا تستطيع أن تحتفظ به فقال : أيها الإخوة ماذا أصنع، لم تكن رزقاً لي وهي كذلك قد بقي لها رزق في الدنيا .

حكمة

الصياد العديم الرزق في دجلةَ لا يَصيد سمكة، والسمكة التي لم ينقطع رزقها لاتموتُ ولو كانت في اليابسة .

٢٦ – حكاية

رجل مقطوع اليد والرجل قتل [أم الأربع والأربعين] فمر به متدين فقال سبحان الله مع هذه الأرجل الكثيرة التي لها ما استطاعت الهرب ممن لا يدَ له ولا رجل حين انتهى أجلُها .

رجز

إن لَـزَّك العــدو في يــوم الوهَــلْ وقيَّد الرجل عن الجرْي الأجلْ
وقــد تلاحقَــتْ وراءَك العِــدى فـما سـلاحٌ مُنجيـاً مـن الـرَّدى

٢٧ - حكاية

رأيت أحمقَ سميناً يرتدي كساءً ثميناً تحته مُهرٌ عربيٌ وعلى رأسه بـرنسٌ مصري. قال لي شخص: يا سعدي كيف تـرى هـذا الـديباج المُعلـمَ عـلى هـذا الحيوان الأعجم؟ فقلت:

«خط قبيحٌ ولكنه مكتوبٌ بماء الذهب»

شعر عربي الأصل

قــد شــابه بــالورى حمــارُ عجــلاً جــسداً لــه خــوارُ

قطعة

لم أقــل صــارَ ذا آدميــاً بنقــوش تُزهــى عــلى أثوابِــهْ
كــل مُلْــكٍ لديــه يَحــرُم إلا دَمُــه لــو يــراقُ في محرابــهْ

قطعة

لا تظن الشريفَ يُمسي وضيعاً إنْ وهَتْ لافتقاره أَسبابُهْ
واليهوديُّ لا يَصيرُ شريفاً إن تُصفَّحْ بعسجَدٍ أبوابُه

٢٨ – حكاية

قال لص لمتسول : أما تستحي أن تمد يدك أمام كل لئيم لأجل |حبة فِضة| فأجابه المتسول :

بيت

لَمَدُّ يدي خيرٌ لحبةِ فضةٍ ولا قطعُها يا لصُّ في رُبْع دينار

٢٩ - حكاية

حكوا أن مُلاكماً زهقت روحه من معاكسة الدهر فشكا إلى أبيه سَعة الحلق وضيق الرزق والتمس منه أن يأذنَ له بالسفر قائلاً : لعلي بقوَّة ساعدي أضم ذَيلَ مرامي إلى راحةِ يدي .

بيت

هباءً يـضيع الفـضلُ مـا دامَ لايُـرى　　　ضعِ العودَ في نار وَفُتَّ من المِسكِ

فقال الأبُ : أي بني أزلْ عن رأسك خيالَ المحال وجُرَّ رجل القناعة في أذيال السلامة لأن العظماء قالوا : الحظ ليس بالسعي فخفِّضْ من غلوائك .

قطعة

بـالعزم لاتُـدركُ مـا تـشتهي　　　لكـي تُـرى بـين البرايـا أمـيرْ

فـسعيُك الباطـلُ شِـبهٌ لـه　　　وَسْمٌ على حاجب عين الضريرْ

بيت

بزُلفك لـو كـلُّ العلـوم تعلَّقـت　　　لما زدتَ إفضالاً وحظُّك نائمُ

بيت

تخور القوى مَعْ قلة الحظ فالفتى　　　بطـالع سـعدٍ لا بقـوة سـاعدِ

فقال الولد : أي والدي فوائدُ السفر كثيرةٌ فمنها نزهةُ الخاطر وجذبُ الفوائد ورؤيةُ العجائب واستماعُ الغرائب والتفرجُ على البلدان ومحاورةُ

الخلان وتحصيلُ الجاه والأدب وزيادةُ المال والمكسب ومعرفةُ الأنام وتجربة الأيام، هكذا قال سالكو الطريق .

قطعة

مادمتَ في حانوتِ دارك قابعاً لم تُمسِ إنساناً لنفسك هاديا
سِرْ في فجاج الأرض وانظر حُسنها من قبل أن تُمسي بلحدك ثاويا

فقال الأب : أيها الولد منافعُ السفر على هذا النمط الذي قلتَه لاتحصى ولكنْ المسلَّمُ بفائدتها خمسة أصناف . الأول تاجرٌ لوفرة نعمته وامتلاكه الغلمان والجواري الحسان هو كل يوم في مدينة وكل ليلة بمقام وكل حين بمتَنَزَّه يتمتع بنعيم الدنيا .

قطعة

بالقَفْرِ لا يلقى المنعَّم غُربةً ما دامَ يتخذ الخيامَ مُقاما
أما الفقيرُ فخاملٌ في داره وبقُطره لمْ يعرف الإكراما

الثاني عالمٌ بعذب منطقه وقوة فصاحته ووفرة بلاغته أنىَّ ذهب يكون مُقدَّماً ويعيش مُكرَّماً .

قطعة

كخـالصِ تـبرٍ ذو المعـارف قـدْرُهُ　　　لدى الناس محفوظٌ يُزانُ به الإلـف
وذو الجهل في البيت الرفيـع عـمادُه　　　كزائــف نِقَــْد لا تقلبِّــه كُــَف

الثالث ذو محيا جميل تميل قلـوب الزهـاد لمخالطته وتنجذب لمحادثته فتعد صحبته غنيمة وخدمته منة عظيمة كما قيل: جمال قليل خير من مال كثير والوجه الجميل مرهم جراح القلوب المرهقَة ومفتاح الأبواب المغلقة.

قطعة

ذو الحسن يلقى احتراماً حيث حلَّ وإن　　　لاقـى مـن الأهـل تعـذيباً وتغريبـاً
رأيــتُ ريــشةَ طــاووس لــدى وَرَقٍ　　　بمــصحفٍ غيَّبوهــا فيــهِ تغييبــاً
فقلـت: ذي رُتبةٍ كَيـفَ انفـردتِ بهـا　　　فحـزتِ مـا لم يكـن في الـدهر محـسوبا
فقالت اسكت فأهـل الحسن حيث مضوا　　　يَلقَــوْن عِــزاً وتكــريماً وتقريبــاً

قطعة

ذاولـد يُسبي القلـوب مَوافـقٌ　　　تـبرأ منـه والـد فـاطردِ الظَّنـا
فـذا لؤلـؤ قـد كـان في صـدفاته　　　فلـما نـأى عنهـا بجـوهره أغنـى

الرابع ذو الصوت الحسن الذي بحنجرته الداودية يوقف الماءَ عن الجريان والطير عن الطيران وبواسطة هذه الفضيلة يصيد قلوبَ الرجال ويرغب أرباب المعاني في منادمته في كل حال .

شعر عربي الأصل

سمعي إلى حسن الأغاني	من ذا الذي جَسَّ المثاني

قطعة

فما أحسن الصوتَ الرخيم فإنه	لسمع الندامى في الصباح صَبوحُ
يَزيدُ به حُسنُ المحيا ملاحةً	إذ الصوتُ سِحرٌ ما إليه طُموحُ
فحسنُكِ هذا تبلغ النفسُ حظَّها	به وبحسن الصوت تنتعشُ الروحُ

الخامسُ ذو الصنعة الذي يحصِّل قوتَه بكدٍّ يمينه وعرق جبينه حتى لايريق ماءَ وجهه أمام نذلٍ لرغيف خبز كما قالت العقلاء :

قطعة

ومحترفٍ نائي الديار لَو انَّه	مُرقَّعُ أثواب فليسَ يَجُوعُ
ومالكُ نصفِ الأرض لو ساء حظه	سيحيا حياةً في الأنام تَروعُ

فهذه الصفات التي بينتها هي الموجبة لجمعية الخاطر وطيب العيش للمسافر وأما من خلا عن هذه الفضائل فسعيه في الدنيا خيال باطل وما أَحد يسمع اسمه أو يحس رسمه .

قطعة

ألا كلُّ من دار الزمان بعكسه   فأيامه تهديه في غير صالحِ
وكل حَمامٍ ليس يألَف عُشَّه   فلا بد أن يُرمى بإحدى الجوائحِ

قال الولد : بأي برهان ياأبتِ أُخالفُ قول الحكماء حيث قالوا : الرزق ولوناً مقسوم ولكن التعلقُ بأسباب الحصول عليه شرط واجب والبلاءُ ولو أنه محتوم فإن الاحترازَ عن الدخول في أبوابه من أوجب المطالب .

قطعة

إن كان رزقك مقسوماً فليس بلا   سعي ليأتيك ياذا العقل والدينِ
أو كان عُمرك محتوماً فمن سَفَهٍ   أن تُلقيَ النفسَ في أشداق تِنينِ

فبهذه الصورة التي أستطيع فيها أن أصادم الفيل الحردان وأصارع الأسد الغضبان فمن المصلحة أن أسافر إذ لم تبق لي طاقة على احتمال هذه الفاقة .

قطعـة

إذا مـا امـرؤٌ عـن دارهِ طوَّحَـت بـهِ يـدُ الـدهر فالآفـاقُ طُـراً مـسارِحُهْ
إلى قــصره يــأوي الغنــيُّ عــشيةً وذو الفقر في الظلماءِ كُثْرٌ مطارِحُهْ

قال هذا ونهض مشمراً عن ذيل الهمة فودَّع أباه وجرى مسرعاً وسمعوه ينشد عند ذهابه :

بيت

عــارفٌ الفـذ إمَّـا الحـظُّ عاكـسَه فحيـثما حـلَّ لم يـذكر لـدى النـاسِ

حتى انتهى إلى ساحل ماء شديد الاضطراب والمد تتدحرج الحجارة منه حين يطغى عن الحد وإلى مسافة فرسخ دويه يمتد .

قطعة

ـاء مخـوفٌ لـو ان الـبطَّ عـام بـه ' رأى الأمن بـل ألـوى بـه التلـفُ
بـسيفِه لـو رحـى طاحونـةٍ قُـذفَتْ :ن لظلـَّت بـأوهى المـوج تنجَـرِفُ

فرأى جماعةً من الرجال متأهبين للسفر وكلُّ امرىءٍ منهم جالسٌ بأجرته عند المعبر وقد ربط أمتعته، وحيث كانت يد الفتى مغلولة عن العطاء بسطَ للحاضرين لسانَ الثناء ومع كثرة توجعه ما أعانوه بل قالوا وعَنَوه .

بيت

بلا ذهب لم تَقوَ يوماً على امرىءٍ فإن حُزتَه أغناكَ عن قوة الجسمِ

وكذلك الملاح عديم المروءة سخر منه وقال :

بيت

بلا ذهب لن تَركب البحر غاصباً ولا بقوى عَشْرٍ فَهيىءْ لنا الأجرا

فاستشاط الشابُّ غضباً من هذه الطعنة النجلاء وصمم على الانتقام منه وكانت السفينة قد أقلَعتْ فصرخ قائلاً : إذا قَنِعتَ بهذا الثوب الذي يسترني فارجع وخذه غيرَ آسف عليه فأدار الملاح السفينة طمعاً فيه .

بيت

إن الشراهةَ تُعمي عينَ صاحبها ويهلك الطيرُ بالأطماع والسمكُ

فبمجرد ما وصلت يد الفتى إلى طوق الملاح ولحيته جذبه إليه وانهال عليه باللكمات دون محاباة وأسرع صديقه من السفينة ليكون ظهيرا له فلقي كذلك لكماتٍ قاسيةً فولى مدبراً ورَأيا من المصلحة أن يصالحاه ويسامحاه بأجرة السفينة .

رجـز

متـى تـرَ الـشر فكـن ذا صـبرِ ... فـاللينُ قـد يغلـق بـاب الـشرِّ
كـن لينـاً في المـأزق الخطـيرِ ... لـسيفُ لا يَعمـلُ بـالحريرِ
تقـدر بالعـذْبِ مـن الخطـابِ ... بـشعرة تقـود فيـلَ الغـابِ

فوقعا على قدميه معتذرين عما بدر منهما وقبلا رأسه وعينيه نِفاقاً وأدخلاه السفينةَ وأقلعا حتى إذا انتهوا إلى عمود في عمارة يونان قائم بالماء قال الملاح : حصل خلل بالسفينة فمن كان منكم أشد قوة وشجاعة وسطوة فليصعَدْ إلى أعلى العمود فيربط به حبل السفينة لنصلحها فهم ذلك الشاب لغرور القوة الذي برأسه وما افتكر بكيد العدو المجروح الفؤاد ولا عمل بقول الحكماء حيث قالوا : من أذقْتَ قلبَه الألَم مرةً ولو أعقبتها في راحته مائة كرة فلا تأمن أن يَفتكِرَ ذلك الألم الفَرْدَ لأن النصل يخرج من الجرح ويبقى تألُّمُ القلب .

قطعة

يا حسنَ ما قاله بكداشُ من قِدَمٍ ... لخِيلِتـاشٍ لكـيلا يجهـلَ الخُـدَعا
إن تُلفِ خصمَك في الهيجاء مرتعداً ... أمـام سـيفك فاتركْـهُ بـه قِطعـا

قطعة

فإيـاك لا تـأمن فتـى ضـاق صـدرُه لخطب رماه من يـديك عـلى ضِـغنِ
عـلى قلعــةٍ لا تـرم يومـاً حجـارة فتلقي بأحجار عليـك مـن الحِصْنِ

وما كاد يلفُّ حبل السفينة على يده ويصعد إلى أعلى العمود حتى قطعَ الملاحُ الحبل وأقلع فبقي ذلك المسكين في مكانه مشدوهاً يكابد المحنة ويعاني الشدة وفي اليوم الثالث عقَد النومُ أجفانه فوقع في الماء وبعد يوم وليلة قذفه الموج على الساحل وهو بآخر رمق فأخذ يأكل أوراق الأشجار وجذور النباتات حتى إذا وجد قليلاً من القوة مضى على وجهه هائماً في الصحراء وبعد الجوع والعطش والضنى وصل إلى حافة بئر عليها أناس التفوا حولها حين رأوه وكانوا يبيعون شربَة الماء بفَلس وهو صِفر اليد فاستسقى فأبوا فمد لهم يد التعدي فما قدر وتكاثر عليه من حضر فغلبوه فوقع بعد الصدام جريحاً.

قطعة

إن البعوضة تؤذي الفيـل مَعْ حَـردٍ بطبعـــه واعتـــزازٍ في ضـــخامتهِ
والنمـل إن يجتمـع يومـاً عـلى أسـدٍ يمـزق الجلـدَ منـه مـعْ شراسـتِهِ

فسار وراء القافلة مضطراً لمرضه وجرحه حتى وصلوا ليلاً إلى محل خطر تكمن فيه اللصوص فرأى جماعته يرتعدون من الخوف وقد أيقنوا بالهلاك فقال

لهم الشاب : لا تخافوا ما دام بينكم بطلٌ مثلي يستطيع أن يصرعَ خمسين رجلاً وعلى الشبان المساعدة، فقويت بكلامه عزائمهم وفرحوا بصحبته وأسعفوه بالزاد والماء وقد كانت نار معدته عاليةَ اللهب وعِنان الطاقة من يده قد ذهب، فتناول من الطعام قدرَ مشتهاه وشرب من الماء ما كان يتمناه فارتاح شيطانُ معدته واختطفه النوم فنام. وكان في القافلة شيخ حنكته التجارب وعركته من الأيام النوائب فقال : أيها الأحباب إن خوفي من حاميكم هذا أكثر من خوفي من اللصوص. فقد حُكي أن أعرابياً جمع دريهمات، وخوفاً من اللصوص لم يرقد بمنزله منفرداً فأحضر أحدَ أحبابه لتزول وحشته برؤيته فأقام بصحبته عدة ليال حتى عثر على الدراهم فأخذها وهرب. وفي الصباح رآه الناس عُرياناً باكياً فسألوه : ما دهاك هل سرق لصٌّ دراهمك؟ فأجاب : لا ولكن حامي الدار هو الذي سرقها.

قطعة

مـا كنـت آمـنُ للأفعـى فأمـسكَها مـا دام يَكمُـنُ في أنيابهـا أجـلي
كيـف َ آمـنُ مـن يُبـدي مودتَـهُ ونابُـه نـابُ أفعـى حـينَ يبـسمُ لِي

قال الشيخ : وما يدريكم أيها الأحباب أن يكون هذا الشاب أيضاً من جملة اللصوص واندَسَّ بينكم لهذا الغرض حتى إذا سنحت له الفرصة دل عليكم أصحابه فأرى من المصلحة أن نتركه نائماً ونسرع بالذهاب فجاء

تدبير الشيخ محكماً وتملكت مهابةُ الشاب أفئدتَهم فشدوا رِحالهم وتركوه نائماً فلما أحس حتى ألهبت الشمس كَتِفَه ورفع رأسه فإذا القافلة قد سافرت وبحث كثيراً عن الطريق فلم يهتدِ إليه فوضعَ خده على الثرى وقلبَه على التَّهلكة غَرثانَ صاديا .

شعر عربي الأصل

مـــن ذا يُحــــدثني وزُمَّ العــــيسُ　　　　مـا للغريـب سـوى الغريـب أنـيسُ

بيت

إذا مـا النـوى لم يكسب المـرءَ رقـةً　　　　يكــن قاســياً دومــاً عــلى الغربــاء

وبينا هو في هذا الكلام إذا بابن ملك كان قد تباعد عن العسكر وراء طريدة فوقف على رأسه وسمع ما قاله وتفرَّس في هيئته فرأى طهارة ظاهر صورته وتَشتُّتَ حالته فسأله : من أين أنت وكيف وقعت في هذا المكان؟ فقصَّ عليه طرفاً مما مر على رأسه فرقَّ له وأغدق عليه نعمه وقرنه برفيق معتمد حتى أوصله إلى بلدته ففرح أبوه بمشاهدته وشكر الله على سلامته وفي تلك الليلة حكى لوالده كل ما جرى على رأسه من حالة السفينة وجور الملاح والقرويين وغدر الجماعة المسافرين . فقال الأب : يا ولدي ألم أقل لك حين سفرك أن فراغَ اليد يغلُّ يد الشجاعة ويقلِّم أظفار البطولة .

بيت

يا حسنَ ما قال صِفرُ الكف ذو خطرٍ		نـزرٌ مـن التِّـبر خـير مـن قـوى أسـدِ

فقال الولد : أي والدي، ما لم تظهر المشقةُ لم تستخرج الكنز وما لم تخاطرْ بالنفس لم تنل الظفر على العدو وما لم تبذر الحب لم تحصد البيدر، ألا ترى أنني برأسهال يسير من الألم أدركتُ هذه الخزائنَ الثمينةَ وبالسم الذي تجرعته ذقت حلاوة ما جمعتُه .

بيت

وإن لم تكـــنْ إلا نـــصيبَك آكـــلاً		فلا تقعدَنْ ما عشتَ عن طلب الرزقِ

بيت

فلـو رَهِـبَ الغـواصُ تِمـساحَ بحـره		لمـا نـال في يـوم نفيـساً مـن البحـرِ

حكمة

حجر الطاحون الأسفل غيرُ متحرك فلا جرم كان يتحمل الحمل المثقل .

قطعة

أيرتزق الضرغامُ في الخيس مضغةً ... وإن وقعَ البازي فيه فهل يغني
وإن أنت رُمتَ الصيد في الدار أصبحَت ... شباكُك نسجَ العنكبوت من الوهنِ

فقال الأب: يا بني في هذه المرة ساعدتك دورة الفلك وهداك الإقبال إلى النوال، فخرج وردك من شوكه إذ أخرجتَ الشوكَ من قدمك واتصل بك صاحب دولة فرحمك وأنعم عليك وبتفقده جبر كَسْرَ حالك ومثلُ هذا يقع في النادر والنادر لا يُبنى عليه حكم.

بيت

ما ابنُ آوى لصائد كل حين ... رب يوم بنمر غابٍ يُصادُ

تشبيه

كما أن ملكاً من ملوك فارس كان عنده حجر خاتم ثمين فخرج للتفرج مرة مع عدد من أخصَّائه إلى (مُصلَّى شيراز) فنزعه من يده وأمر أن يوضع على قبة (عَضُدِ الدولة) وأن كل من أجاز سهمَه منه فهو له واتفق أن كان في خدمته أربعمائة من أمهر الرماة وكلٌّ أخطأ المرمى إلا غلامٌ كان على الإسطبل يتلاعب بالسهام فأجاز منه سهمَه فمُنِحَ له الخاتم وما لا يحصى من

النعم وبعد هذا أحرق الغلام القوسَ والسهام فقيل له : لماذا فعلت هذا؟ فقال : حتى يبقى اعتباري الأولُّ بمحله .

قطعة

قــد يــزلُّ الحكــيم ذو النظــر الثــا قـــــب لمــــا يخونـــــه التـــــدبيرُ
ويــصيب الأهــداف َ عــن غــير قــصد حــين يرمــي الــسهامَ طفــلٌ غريــرُ

٣٠ - حكاية

رأيت درويشاً أوى إلى كهف وانقطع عن الدنياغلق بابها عنه ولم تبقَ شوكةٌ لسلاطين الدنيا وملوكها بنظر همته .

قطعة

من راح يفتح أبواب السؤال على الـ ـنفس الضعيفة أودى وهو في تعبِ
دعْ عنك ذا الحرصَ في الدنيا تعش ملكاً ولا تكــن طامعــاً تــصعدْ إلى الرتَــبِ

واتفق أن أشار لكرم أخلاقه أحدُ ملوك تلك الجهة راجياً منه أن يوافقه على لقمة خبزٍ وملحٍ يتناولها عنده فرضي الشيخ لأن إجابة الدعوة منةٌ منه وعاد الملك في يوم آخر لزيارته والتشرف بخدمته فنهض العابد

واحتضنَ الملك وتلطف به ولما فارقه الملك سأله أحدُ أصحابه قائلاً: إن ملاطفتك للملك بهذا المقدار كانت خلافَ عادتك فما الحكمة في ذلك يا ترى؟ فقال: أو ما سمعت ما قالوا:

قطعة

إذا مـا امـرؤٌ يومـاً تناولـتَ زاده   فكـانَ لـه حـق عليـك بـها أبْـدى
ولم تـستطع رداً لـسابق فـضله   فعـذرُك أن تُثني عليـه لما أسـدى

رجز

قد تصدف الأذنُ مدى هـذا العُمُرْ   عـن نوحـة النـاي ونغمـة الـوتَرْ
وتـصبر العـين عـلى الزمـانِ   عـن رؤيـة الأزهـار في البـستانِ
مـن لم يجـد مخـدةً مـن ريـشِ   فليـضع الـرأسَ عـلى الحـشيشِ
ومـن عـن الفـراش خِلُّـه نـأى   فليحـضن الـنفس ويغفـو هانئـاً
لكـنها الجـوف الـذي لا يـشبَعُ   عـلى المـدى برزقـه لا يقنـعُ

الباب الرابع في فوائد السكوت

١ - حكاية

قلت لأحد الأحباء: وقع اختياري على حسم مادة الكلام لما أنه في غالب الأوقات يصادف في القول وقوع الجيد والرديء وعين العدو لا تقع إلا على الرديء فقال: أيها الأخ الأفضل ألا ينظرَ العدوُّ الجيد.

بيت

كمالُـكَ في عـين الحـسود نَقيـصةٌ   و[روضةُ]سعدي في عيون العدى شوكُ

شعر عربي الأصل

وأخـو العـداوة لا يمـر بـصالحٍ   إلا ويلمــزه بكــذابٍ أشِرْ

بيت

من نور عين الشمس تزدهرُ الدنى   وبـأعين الخُفـاش أقـبحُ مـا يُـرى

٢ - حكاية

خسر تاجر أثناء تجارته ألف دينار فقال لولده : يلزم ألاَّ يقعَ هذا الخبر الذي لم يطَّلعْ عليه غيري وغيرُك بسمع أحد، فقال الولد : الأمر لك يا والدي ولكن أطلعني على هذه الفائدة لأعرف ما هي المصلحة في الكتمان فقال الأب : حتى لا تكون المصيبة الواحدة علينا مصيبتين إحداهما خسارة رأس المال والأخرى شماتةُ الأنذال .

بيت

لا تقل |لا حول| ما بينَ العِدى　　　فبلا حولَ يُسَرُّ الشامتونْ

٣ - حكاية

شاب عاقل له في فنون الفضائل حظٌ وافرٌ وطبعٌ نادرٌ، ولكنه إذا جلس في محافل العقلاء لا ينبس ببنت شفة أصلاً فقال له أبوه مرة : أي بني لِمَ لا تتكلم أنتَ أيضاً بمالَكَ به علمُ فقال : أخشى يا أبتِ أن أُسأل عما ليس لي به علم فأخرجَ من المجلس خزيانَ نادِماً .

قطعة

سمعتُ بأن صوفياً تَحفَّى　　　فراحَ يَدُق مِسماراً بنَعلِ

فأمـــسكَ كمَّـــه شُرطـــي جَـــيْشٍ وقـــالَ: تعـــالَ سَـــمِّر نعـــلَ بَغـــلي

بيت

مـا دمـت لم تنطـق فلـستَ مطالبَـاً ومتـى نطقـتَ فبالـدليلِ تُطالَـبُ

٤ - حكاية

وقعت مناظرة ما بين أحد العلماء المعتَبرين ورجلٍ من الملحدين فما جاراه في ميَدان المناظرة ولا أسكتَه بحجةٍ باهرةٍ ورجع من أمامه عاجزاً مدحوراً. فقال له شخصٌ: أنت مع كل مالك من علم وأدب وفضل وحكمة تُقهر أمام ملحد فأجاب: إن علمي القرآن والحديث وكلام الفقهاء وهو لا يُصغي إلى كل هذه ولا يعتقدها فأيُّ فائدة لي إذن من سَماع كفره.

بيت

مَنْ لا الكتابُ ولا الحديثُ يَروقُه فجوابُـــه ألاَّ تُريـــهِ جوابـــا

٥ - حكاية

رأى جالينوس الحكيم أبلَهَ آخذاً بتلابيب رجل عاقل وقد أهان بالضرب كرامتَه فقال: لو كان هذا عاقلاً لما انتهى به الحال مع جاهلٍ إلى هذا الحد.

رجز

مــا بــين عــاقلين لا حقــدَ ولا يعانــد العــالمُ يومــاً جــاهلا

إن أغلــظ القــول ســفيهٌ جاهــلُ يُلِــن لــه القلــبَ الحكــيمُ العاقــلُ

لا تُقطــعُ الــشعرةُ بــينَ اثنــينِ ذي أدَبٍ ورَبِّ طبــــعٍ شــــينِ

وإن يكــن كلاهمــا ذا جَهــلِ بيــنهما يُبَــتُّ أقــوى حبــلِ

قطعة

قبــيح الطبــع ســبَّ فتــىً نبــيلاً فــأعرض عــن بذاءتــه وأغــضى

وقــال: جهلــتَ أقــبحَ مــا بنفــسي فلــستُ بكاشــف عيبــي لــترضى

٦ - حكاية

كان سحبان وائل في الفصاحة منقطعَ النظير فإذا خطب في محفل سنة فلا يكررُ اللفظ وإذا اضطر إلى ترديد معنى من المعاني أبانَ عنه بأسلوب يغاير الأول وهذا السلوكُ مما تفردَتْ به آدابُ نُدماء الملوك.

قطعة

إذا جــاءَ منــك القــولُ عــذباً محبَّبــاً خليقــاً بالاستحــسانِ يختلــبُ اللبَّــا

فإيــاكَ والإكثــارَ منــه فإنــهُ وإن يَــكُ ماذِيــاً فقــدْ يَــبهَظُ القلبــا

٧ - حكاية

سمعت عن بعض الحكماء أنه قال : إن أحداً من الناس لا يُقر بجهله أصلاً إلا ذلك الذي يعترض غيره وهو في أثناء الكلام فيقطع عليه الحديثَ قبل التمام .

قطعة

أيـا ذا الحجـى للقـول بـدءٌ وغايـة   فلا تحشر الأقوالَ في بعضها حَشْرا

إن الأديـب الحـقَّ مـن لـيس قـائلاً   إذا لم يجـدْ للقـول مـن يَسمعُ الـذكرى

٨ - حكاية

سأل بعضُ عبيد السلطان محمود، حسنَ الميمندي : ما الذي قاله لك السلطانُ في هذا اليوم بخصوص مصلحةٍ كذا؟ فقال حيث إنه كان لا يخفي عنكم شيئاً فحالي إذن في أمرِ هذه المصلحة كحالكم، فقالوا له : أنت أمين سر المملكة وما يخُصُّكَ به السلطان من السر لا يجوز أن تُفشيَه لأمثالنا، فقال : ما دمتم تعرفون أنه مُعتَمِدٌ عليَّ بكتمان سره فلماذا إذن تسألونني؟

بيت

للـنفسِ لا تُفـشِ أسرارَ المليـك فـما   للنـاس أفشى لبيـبٌ كـلَّ مـا عَلِـما

بيت

إذا ما حكى سراً لك المَلْكُ قالَةً فصُنْها ولا تحسَب مقالتَه لِعبْا

٩ - حكاية

كنت متردداً عند شراء دارٍ مُعدَّةٍ للبيع فقال لي يهودي : أنا من سكان هذه المحلة القدماء فاسألني عن الدار فإن لي معرفةً بصفتها، إشترِها فليس بها عيبٌ أصلاً فقلتُ له : أجَلْ لا عيبَ بها إلا مجاورتك لها .

قطعة

إن داراً لها كمثلِك جارٌ لا تساوي إلا دارهمَ عَشرا

غير أني من بعد موتك أرجو أن تساوي ألفاً دنانيرَ صُفرا

١٠ – حكاية

مثُلَ أحد الشعراء بين يدي رئيس عصابة من اللصوص فامتدحه بقصيدة فأمر أتباعَه أن يَسلُبوه ثوبه ويُلقوا به خارج القرية فعدَتْ وراءَه كلابُها تنبحه، فانحنى يريد حجراً فلم يجد لأن الأرض كانت متجلدة ولما

رأى نفسه عاجزاً عن دفعها قال: من هم هؤلاء أبناء الزنا الذين جمعوا الحجارة من الأرض وأطلقوا علي الكلاب؟ فسمعه رئيس اللصوص وهو في حجرته فضحك وقال: أيها الحكيم أطلب مني ما تريد فأجابه الشاعر أريد ثوبي إذا أمرت بالإحسان إلي:

بيت

قد يأمل المرء خيراً من أخي كرم فـاكفف أذاك فـما بـالخير لي أمـلُ

مصراع: رضينا من نوالك بالرحيل.

فرقَّ الرئيس عندئذٍ لحالة وأمر برد ثوبه إليه وخلعَ عليه قباء من الفرو ونَفحه بمقدار من النقود.

١١ - حكاية

دخل منجمٌ إلى منزله فرأى غريباً جالساً مع امرأته فشتمه أقبحَ شتيمة وثارت بينهما فتنة، فوقف متدين على تلك الحال فقال:

بيت

بـدارك لم تـدرِ مـاذا جـرى فـماذا دريـتَ بـأوج الفلـكْ

١٢ - حكاية

خطيبٌ كريهُ الصوت كان يظن أنَّ وقْعَ صوته جميلٌ على الأسماع مع أنه مزعج لدى الإيقاع فكأنه نعيبُ غراب البين في إبْرَدَة] الحانه أو أنه آية «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» في عنوانه.

شعر عربي الأصل

إذا نهـق الخطيـب أبـو الفـوارسْ ... لـه صـوتٌ يَهُـدُّ اصطخرَ فـارِسْ

وكان رجال القرية يتحملون أذاه لمنصبه واتفق أن أحد خطباء ذلك الإقليم كان يُضمرُ له عداوة فجاء للسؤال عن حاله وقال له: رأيت لك مناماً أرجو أن يكون خيراً فقال: ماذا رأيت؟ فقال هكذا رأيتُ أنه أصبح لك صوت جميل والناس عادت ترتاحُ إلى أنفاسكَ. ففكر الخطيبُ ملياً وقال: ما أبركَ رؤياك لأنها أطلعتني على عيب نفسي وعرفتني بقبح صوتي وأن الناس من نفسيَ يتألمون فقد تُبتُ من بعد هذا ألا أخطب إلا متأنياً.

قطعة

وإني ليـؤذيني نِفـاقُ صـحابتي ... لتحسينهم عنـدي مـساوئَ أخلاقـي

يـرون عيـوبي في الفـضائل غايـةً ... وشـوكي زهـوراً ذات عَـرفٍ وأوراقِ

فـأين عَـدوٌ لي عـلى النقـدِ قـادرٌ ... فيكـشفَ عيـبي إذ يمـزقُ أطـواقي

١٣ – حكاية

كان رجل يتطوع للأذان بمسجد سِنجار مع أن المستمعين ينفرون من صوته وكان مؤسسُ المسجد أميراً عادلاً حسَن السيرة فلم يشأ أن يؤلم قلبه فقال له يوماً: أيها الفتى إن لهذا المسجد مؤذنين قدماء كل منهم يتقاضى شهرياً خمسةَ دنانير وأنا أعطيكَ عشرة على أن تنتقل إلى محل آخر وعلى هذا وقع الاتفاق ومضى، وبعد مدة عاد إلى الأمير وقال أيها السيد لقد خَسِرْتني إذا وجَّهتني من هذه البقعة بعشرة دنانير وهناك حيث ذهبتُ أعطوني عشرينَ ديناراً على أن أذهبَ إلى محلٍ آخرَ فما قبلت فضحك الأميرُ وقال: حذارِ أن تقبَلَ فإنهم يَرضونَ أيضاً بخمسين ديناراً.

بيت

تُخدِّشُ وجهَ المرمرِ الفأسُ إن هوت عليه ومنك الصوتُ قد يخدِشِ القلبا

١٤ – حكاية

كان رجلٌ منكرُ الصوت يقرأ القرآنَ بصوتٍ عالٍ فمر به متدين فقال له: ما مقدارُ مشاهرتك فأجابَ: لا شيء فقال له: ولماذا إذن تكلف نفسك؟ فقال: أقرأ لأجل الله فقال له المتديّنُ: أناشدُكَ لأجل الله ألا تقرأ.

بيت

ما دمت تتلوه بصوتك هكذا فابشرْ بِمحوِكَ رونق الإسلام

الباب الخامس في العشق والشباب

١ – حكاية

قالوا لحسن الميَمندي : ما بالُ السلطان محمود على كثرة ما يملكه من الغلمان الذين كل واحد منهم في الحسن آيةُ دهره لم يُحبَّ أحداً من أولئك محبته لأياز مع أنه لم يكن بارعَ الجمال فقال : كل ما علق بالقلب فإن العين تراه جميلاً .

قطعة

ن يلـقَ مـن سـلطانه اعتبـاراً … فقبحُـه في الحسن لا يُجَـارى
ومـن عليـه غَـضبَ الـسلطانُ … جَفَـتْ حِمـاهُ الأهـلُ والخـلانُ

قطعة

متـى مـا بعـين الـسُّخط أبـصر مبـصرٌ … رأى يوسـفي الحـسن في غايـةِ القـبحِ
وإن يـرَ في عـين الـرضى وجـهَ قِـردةٍ … رأى وجه مَلْك لاح في وَضَح الـصبحِ

٢ – حكاية

حكوا أنه كان لسيدٍ غلامٌ نادرُ الحسن وكان يراعيه حسب المودة والديانة فقال يوماً لأحد أصدقائه : بِوُدِّي أنَّ هذا الغلامَ مع ماله من حسن بارع لم يكن طويلَ اللسان عديم الأدب فأجابه : يا أخي لا تتوقع منه خدمة حيث أقررت بمحبته إذ ما دامَ في الوسط عاشق ومعشوق فلا يمكن أن يكون هناك خادم ومخدوم .

قطعة

غـلام كبـدر الـتِّم لاح جبينُـه فداعبَـه مـولاه مـن شـدة الوجـدِ

فلا بِدْعَ أنْ أبدى الغـلام تـدللاً وأصـبحَ مـولاه أذلَّ مـن العبـدِ

بيت

ألعبـدُ للـسقي أو للطـين يَـضربُه والعبدةَ البِكْـرَ خـذْ لِلَّكـمِ لا الطـينِ

٣ – حكاية

رأيتُ عابدا أو قعه الغرام بحب غلام وانهتَك ستره بين الأنام وبقدر ما كان يرى من الملام ويتحملُ من الآلام لم يترك تصابيه ولم يُقلِع عما هو فيه وينشد :

قطعة

عَلقتُكَ لاتنفك عني على المدى ولو أنَّ عنقي منك بالسيف يُضربُ
فما لي ملاذ عن هواك وملجأ ومالكَ عني حيثما كنتَ مَهربُ

ولقد لمته مرة وقلت له : ما الذي حصل لعقلك النفيس حتى تغلب عليه ذلك الحب الخسيس؟ فأطرق طويلاً ورفع إلي رأسه وقال :

قطعة

كل قلب صار عرشاً للهوى ليس للتقوى به يُلفى مَحلْ
هل يدُ البؤس تُنقي ذَيلَ من غاصَ حتى أذنيهِ في الوحَلْ

٤ - حكاية

شابٌ سلبَ الهوى لبَّهُ وملك قلبَهُ فاستسلم للردى لأنَ مطمَحَ نظره بمحلٍ خَطِرٍ وورطة هلاك وضرر فليس لقمةً تأتي للفم حسب المراد ولا طائراً يُنصَب لَهُ الشَّركُ فيُصاد .

بيت

إذا عينُ من تهوى عن التبر أعرضت تساوى لديكَ التبرُ والتربُ في القدرِ

ولقد نصحه أصدقاؤه فقالوا له : دع عنك هذا الخيال الباطل لأن ناساً مثلك أُسِروا بهذا الهَوسِ الذي أَسَرك فزلَّت بهم القدم إلى مهاوي العدم فأخذ ينوحُ وقال :

قطعة

أخِلاَّيَ لا أهوى النصيحةَ منكمو   فطرفي بما يهوى الحبيبُ مُوَكلُ
أسودُ الحمى تَفري العدى بسيوفها   ومن جُؤذَرٍ في الحيِّ باللحظ أُقتَلُ

ليس من شرط المودة أن ينحرف القلبُ عن الأحباء خوفاً من هلاك الروح لأن العظماءَ قالوا :

رجز

أنتَ الذي قيدت نفسك فاحتجبْ   لا تدعي في حبه دعوى الكذبْ
إلاَّ تكن تقوى على قطع الطريق   فالموت شُرط في الهوى جد حقيقْ

رباعية

لما عجزتُ عن التدبير رُحتُ لَهُ   لا أَرهبُ الخصمَ إن بالسهم يرميني
إلا يدّي تلقَ من أذياله شرفاً   فالحزنُ في عَتباتِ القصر يُرديني

وما زال المتعلقون به يُعملون الفكرة في راحته ويشفقون عليه لسوء طالعه ويُسدون له النصيحة ليَحِلُّوا قيوده ولكن بلا جدوى .

بيت

مـا للطبيـب بلَعـقِ الـصبر يـأمرني والـنفسُ تَوَّاقـةٌ للـشهدِ في فيـهِ

قطعة

ألم تـسمعوا مـاذا أسرَّ كعاتـبٍ حبيبي لقلـب فـرَّ بـالأمس مـن يـدي
اذا أنـتَ لم تعـرف لنفـسك قـدرَها فلـستَ لقـدري آخـر الـدهر تهتـدي

فأخبروا ابن الملك عن حاله لأنه هو الذي كان مطمحَ نظره وخياله فقالوا له : هنالِكَ شاب رأيناه يتردد على طَرَفِ هذا الميدان وهو حسنُ الطبع حلو اللسان وقد سمعنا منه ألفاظاً لطيفةً ونكات غريبةً وعلمنا من حاله أنه مُشرَّد الفكر مضطرم الفؤاد واستبان لنا أنه مُولَّه مفتون وقد أفضى به العشق إلى درجة الجنون ففطن الولدُ أن قلب الشاب متعلق به وأن من المروءة أن يُزيحَ عنه طرفاً من هذا البلاء وفي الحال ساق جواده نحوه ولما رأى الشاب أن ابن الملك مُوَطدٌ عزمَه على الاقتراب منه بكى وقال :

بيت

سـعى إلي الـذي في حبـه تَلَفـي　　كظـامئ محـرقٍ للأخـذ بالثـارِ

ومع كثرة ملاطفته له وسؤاله عن اسمه ومحل اقامته والصنعة التي يُحسنها ما استطاع الشاب أن يَنبِسَ ببنتِ شفة لأنه كان غريقاً بأعماق بحر الهوى.

بيت

إذا تحفـظ الـسبع المثـاني وتعـشقُ　　وحاولـت ذكـرى أي حـرف ستخُفقُ

فقال له ابن الملك: لماذا لا ترد عليَّ جواباً فأنا كذلك من حَلْقة الفقراء وربما أن حلقتهم[1] موضوعة بأذني ولما قوي ذلك المسكين باستئناس محبوبه رفع إليه رأسه من بين تلاطم أمواج المحبة وقال:

بيت

وهـل في وجـودي مَعْ وجـودك غنيـة　　فـما قـول هيـا منـك يقـوى بـه نطقـي

قال هذا وصاح صيحة أسلم على أثرها روحه لخالقه.

بيت

لا تعجـبَنْ إنْ يَمـتْ في بـاب فاتنـهِ　　واعجبْ إذا روحه تنجو من العطب

---

(١) توضع الحلقة الذهبية عندهم علامة على الرق

٥ – حكاية

كان أحد المتعلمين كاملَ الصفات ذا بشرة نقية وأخلاق رضية فمال إليه معلمُه فما كان يستحسن أن يُرَتِّبَ عليه الزجر والتوبيخ كما رتب ذلك على غيره من الأطفال وفي غالب الأوقات كان ينشد :

قطعة

يا مليكي لو شفني الوجدُ ما كنـ ـت بنفسي شُغلتُ عن ذكراكا
لم يكن لي عن وردِ خديك صبر لو رمتني بنبلها لحظاكا

وذات مرة قال الولدُ : أيها المعلم كما اجتهدتَ في آداب درسي فتفضل كذلك بالنظر في آداب نفسي فإذا رأيت في أخلاقي شيئاً غير مقبول وكنتُ أراه حسناً فأطلعني على ذلك حتى أشتغل بتبديله فقال : اسأل عن هذا غيري أما نظري إليك فلا يرى إلا الفضلَ والاستقامة .

قطعة

أطفأ الله نورَ عين حسودٍ يُبصر الفضلَ فيك عيباً مُشينا
ويرى فضلَك الفريدَ محبٌ لو تَعدَّت عيوبُك السبعينا

٦ – حكاية

أذكر ذات ليلة أن صديقاً عزيزاً دخل عليَّ غرفتي فَهمَمْتُ لاستقباله فانطفأ السراج من كمي بدون اختياري.

«سرى طيفُ من يجلو بطلعته الدجى»

فعجبت من أين أقبلَتْ دولة حظي فجلس وابتدأ بالعتاب فقال: لماذا أطفأتَ السراج حينما رأيتني؟ فقلت لأمرين أحدهما أَنني توهمت أن الشمس أشرقت والآخر كما قال الظرفاء:

قطعة

اذا ما ثقيل سامَتَ الشمعَ واحتبى فقم وأرِحْ بالطرد من ظلِّهِ الجمْعا

وعذبُ اللَّمى حلوُ التبسم ضُمَّهُ إليكَ وأطفئْ إذ يطاوعكَ الشمْعَا

٧ - حكاية

مرت على شخص مدة طويلة لم يَرَ فيها خليله فلما رآه قال: أين كنتَ فإنني بشوق إليك فقال: المشوق خير من الملول.

رجز

يا صنمي المخمورَ أبطئ بالبِدارْ لاتُسرعِ الوَصلَ وإن تدنُ الديارْ
فالحِبُّ إنْ يبدُ قلِيلاً بقليلْ يفُز من المأمول بالقِسط الجليلْ

٨ – حكاية

الحبيب الذي يجيء مع الرفاق ما جاء إلا بالجفاء إذ لا يخلو الحال من الغَيرة والمنافسة بين الأحباء.

شعر

إذا جئتني في رفقة لتزورَني وإن جئتَ في صلح · فأنتَ مُحاربُ

قطعة

لوَ انَّ حبيبي مال للغير لحظةً لَمَا امتدَّ بي من غَيرتي أمدُ العمرِ
يقول :أسعدي إنني شمعُ مجلسي فإن تحترقْ فيه الفراشةُ ما وزري

٩ – حكاية

لا أزال أذكر فيما مضى من أيام الشباب أنني كنت وصديقاً لي في اتحاد الصحبة كفلقتي لوزةٍ ضمنَ قشرتها وقد وقع الفراقُ بيننا بغتة ولما آب

صديقي من سفره أخذ يعاتبني ويقول : لماذا لم تبعث إلي رسولاً طول هذه المدة فأجبته : تملكتني الغَيرة بأن تستنير عينُ الرسول بجمال وجهكَ وأكونُ أنا محروماً منه .

قطعة

إذا ما علاني السيفُ لَسْتُ بتائب فلا تَتَّهمني بالمتابِ عنِ الحُبِّ
أَغارُ إذا رَوَّى امرؤٌ منكَ لحظَهُ وهيهاتَ أن تَرْوَى لِحاظُ الفَتى الصبِّ

١٠ – حكاية

رأيتُ عالماً وقعَ في شرك غلام ورضي منه بالكلام وقد حمل جوره وتحمل جفاه فقلت له مرة بقصد النصيحة : أنا أعلم أنه لاعلةَ لكَ في هوى هذا الإنسان لأن بناءَ محبتك له لم يتأسس على المذلة ومع كل هذا فلا يليق بقدر العلماء أن يُلحقوا التهمةَ بأنفسهم ولا أن يتحملوا جور عديمي الأدب . فقال : يا أعز الأحباب أمسِك إليكَ يدَ العتاب عما جَرَّهُ الدهر ولقد فكرتُ كثيراً في هذه المصلحة التي تقولها فرأيت أنَّ تَجرُّع الصبر على جفاه أسهل من الصبر عن لقاه ولقد قالت الحكماء : وضعُ القلب على المجاهدة أهونُ من حَجْب النظر عن المشاهدة .

رجز

مـن لم تُنَـلْ مـن دونـه الرغائـبُ　　تَحمُّــل الجفــاءِ منــه واجــبُ
مـن أسـلم القلـب إلى حبيبـهِ　　لذقنـــه مُــدت يــدا رقيبـــه
ان قفَّـصَ الظبـيَ الأغـنَّ صـائدُ　　فــما لــه منجــىً ولا مــساعدُ
لم أنس يوماً صحتُ منه بالأمـانْ　　وكم قد استغفرت مـن ذاك الهـوانْ
لا يــألمُ الخليــلُ مــن خليلــهِ　　وضـعتُ قلبـي بهـوى مأمولـهِ
فـإن يَـصلْ بـاللطف يُحيى عبـدَهُ　　أو يجفُنـي فَهْـوَ العلـيمُ وحـدَهُ

١١ – حكاية

وكـذلك ابتليـتُ في عنفـوان الـشباب بجميـل تملَّكَ شَغافَ قلبـي لِما وُهبَ من صوت طيب الأَدا ومحيا كالبدر إذا بدا .

قطعة

ربــيَّ نبــاتَ عارضــهْ　　مـــاءُ حيـــاةِ عنـــصرهْ
فكــــل شيء ذاقَـــهُ　　يظنـــه مــــن أثـــرهْ

واتفق أن رأيـت منـه عـلى خـلاف المعتـاد حركـة غـيرَ مقبولـة فقطعـت صلتي به ولمت شذراتِ أفكاري عن محبته وقلت :

بيت

يا مُفشياً سرنا لاتفشِ سرَك في　　　حال وصاحبْ فتى ممن يواتيكا

وسمعت أنه كان يقول عند ذهابه :

بيت

إذا أعينُ الخفاش لا تقبل الضيا　　　فيوحى بِسوق الحُسن هيهات تكسُدُ

قال هذا وسافر فأثر فيَّ فراقه .

شعر عربي الأصل

فقدتُ زمان الوصل والمرءُ جاهلٌ　　　بقدر لذيذ العيش قبل المصائبِ

بيت

إن قَتلي بظل وصلك أحلى　　　من حياتي بالهجر والتعذيبِ

ولكن بمنة الباري وشكره لما عاد بعد مدة تغيرتْ حُنجرَتُه الداودية وباءت بالخسران محاسنه اليوسفية وعلا غبارُ العِذار على تفاحة ذقنه وتغير رونقُ حسنه . وتوقَّعَ أن احتضنه فضممتهُ وقلت :

قطعة

بخط عذار الحسن قد كنتَ تتقي		ســهام لحــاظ النــاظر المتطلِّــبِ
فأقبلتَ تبغي الصلح في غير حينهِ		«لـضم وفـتح» بانكـسار مخيِّـبِ

رجز

صَــوَّحَ يــا ربيــعُ منــكَ الزهــرُ		والنــارُ لا يفــورُ منهــا القِــدْرُ
فكـم تبخـترتَ بـساح شـوكتِكْ		وكـم حلمـت بازدهـار دولتـكْ
فاذهــب لمــن يطلــب أن يراكــا		وتِــهْ وفــاخرْ إنْ هُــوَ اشــتراكا

قطعة

يقول أناس خضرة الروض زينة		ومــن قــال هــذا بالحقيقــة أعلــمُ
ويَكْنونَ عن خط العذار وخضرةٍ		بهــا كــلُّ قلــب بــالجمال مُتــيمُ
تأمَّــلْ فللكُــراثِ أكــبرُ ميــزةٍ		على البقـل طـراً كلـما جُذَّ يَـنجُمُ

قطعة

عهدتُكَ قبلَ اليومِ كالظبي نـاعماً		فَعدتَ بهذا العام أخشنَ مـن فهـدِ
فسعدي يرى خدشَ المسلةِ مؤلماً		وإن كان في خط العذار أخا وجدِ

قطعة

ن اسطعت نتفَ الذقن أو كنت عاجزاً   فدولة ذاك الحسن ولّت يّدَ الدهرِ
ولو بيدي أسطيعُ مثلك نتفَها   لما نبتت في عارضيَّ إلى الحشرِ

قطعة

أسائله ما بالُ وجهك هكذا   تغَشَّاهُ نملٌ وهو كالبدرِ في الدجْنِ
فأبدى ابتساماً لَستُ أدري لعلَّه   بمأتمِ حسني يرتدي حُلةَ الحُزنِ

١٢ - حكاية

سألوا أحدَ المستعربين في بغداد : ما تقول في المُردِ فقال : لا خير فيهم ما دام أحدُهم لطيفاً يتخاشن فإذا خشُنَ يتلاطف . يعني ما دامت لطافةُ حسنهم يتخاشنون ومتى خشنوا أظهروا المحبةَ وتلاطفوا .

قطعة

ما دام أمردَ يُزهى من ملاحته   فطبعُه سيء والقولُ مرذولُ
حتى إذا نبتَتْ لِلَّعن لِحيتُه   أبدى تعطف أنثى وهو مخذولُ

١٣ - حكاية

سألوا بعض العلماء عما إذا اختلى أحد بمن وجهه كالبدر والأبوابُ مُغلقة والرقباء نيام والنفسُ طالبة والشهوة غالبة كما قال المثل العربي: «التمر يانع والناطور غير مانع» فهل تعلمُ أن شخصاً بسبب تقواه يمكن أن يَسلَم فقال: إذا سلم من ذي المحيا البدري لم يسلم من كلام العائب المزري.

شعر عربي الأصل

وإن سلم الإنسانُ من سوء نفسِه فمن سوء ظن المدعي ليس يَسلمُ

بيت

قد تعصمُ المرءَ تقواه وعفته لكنَّ ربطَ لسان الناس مُمتنعُ

١٤ - حكاية

وضعوا ببغاءَ مع غراب في قفص فكانت البغاء تكابد الآلام من قبح مشاهدته وتقول: ما هذه الطلعة المكروهة والهيئة الممقوتة والمنظر الملعون والطبع الذي ليس بموزون «يا غراب البين يا ليت ما بيني وبينك بعد المشرقين».

قطعة

متى لُحتَ صبحاً لامرئ خابَ فألُه وعـاد كلَيـلٍ صـبحهُ قاتِمـاً جـدَّا
فصاحبْ أخا نحس شبيهَكَ إن تجدْ وهيهات لا تتعبْ فلن تجد النـدَّا

والأعجب أن ذلك الغرابَ زهِقتْ روحه من محاورة الببغاء ومل مجاورتها واستمر ينوح ويُنحي باللائمة على الزمان ويضربُ يداً بأخرى من الغبن والهوان ويقول : ما هذا البختُ المنكوسُ والطالع المنحوسُ الذي حرمني تلك الأيام الزاهية الألوان التي تليقُ بقدري حيث كنتُ مع إخواني الزيغان أتبختر كل حين على حِياط البستان .

بيت

كفى العبَّادَ سِجناً أن يُزَجوا على كره بإسطَبْلِ السُّكارى

فأي ذنب ارتكبته يا تُرى حتى عاقبني الدهر فخرطني بسلك صحبة هذا الأبله القائل برأيه العديم الأصل فأمسيتُ مُبتلى بمثل هذا العابث المِهذار .

قطعة

أتحسب إنساناً يلوذ بحائط به رسموا للذعر صورتَك الشنعا

ولو كنتَ في الفردوس لاختارت الورى

لظا سقرٍ مأوىً فراحتْ لها تسعى

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن نَفرة الجاهل من العالم واستيحاشَه منه تفوق نفرة العالم من الجاهل مائةَ مرة.

قطعة

لمجلسِ سكيرينَ جاء أخو تقى فقالت له بَلخيَّةٌ تشبه الدرا

فما دام لا يحلو لك اليومَ حالُنا فدعنا فقد أمسيتَ في ذَوقنا مُرا

رباعية

جَمْعُنا في النظام باقةُ زهرٍ أنت ما بينها كعودِ الثُّمامِ

أنتَ كالريح عاصفاً في شتاء أو كثلج في أنحس الأيامِ

١٥ - حكاية

لي رفيقٌ صحبني عدة سنين في كل أسفاري وكان بيننا خبز وملح، وحقوقُ الصحبةِ التي لا تحصى كانت بيننا ثابتةً وفي آخر الأمر لنفعٍ يسير أجاز لنفسه تكديرَ صفوي وإيلامَ قلبي فانقطعتْ صلتي به ومع كل هذا لم يزل قلبُ كلٍ منا متعلقاً بصاحبه ولذلك سمعتُ أنهم لما أنشدوا في محفِل من كلامي هذين البيتين:

قطعة

أراني حبيبي الـدُّر عنـد ابتـسامه ... فأوْرى بملح مـن ملاحتـه جُرحـي
فهل جاد لي عنها بلمـس عـذارِهِ ... كما يلمس المحتـاج كُـمَّ أخـي مَنْحِ

شَـهِدَ الأصـدقاء لا عـلى لطافـة هـذا الكـلام بـل عـلى حـسن سـيرتهم وصفاء سريرتهم وبالغ هوكذلك من بينهم وتأسف على طرح تلـك الـصحبة القديمة واعترف بذنبه ولما عرفتُ أنَّ الرغبة موجودة أيضاً من طرفه راسـلته بهذه الأبيات وصالحته :

قطعة

أمـا كـان عهـدٌ بينَنـا قبـل بينِنـا ... فَلِمْ يا حبيب القلب لم تَفِ بالوعـد
عقدتُ من الدنيا عليكَ رغـائبي ... وما كان ظني أن تَحـولَ عـن العهـدِ
فعُـدْ لي إذا مارُمـتَ صـلحاً فإننـا ... سـنحيا كـما كنـا سـعيدَينِ بـالودِّ

١٦ - حكاية

كانت لرجل امرأة جميلة فماتت وبقيت في الـدار أمُّهـا العجـوز الخرِفـةُ بـسبب صَداق ابنتها المؤجـل وبقـي الرجـل متـألِّمَ القلـب مـن محاورتهـا وبحكـم الـصداق لم

يجد بداً من مجاورتها فقال له أحد هذه الطائفة : كيف حالُك بفراق حبيبتك العزيزة؟ فقال : إن عَدمَ رؤية امرأتي لم يكن أصعبَ علي من رؤيةِ أمها .

رجز

قد بقيَ الشوكُ لنهْب الوردِ   والصِّلُّ بعدَ الكنز ثاوٍ عندي

ما بينَ عينيَّ السنانُ يلمعُ   ولا أرى وجه عدو يُفزعُ

ألفَ صديق ما استطعتَ حايدِ   كيلا تَرى وجهَ عدو واحدِ

١٧ - حكاية

لا أزال أذكر أنني في أيام الشباب ترددتُ على شارع لأتمتع بالنظر إلى محيا يَخلِبُ الألبابَ وذلك في تموز الذي شدة حره تجفف الريق في الفم وسَمومه يذيب المخ في العظم فلم أستطع لضعفي كإنسان أن أتحمل حرارة شمس الهجير فالتجأت إلى ظل جدار مُترقباً من يطفئ لي غُلة الظمأ بشربة ماء بارد وبغتةً رأيتُ نوراً أشرق من دِهليزِ بيت مظلم . أعني جمالَ وجهٍ تعجز الفصاحة عن بيان صباحَته فكأنما هو صبح انبثق عن ليلٍ داجٍ أو أنه ماءُ عينِ الحياةِ اندفق من الظلمات، بيده قَدَحُ ماءٍ مُثلج فيه مُذابُ السكر فلم أدرِ أمُزِجَ بعَرقِ طلعته أو بماء ورد وجنته أم تقطرتْ فيه قطراتٌ من ياسمين محياه والخلاصة أنني تناولتُ القدح من فتنة يده فشربتُه وتداركتُ من أولِ عمري الماضي ما أهرَقتُه .

شعر عربي الأصل

ظمـأ بقلبـي لا يكـاد يُـسيغه
رشف الزلال ولـو شربتُ بحورا

قطعة

إن عينـاً تـرى محيـاً كهـذا
كـل صـبح لهـا الهنـاءُ يَـروقُ

شاربُ الخمر قد يُفيق وحتى الـ
ـحـشر مخمـور حُسنه لا يفيُـق

١٨ - حكاية

في السنة التي اختار فيها السلطان محمد خوارزم شاه الصلحَ مع مَلِك الخَطا دخلتُ جامع كاشْغَر فرأيت صبياً ملاحتُه بغاية الاعتدال ونهايةِ الجمال كما قالوا بأمثاله :

قطعة

كـلُّ حـينٍ مـن المعلـم درسـاً
يتلقـاهُ في الهـوى فَـضَّاحا

الجفـا والـدلالَ والظلـمَ للعـا
شـق والجـدَّ تـارةً والمُزاحـا

لم تـر العـينُ مثلَـه ربُـمَّا كـا
نَ مَلاكـاً أو كوكبـاً وضـاحا

بيده مُقدِّمةُ النحو للزمخشري وهو يرددُ «ضربَ زيدٌ عمرا وكان المعتدي عمرا» فقلتُ يا غلامُ خوارزم وخَطَا تصالحا وزيدٌ وعمرو لا تزال الخصومة بينهما قائمة فضحِكَ وسألني عن مولدي فأجبته أرضُ شيراز فقال ماذا عندك من أقوال سَعدي فقلت :

شعر عربي الأصل

بليت بنحوي يصولُ مغاضباً   عليَّ كزيد في الخصام على عمرو
على جر ذيل ليس يَرفع رأسَه   وهل يستقيمُ الرفع معْ عامل الجرِّ

فاستغرق بالتفكير مَلياً وقال : إن غالبَ أشعاره في هذه الأرض باللغة الفارسية فتفضلْ بما هو أقربُ لفهمنا لأجل القائل «كلموا الناس على قدر عقولهم» فقلت :

قطعة

مُذبتَّ بالنحو مشغوفاً أخا هوسٍ   محوتَ منا رسوم العقل يا أملي
شغلتنا بكَ من فرط الجمال ولَمْ   تزلْ بزيد وعمرو أنتَ في شُغُلِ

وفي الصباح حين وطدتُ العزمَ على السفر رأيتُه قد أقبل راكضاً «ولعل أحدَ أفرادِ القافلةِ أخبرَه أن صاحبَك هو سعدي» فأخذ يتلطف وعلى وَداعي يتأسف وقال : لماذا طوالَ هذه الأيام لم تقل إنك السعدي كيْ أفي

بحق الخدمة وأشد حِزامي لشكر قدوم العظماء فقلتُ: «مَعَ وجودك لا أستطيعُ أن أُشيرَ إلى اسمي». فقال: ماذا عليكَ لو استرحتَ أياماً في هذه البقعة لنغتنم خدمتك فقلت لا أقدر بسبب هذه الحكاية.

رجز

رأيتُ شيخاً عاكفاً في غارِ   ناءٍ به عن صحبةِ الأشرارِ
فقلتُ قمْ واذهبْ لبعض المدْنِ   تُلقِ عن القلبِ حمولَ الحُزنِ
فقال كم حوراءَ فيها ذاتِ دَلْ   تزلقَ رِجل الفيل منها بالوَحَلْ
قلت هذا وتعانقنا لِقُبَلِ الوَداع.

قطعة

إذا نلتَ من خِلٍ على الخدِّ قُبلةً   ففي ساعةِ التوديع تُمحى وتُدثَرُ
كتفاحةٍ، خدًّا كلينا لدى النوى   قد اصفر منَّها النصفُ والنصفُ أحمرُ

شعر عربي الأصل

إن لم أمت يوم الوداع تأسفاً   لا تحسبوني في المودة منصفا

١٩ - حكاية

رافقَنا في السفر إلى الحجاز درويش مُعدَم فتصدق عليه أحدُ أمراء العرب بمائة دينار لينفقَها على عياله وباغتَت القافلةَ لصوصُ |خَفاجَة |وسَلَبتْ أمتعتها وأموالَها فناح التجار وأعولوا فلم يُجدِهم ذلك نفعاً.

بيت

متى نال لصٌ من سَليبٍ مرادَهُ ... فهيهاتَ أنْ يَرثي لنوح سليب

إلا ذلك الدرويش فإنه بقيَ على حاله رابطَ الجأش لم يَظهَر عليه أثر التغير فقلت له: لعلَّ ما أعرِفُه عندَك لم يُسلَبْ فقال: بلى لقد سُلِبَ ولكن لم تكن أُلفتي له شديدةً بذلك المقدار حتى يتألمَ قلبي لفقدِه.

بيت

فإياك من ربط الفؤادِ برَغبةٍ ... فتعجز إن تطلُب لعُقدَتها حلاًّ

فقلت له: إن ذلك الذي قلتَه مطابق لحالي فلقد امتزجتُ في عهد الصِّبي بشاب حتى كان صِدق مودتي له بهذا المثاب، إذ جعلتُ قبلةَ عيني جمالَه ورأسمال عمري وصاله.

قطعة

أفي السماء ملاكاً كانَ أو بشراً　　فما على الأرض من في الحسن يحكيهِ
هيهاتَ أن أصطفي من بعد فُرقتهِ　　خلاً فَمنْ مثلُه في اللطف والتيهِ

وفجأة طوَّحَ به الأجلُ إلى مهاوي الثرى وارتفعَ دخانُ أكباد أسرته إلى عَنان السما فجاورت تُربته أياماً وكان من جملة ما قلته في فراقه هذان البيتان :

قطعة

ألا ليتني في حينَ حُمَّ لك القضا　　بسيفِ الردى قد أخمد الدهر أنفاسي
لئلا ترى عيني سواكَ وها أنا　　لدى الرمس أحثو التربَ دوماً على راسي

قطعة

ذاك الذي كان لا يأوي لمضجعِهِ　　ما لَم يُعطرْ بوردٍ أو بنِسرينِ
عدا على وردِ خديه البِلى ومحا　　بالشوكِ عن رمسِه زهرَ البساتينِ

ولقد وطدت العزم بعد فراقه وعقدت النية على أن أطويَ بساط الهوس بقيةَ عمري وأن لا أدخل حلقةَ مجلس طول دهري .

قطعـة

كنفـع البحـرِ لا يـوجـدُ لولا مَـوجُـه المُـردي
ولولا الشوكُ ما ملَّت بناني من جنَى الوردِ
كم اختلتُ كطـاووسٍ بجنـةٍ وصلـه أمسِ
وبـانَ فبتُّ كالثعبـانِ مطـوياً علـى نفسي

٢٠ - حكاية

حدثوا أحدَ ملوكِ العرَب عن مجنونِ ليلى واضطرابِ حاله وفتنتِه وأنـه مع كمال فضله وبلاغته هام على وجهه في البادية وأفلتَ من يده زِمـام إرادتـه فأمر بإحضاره فأحضِرَ فابتدرَه بالملام قـائلاً: مـا الخلـل الـذي رأيتَـه في شرف الإنسانية حتى لزمت الطبيعَةَ البهيميـةَ وتركـتَ المعيـشة الآدميـة، فحكـوا أن المجنون بكى وقال:

شعر عربي الأصل

ورب صـديقٍ لامنـي في ودادهـا   ألم يرَها يوماً فيوضِـحَ لي عُـذري

قطعة

ليـت الألى عـابوا عـلي تـدلهي　　　نظروك يا من قد أسرت ضميري
حتى إذا فتنـوا بحسنك قطعـوا　　　أيـديهمو شـغفاً بغـير شـعورِ

وما دامت حقيقة حسنها تؤدي الشهادة على دعوى محبتها فحسبي قوله تعالى: [فذلكن الذي لمتنني فيه] فخطر ببال الملك أن يطلع على جمال ليلى حتى يعرف ما هي تلك السَّحنة التي هاجت إلى حد عظيم هذه الفتنة فأمر بطلبها ففتشوا عنها فقادوها إليه وأوقفوها بباحة قصره بين يديه فتأملها فإذا هي سمراء نحيفة الجسم فبدَتْ حقيرة في نظره ولا عجب فإن أدنى خدام حرمه أبدعُ منها حسناً وأجمل زينة فأدرك المجنون ذلك بالفِراسة فقال: أيها الملك كان يلزم أن تنظر إلى ليلى من نافذة عين المجنون حتى يتجلى لك بمحبتها سرُّ جمالها.

رجز

أراك بـدائي لا تحِـسُّ وشِـقوتي　　　فمن لي بخلٍّ ذي هـوى وحنانِ
أكـون وإيـاه لـشكوى صبابتي　　　بنـار الهـوى عـودَين يحترقـانِ

شعر عربي الأصل

مـا مر من ذكـر الحمـى بمسمعي　　　لو سمعت وُرْق الحمى صاحت معي
يـا معشر الخلان قولـوا للمُعـا　　　فى لـستَ تـدري مـا بقلـب الموجَـعِ

قطعة

ما للأصحاءِ علمٌ بالألى مرضوا فلستُ أشكو الضنى يوماً إلى أحدِ
مَن لم يذق لسعةً من عقرب ورأى بَرحَ اللديغ انبرى للوم والفَنَدِ
يا صاح ما دمتَ لم تشعُرْ بحالتنا فلا تكنْ لهوانا شرَّ متقدِ
ما بالعذولِ كما بي من سَنا حُرقٍ فالملحُ في يدهِ والجُرح في كَبدِي

٢١ - حكاية

حكوا أن قاضي همدان سكر بمحبة ابن بيَطار فألقت به نعلُ قلبه في النار واستمر مدة من الزمن جاداً في طلبه وحسب واقعه يقول في تَطلُّبه :

رباعية

وقدٍّ كفرع السرو لاح لناظري فجرَّ طموحُ العين قلبي إلى حتفي
فإن رمتَ ألاَّ تُسلم القلبَ في الهوى إلى أي إنسان فغُضَّ من الطرْفِ

بيت

لم ألوِ عنك عِنان حبي مثلما لم تلتو الأفعى إذا هي رضَّتِ

وسمعت أن الغلام اعترض القاضي وهومار في الطريق فكال له الشتمَ والسبابَ بأقذع الألفاظ مُقابلَ ما سمعه عنه بأذنِه من التشبيب ورفعَ بيده حجراً ليضربه به ولم يترك له أيَّ احترام، كلُّ ذلك والقاضي يقول لأحد رفاقه وكان من العلماء المعتبرين :

بيت

أُنظر إلى عُقدة نكراء قد جَمعتْ — كلَّ المحاسن في تقطيب حاجبهِ

وكذلك يقولون في بلاد العرب «ضَربُ الحبيب زبيب»

بيت

على فمي لكْمةٌ بالجمْع من يدهِ — أحلى من الشهد يبدو سائغاً بفمي

وكما سبق فإن رائحةَ مسامحتِه فاحت من مَجمرَةِ وقاحتِه شأنُ الملوك يتكلمونَ بمنطق العظمةِ والكبرياءِ ويطلبون الصلح في الخفاء .

بيت

يبدو لك العُنقود مُزاً طعمُه — فاصبر عليه تجدْه حُلواً بالفمِ

قال هذا وعاد إلى مَسند القضاء فتقدم إليه جماعة من العدول الملازمين

خدمتُه وقبلوا يديه واستأذنوه بالكلام قائلين إننا نتكلم تأدية للخدمة ولو أسأنا الأدب لأن الكبراء قالوا :

بيت

لا يجـوز الكـلام في كـل بحـث   والخطـا لا يجـوز عنـه الـسكوتُ

ومن حيث إنَّ شُكر سوابق نِعَم المولى ملازمٌ لِعمر العبيد فإنهم متى رأوا أمراً في مصلحته ولم يخبروه به فقد ارتكبوا نوعاًمن الخيانة ولذلك فإن من الصواب ألاَّ تحوم حول هذا الطمع وأن تطوي دونه بساط الولَع لأن منصب القضاء قوي منيع فلْيُحذَرْ معه التلوثُ بهذا الخطأ الشنيع وإن هذا الشخص قد رأيته وقبحَ حديثه قد سمعتَه .

قطعة

من لم يصن مـاء الحيـاءِ بوجهـه   فحياء وجه النـاس لـيس يـصونُ

ومن انتمـى خمسينَ عامـاً للعـلى   فبزلـةٍ يُمحـى اسـمه ويَهـونُ

فارتاح القاضي لنصيحة أصدقائه وأثنى على حسن رأيهم وحِفظ ودادهم وقال : إن نظر الأعِزاء في صلاح حالي هو عين الصواب ومسألةٌ لا تحتاج إلى جواب ولكن :

شعر عربي الأصل

لــو أن حُبـاً بــالملام يــزولُ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لــسمعت إفكـاً يفتريـه عـذولُ

بيت

فلمني ما استطعتَ فلستَ تقوى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ عـلى غسل الـسوادِ عَنِ الزنـوجِ

قال هذا وأحال على الغلام ناساً يتفحصون حاله وبذل لاستمالته نعمة لا تحصى ولقد قالوا : كل من ذهَبُه في الميزان فقوَّتُه في الساعد .

بيت

مــن لم يكــن ذا قــدرة لم يجــدْ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ مـا عـاش في الـدنيا لـه مُـسعفا

بيت

يميـل للعـسجد الوهـاج مُبـصرهُ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ حتـى الحديـد وقـد عـدُّوه ميزانـا

والحاصل أنه تيسرت له ذات ليلة خلوة به وفي نفس الليلة سعى به الوشاة إلى الوالي بأن القاضي في كل ليلة تعبث في رأسه المدامُ ويلعب على صدره غلام وهو في هذا النعيم لا يفتأ ليله يترنم بهذه الأبيات :

قطعة

يا ليلة لم تَـصِحْ فيها الـديوكُ وقـد		بـات المحبـون ضَـماً تحـت ديبـاجِ
ما أجمل الصُّدغَ حول الخد منعطفا		والخـدُّ كوكـبُ ليـل مظلـم داجِ
كـأنْ همـا صـولجان الآبنـوسِ وقـد		نيطَـتْ بـه كـرة للقـذفِ مـن عـاجِ
حـذارِمـا دام طـرَفُ الـشر في سِـنة		أن تقطـعَ العمـر في بَـرح وإزعـاجِ
ما زلتَ في الفجـر لم تـسمع بمئذنـة		صـوتاً ولم تُـدعَ مـن طبـل لإدلاجِ
فـلا تـدع شـفةً كـالورد تَلثُمهـا		من صوتِ ديك بلا جدوى لإحراجِ

وبينا هو في هذه الحال إذ دخل عليه أحد أتباعه وقال: انهض وما دامتْ لك قدم تحملك فأسرعْ بالهرب فإن الحسادَ مَلكوكَ بهذه الذِّلة ولعلهم قالوا عنك حقاً وما دامتْ نار هذه الفتنة لم يشبَّ بعد سعيرُها فأطفئها بماءِ تدبيرك لئلا يتعالى في غد شررها وينتشرَ في العالم خبرها فنظر إليه القاضي متبسماً وقال مترنماً:

قطعة

إذا أنشب الـضرغام بالـصيد ظُفـرَهُ		فـإن نُبـاحَ الكلـب لـيس يَـضيرُهُ
أُمِـرُّ عـلى خديـه خـدي تـنعماً		فخـلِّ حـسودي يَـشتويه سـعيرُهُ

وكذلك أخبروا الملكَ في تلك الليلة بأن حادثاً منكراً وقع في مُلكك «فماذا تأمر؟ فقال: الذي أعلمه أن القاضي معدودٌ من فضلاء العصر وأفذاذ الدهر فربما أن خصومه خاضوا بحقه لِغرض فلستُ بمصغ إلى مثل هذا المقال ما لم أطَّلع بنفسي على حقيقة الحال لأن الحكماء قالوا:

بيت

باطن الكف من يلمس شبا خذِم   يعضّ بالسن ظهرَ الكف من ندمِ

وسمعت أن الملك اصطحب معه جماعة من خاصته وفي السَّحَر كان عندوسادته فرأى شمعاً منظوماً وجميلاً مخموراً وشراباً مسكوباً وقَدحاً مكسوراً والقاضي في غفوة السكر ليس عنده خبر بما جرى وبما سيجري فأيقظه الملكُ بلطف وقال له: قم فإن الشمس قد بزغت ففطن القاضي لما سيحل به فقال من أَيِّ جهة بزغتْ؟ فأجابه الملك من جهة المشرق فقال: الحمد لله حيث لا يزال بابُ التوبة مفتوحاً لقوله عليه الصلاة والسلام «لا يُغلق بابُ التوبة على العباد حتى تطلُع الشمس من مغربها» وأعقب ذلك بقوله: استغفر الله وأتوب إليه.

قطعة

ألا إن نقصَ العقل مَعِ نحسِ طالعي   هما أوقعاني في الخطيئةِ والبلوى
فإما تعاقبني فتلك عقوبة   لجانٍ وإنَّ العفوَ أقربُ للتقوى

فقال الملك: توبتك في هذه الحالة التي أيقنتَ فيها بهلاك نفسك لاتفيدك شيئاً قال الله تعالى «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسَنا».

قطعة

أتنجي اللصَّ توبتُه لكي ينجو من العطبِ

متى في وجهه سُدتْ جميع الطرْق للهربِ

فللمُفرطِ في الطول قل استبقِ إذا تَجني

قصيرُ القامة المسكينُ في منأى عن الغصن

أوَ بعدَ وجود مثل هذا المنكر الذي ظهر منك تتصور الخلاص قال هذا وتعلق به الموكلونَ بالعقاب، فقال: بقيتْ لي كلمةٌ واحدة في خدمة مولاي فسأله الملك ما تلكَ؟فقال:

قطعة

هيهات أجحد أو أملُّ مكارماً سبقت وثـِق ْ أني بعفوك عائذُ

ما زال لي أمل وجودُك شاملٌ أو رمتَ إتلافي فأمرُك نافذُ

فقال الملك: أتيتَ بكلمة بديعة ونكتة غريبة ولكن مما يمتنع في العقل ويخالف الشرعَ أن يخلِّصك اليوم فضلُك وبيانُك من مخالبِ عقوبتي وأرى المصلحةَ أن أقذف بك من أعلى القلعة إلى أسفل الخندق ليعتبرَ بك

الآخرون فقال : أيها الملك أنا ربيب نعمة هذا البيت ولستُ أنا وحدي الذي ارتكبَ هذه الخطيئةَ فاقذف من القلعة غيري حتى أعتبرَ أنا فتبسم الملك وعفا عنه وقال للذين وشَوا به وسعوا لهلاكه :

بيت

نـاءَت بحمـل العيـب أنفـسُكم لا تطعنـــوا في غـــيركم أبـــداً

٢٢ - حكاية منظومة

غـلامٌ جميـلُ الوجـهِ والخُلـق شـفَّه هـوى غـادة في الحسن لـيس لها نِدُّ
إلى البحـر ناداهـا فلبَّـتْ ليـسبحا فراحـــا بتيـــار وأعياهمـــا الجهـــدُ
فخـــف إلى الإنقـــاذِ مـــلاحُ زورقٍ ومـــد يـــداً والمـــوجُ يعلـــو ويمتـــدُّ
فـصاح الفتـى أنقـذ فتـاتي وخلنـي وشـأني فـإن المـوتَ مـا عنـه لي بـدُّ
وقـــال وأبـــدى للحيـــاة تجهُّـــماً مُريعـاً ووجـهُ المـوتِ أغـبرُ مربـدُّ
حديث الهوى لا تستمعه من امرئٍ جبَـانٍ بيـوم الـضيق لـيس لـه ودُّ
فقـبليَ كـم ضَـحَّى محـبٌّ بنفـسهِ لِصدق الهوى والمرءُ بالـصدق يَعتَـدُّ
وكم أوضح السعديُّ للحُب منهجاً كـما لاحَ في بغـدادَ للعـرب الـسعدُ
غلقْ عـن الـدنيا فـؤادَك واسـترحْ وجَفنـاً عـن الأغيـارِ قرَّحـه الـسهدُ
إذا بـــالهوى لـــيلى ومجنـــونُ خُلِّـــدا فعن قـصتي بالعـشق فليُنقَـلِ الخُلْـدُ

الباب السادس في الضعف والشيخوخة

١ - حكاية

بينا كنت مستغرقاً بالبحث مع طائفة من العلماء في المسجد الجامع بدمشق إذا بشاب دخل علينا من الباب وقال: أبينكم من يعرف اللغة الفارسية؟ فأشار الجماعة إليَّ فسألته ما شأنك فقال: شيخ سلخ مائة وخمسين ربيعاً تركته يعالج ألم النزع وهو يتكلم الفارسية ولم نفهم ما يريد فلو أنك كلفتَ نفسك وذهبت معي إليه لنلت أجراً جزيلاً إذ ربما يؤدي الوصية فلم أتردد وسرنا إليه جميعاً ولما جلست عند وسادته سمعته ينشد:

قطعة

أريد لأنفاسي امتداداً وفسحةً فأنّى وقد عيّت بمخرجها أفُّ

فمن سفرة العمر العزيز فواكها أكلنا ولم نشبع فقالوا لنا كفّوا

ترجمتُ للدمشقيين معنى ما قاله بالعربية فتعجبوا من طول عمره وتأسفه على الحياة الدنيا وسألته: كيف ترى نفسك في هذه الحالة؟ فأجاب: ماذا أقول وأنشد:

قطعة

ألا تـــرى أيَّ آلام تَنـــال فتـــى   من قلـع ضرس أصـابَتْها يـدُ الـزمنِ
قِسْ ساعةَالنزع ما حالُ الشقي وقد   سُـلَّتْ بهـا روحـه قـسراً مـن البـدنِ

فقلت له أطرد شبَح الموت عن مخيلتك ولا تترك الوهم يستحوذ على طبيعتك لأن الفلاسفة قالوا: المزاجُ مهما كان معتدلاً فلا يلزمُ أن يُعتَمد معه على البقاء، والمرضُ مهما كان مخوفاً فلا يمكن أن يدل دلالة قطعية على الهلاك. فلو أمرتَ فدعونا طبيباً لمعالجتك لكان خيراً لك فقال: هيهات وأنشد مرتجزا.

رجز

يُزخـرِف القـصرَ الأمـيرُ المـنعَمُ   والقـصرُ مـن أساسـه يَنهـدِمُ
قد ييأسُ الطبيبُ إذ يرى الخرَفْ   مـن المـريض إنْ مزاجُـه انحـرفْ
يحتـضِرُ الـشيخُ لقـربِ الأجـلِ   والـزوجُ تَطليـه بـدُهن الـصندلِ
أجَـلْ إذا مـا انحـرف المـزاجُ   فـلا الرُّقـى تُجـدي ولا العِـلاجُ

٢ – حكاية

حُكيَ عن شيخ أنه قال: كنت عقدت قراني على فتاة بِكر وخلوتُ معها بحجرة مزينة بالورد والزهر وربطت نظري وقلبي بحبها وهجرتُ

نوم الليالي الطوال إذ خلوتُ بها وأخذتُ أورِدُ لها اللطائفَ والنكات لكي تستأنسَ فلا تحِس بالوحشة وذات ليلة قلت لها : إن طالعك العالي كان لكِ مُسعداً ولحْظَ دولة إقبالك كان مستيقظاً إذ أوقعاك بصحبة شيخ حنكته التجاربُ وعركته النوائب فتحمل من الأيام حرَّها وقرَّها وذاق من الليالي حُلوَها ومرَّها وجرب جيدها ورديها فعرف حقَّ الصحبةِ وقام بواجب شرط المودة ولذا فهو مُشفِق راحم ذو حنان مع حُسْن في الطبع وعذوبة في اللسان .

قطعة

أحاول أن أرضيكَ جهد استطاعتي وإن تؤذني فالصفح مني بلا عَتْبِ
وإن كنتَ كالببغاءِ تُغذى بسُكرٍ فروحي قَندٌ فاربَ من حبَةِ القلبِ

ولم يسلماكِ بيد شاب مُعجَب بنفسه عنيد غير ذي رأي سديد بخفة القدم كلَّ لحظة يطبخُ هوى بشكل جديد ينامُ كل ليلة بمكان ويَهيمُ كل يوم بإنسان .

بيت

من البلبل الطماحِ لا تطلب الوفا فمن وردةٍ طوراً إلى وردة يَصبو

أما طائفة الشيوخ فيحيَونَ بالعقل والآداب لا على ما يقتضيه طيشُ الشباب .

بيت

إصطحبْ إن وجدتَ أفضل مني　　　فاصطحابُ الأنداد بالمرءِ يُزري

قال : وعلى كثرة ما سِقتُ لها من النوادر على هذا النمط توهمتُ أن قلبها وقع في قيدي وأصبحَ من صيدي وإذ بها صعَّدت فجأة من قلبها نفساً فاتراً من فؤاد مُفعَم بالألم وقالت : إن جميع ما قلتَه لا يبلغ بميزان عقلي وزنَ كلمة سمعتها من قَهر مانتي حيث كانت تقول : إن الشاب لو أنه سهم في جنب المرأة لكان خيراً لها من الشيخ الهَرِم .

شعر عربي الأصل

لما رأَتْ بين يَديْ بعلها　　　شيئاً كأرخى شفةِ الصائمِ

تقول هذا معه ميِّتٌ　　　وإنما الرُّقيةُ للنائمِ

رباعية

متى غضبت يوماً على المرء زوجُه　　　فكم فتنةٍ في الدار تعلو بلا عطفِ

إذا الشيخ لم تنهض [عصاه] لطعنةٍ　　　فرفعُ العصا منه عجيبٌ على الإلفِ

والحاصل أنه لم تمكن الموافقة فكانت النهاية المفارقة ولما أكملتْ عِدتها عقد نكاحها على شاب عبوس الوجه صِفْرِ اليد رديء الطبع فعانت منه الجَوْر والجفاء والألم والعناء ومع ذلك فقد كانت توالي شكر النعمة لله فتقول : الحمد لله الذي أنقذني من العذاب الأليم وأوصلني إلى هذا النعيم المقيم .

قطعة

بجنبكَ نيرانُ الجحيم تلذ لي ... ولا مع سواكَ العيشُ في جنة الخلدِ
فنَتنُ فمٍ من ذي مُحياً موردٍ ... ولا من يديْ شيخ قبيح شذا الوردِ

قطعة

أَلحليُ والديباجُ والعطر وما ... يُبقي على الوجه جمالَ جِدَّتِهْ
ذا زينةُ المرأة إن حققته ... وزينة المرء مِضاء آلتِهْ

٣ – حكاية

كنت ضيف شيخ في ديار بكر عنده مال كثير وله غلام كالبدر المنير فقال ذات ليلة : لم يولد لي طَوال عمري غير هذا الغلام . وذلك أن في هذا

الوادي شجرةً يقصدها الناس للمناجاة في قضاء الحاجات وكم من ليلة تضرعتُ بجذعها لمولاي جل وعلا حتى وهبَ لي هذا الغلام . وسمعت أن الولد كان يقول لرفاقه خُفيةً : ما ضر لو عرفتُ مكان تلك الشجرة حتى أدعو بأن يموت أبي .

حكمة

بينما السيد يبتهج بعقل ابنه إذ طعنَ الولدُ فيه أنْ قد خَرِف .

قطعة

مرت عليك دهور ما مررتَ بها ... يوماً على قبر من رباك في الصِّغَرِ
ما دمتَ بالخير لم تُسعف أباك فلا ... تطمح بطرفك للابناءِ في الكِبَرِ

٤ – حكاية

سرت في يوم من الأيام سيراً حثيثاً لاغتراري بالشباب ولما جَن الليلُ ألقيتُ نفسي من شدة الإعياء بسفح جبل ومر بي في آخر القافلة شيخ ضعيف فقال : أيُّ نوم هذا ! قم فليس هنا محل النوم فقلت لم تبقَ لي طاقة على السير فقد تورمتْ قدماي فقال : أما سمعت بالمثل القائل : سير بإبطاء خير من سرعة يُعقبها إعياء .

قطعة

تمهل ولا تعجل وإن شفك النوى　　لمنـزل لـيلى واتعـظ والـزم الـصبرا
يكــل الجــوادُ الأعــوجي بغَلْــوَةٍ　　مغيراً وتطوي العيسُ في مهلها القفرا

٥ - حكاية

كان في حلقة عِشرتنا شاب خفيف الروح طروب لطيف المعشر عذب اللسان ما مر على قلبه الهم في يوم من الأيام ولا فارق شفتيه الابتسام. ومضت مدة لم تتفق لي ملاقاته وبعد ذلك رأيته متزوجاً قد شُغل بالأولاد وإذ بمسمار نشاطه مكسور وورد هوسه ذابل منثور فسألته: ما هذه الحالة فقال: ما دمتُ قد بُليت بالعيال فلستُ أعودُ ولداً أو أذوقُ طعم الراحة أبداً.

شعر عربي الأصل

مـاذا الـصبا والـشيب غـيَّر لمتـي　　وكفـــى بتغيـــير الزمـــان نـــذيرا

بيت

أنفض يديك من الشباب فقد مضى　　ودع الظرافــة للوليـــد العابـــث

رجز

لا ترجُ زهو الشباب الغض من هَرِم هيهـات يرجـع مـاء مـر في الـوادي
فـالزرعُ لم يبـق مزهــواً بخــضرته عنــد الحــصاد فأســلِمْه لحــصادِ

قطعة

أسفاً على زمـن الـشباب فقـد مضى ولكـم بقلبـي قـد أضـاء وأومـضا
ولقــد فقــدت بفقــده أسَــديتي ورضيت عنه بجبن سِرحان الغضا

بيت

صـبغت عجـوزٌ شـعرَها فـسألتها أمـاهُ يـا غـرضَ المنـونِ الطـارقِ
بسواد شعركِ إن خَدعتِ فهل تُرى تقـويسُ ظهـرك يـستقيمُ لعاشــقِ

٦ – حكاية

رَفعت صوتي في يوم من الأيام على والدتي لنزق الصبي فقبعت بزاوية تبكي وتقول : كأنك نسيت أَيام طفولتك حتى عاملتني بكل هذه القسوة .

قطعة

تصدت عجوز لابنها عندما رأتْ شراســةَ نِمْــرٍ في ضَــخامةِ فيــلِ
فقالت لو اذَّكرت ضَعْفَك في الصبي وأنــت بحُــضني مُغْــرِقٌ بِعويــل
لما كنـتَ تجفـوني بـذا اليـوم حيـنما قَويـتَ وغـال المـوتُ أغلـب جيلي

٧ - حكاية

مرض ولد لغني بخيلٍ فقال له أصدقاؤه : من المستحسن أن تختم له القرآن أو تُفديه بقُربان فلعل الله أن يَمُن عليه بالشفاء وبعد أن فكر طويلاً قال : ختم المصحف بالحضرة أولى لأن القطيعَ مرْعاه بعيدٌ فسمعَ بذلك أحدُ النبهاء فقال : ما وقع اختياره على القرآن إلا لأنه يخرج من طرف اللسان ومن بين حنايا الروح يخرج الذهب الرنان .

قطعة

فليــتَ هــواديهم إذا مــا دَعَــوتَهمْ تُــسابق أيــديهمْ لفعــل المكــارمِ
يُلَبُّونَ إن يدعوا إلى ختم مُصحفٍ وإن رُمْـتَ فَلـساً يخرسـوا كالبهـائمِ

٨ – حكاية

قالوا لشيخ : لم لا تتزوج امرأة؟ فقال : ليست لي أُلفَة بالعجائز فقالوا له : أطلب شابة فإن لك مُكنة . فقال : إذا لم تكن لي بالعجائز أُلفة وأنا من قُرنَائِهِنَّ فكيف أطمع بالشابة وأنا شيخ هِمٌّ .

بيت

تريد عزماً بيوم العُرس لا ذهبا   فالعَرْدُ خير لها من ألف دينارِ

٩ – حكاية منظومة

سمعتُ بأن شيخاً رام خُوداً   رَداحاً كي تعيدَ له الشبابا
فصادفها كجوهرةٍ أُحيَطتْ   بدُرج لم تُمطْ عنها النقابا
وحين بنى بها نامَتْ عصاه   بأولِ حملةٍ ورجا فخابا
وأوترَ قوسَه ورمى بسهم   على الهدفِ الحصين فما أصابا
وليس كإبرة الفولاذ تُلفى   لشيخ كي يَشلَّ بها الثيابا
وراح لصحبه يشكو وَقَاحا   مخازنَ بيته تَركَتْ يَبابا
وطارَ الشر بينهما فأعطى   به [السَّعْدي] عن القاضي الجوابا
أَيثقب مُرعَشُ الكفين دُراً   فدعْ لومَ الفتاةِ وقلْ صَوابا

الباب السابع في تأثير التربية

١ – حكاية

كان لأحد الوزراء ولد بليد فأرسله إلى مربٍ من العلماء وأوصاه بالاعتناء بتربيته عساه أن يصبح من العقلاء فعكف على تعليمه مدة فلم يتأثر فردَّهُ إلى أبيه قائلاً: إن ابنك هذا بعد أن صيرني مجنوناً لا يمكن أن يكون من العقلاء.

قطعة

إذا جوهر التلميذ قد كان صافياً سيبدي متى ربيتَه خيرَ آثارِ
ومامن حديد قد تأكَّل من صَدَا ترقَّق سيفاً للردى جدَّ بتارِ
أرى الكلبَ إن يغسل بسبعةِ أبحر فليسَ تراه طاهراً غير هَرَّارِ
حمارُ يسوعٍ لو مضى نحو مكةٍ وعادَ فهل تلفيه غيرَ حمارِ

٢ – حكاية

كان أحد الحكماء يبذل لأبنائه النصيحة على الدوام فيقول لهم : يا روحَ أبيكم تعلموا المعرفة إذ لا يصح الاعتماد على مُلك الدنيا وإقبالها فالجاه والذهب لا يخرجان مع من ذهب والدرهم والدينار معرضان للأخطار فإما أن يسلبهما جملةً قاطعُ طريق أو يأكلهما المالِك لهما بالتفريق، أما المعرفة فعين دائمة الجريان ودولة موطدة الأركان إذا زلَّت بصاحبها القدم لا يستولي عليه غم ولا ندم إذ المعرفة في نفسها دولة، فحيثما حلَّ يكون بها مرموق القدر ولا يجلس إلا في الصدر، وأما عديم العرفان فحيثما حل ذليلٌ مُهانٌ، لا ينال من الخبز كِسرة ولا يعيش إلا بالحسرة .

بيت

لصعبٌ نفوذ الحكمِ من بعدِ مَنصبٍ		كذلك الجفا صعبٌ على مَنْ تَنعمَّا

قطعة

أُثـيرتْ فتنـة بالـشام يومـاً		ففـر مـن الـديار القاطنونـا
فأبنـاءُ القـرى العقـلاءُ جـاءوا		إلى دار الـــوزارة يـــشتكونا
وابنـاءُ الـوزير مَـضوا لجهـلٍ		إلى إحـدى القـرى يتكففونـا

بيت

إذا رمت ميراثاً فَرِثْ علمَ من مضوا   فمالُ الأبِ المـوروثُ يتلُفِه الـصرفُ

٣ - حكاية

كان أحد الفضلاء يعلِّم ابن ملك فيزجره تارة زجراً شديداً وأحياناً يضربه عند الاقتضاء ضرباً مُبرِّحاً فقدَّم الولد شكواه إلى أبيه لعدم احتماله وكشف ثوبَه عن بدنه وأراه آثار الضرب فتألم قلبُ أبيه واستدعى الأستاذ ولما مثل بين يديه قال له : أنت لا تجيز الجفاءَ والتوبيخ بما يزيد عن الحد على أحد أفراد الرعية فلماذا أجزتَ لنفسك ما فعلته بولدي؟ فقال الأستاذ : يليق بالإنسان ألاَّ يتسرع بإعطاء الحكم قبل إعمال الرويِّة . والعمَلُ المقبول لازم على كل أحد وخاصة على الملوكِ لأن كل ما يصدر عن لسان الملك أو يدِه يكونُ على الدوام مضغةً بأفواه العوام وأما أقوال العامة وأفعالُهم فليس لها أيُّ اعتبار .

قطعة

إذا مـــا فقـــيرٌ زلَّ ألفـــاً فـــربما   من الألـف لم يفطَنْ لواحـدةٍ واعـي

وإن زلَّ مَلْـك زلـــةً طــار صــيتها   فدارتْ على السبع الأقاليم في ساعِ

إذن تهذيب أخلاق أبناء الملوك «أنبتهم اللهُ نباتاً حسناً» أحقُّ بالاهتمام من العناية بتهذيب أبناء العوام.

قطعة

مَنْ ليسَ يقبلُ في عهد الصبا أدباً   يلقَ نجحاً بجُرفِ الشيبة الهاري

فالعد تحنيه رطبا كيفَ شئت وإن   يَيْبسْ فلم يستقم إلا على النارِ

شعر عربي الأصل

إن الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت   وليس ينفعك التقويمُ بالخشبِ

فجاء حسن تدبير الأستاذ وتقرير كلامه مقبولاً عند الملك فأنعم عليه بخلعة سنية ورفعه إلى مرتبة علية.

٤ - حكاية

نظرتُ معلم مكتب في ديار المغرب عبوسَ الوجه، مُرَّ الكلام، سيء الطبع مولعاً بأذية الخلق، شرِهَ النفس لا يبالي بالآثام، ينكد عيش المسلمين بظله الثقيل في كل حين ويُقسي قلبَ الإنسان من تلاوة القرآن وقد كان في مكتبه لفيف من الولدان الأطهار والجواري الأبكار موثَقينَ بقبضةِ جَفاه لايسمح لأحدهم بالابتسام ولا بالنطق بالكلام فتارة يضرب أحدهم ضرباً

مبرِّحاً ويضع ساق الآخر الفضية بالفلَقِ تارةً أخرى وخلاصة القول اني سمعت أنهم وقفوا على طَرَف من خيانته فصفعوا قفاهُ وطردوه وسلموا المكتَبَ إلى رجل مُصلح تقي ذي قلب سليم حسن السيرة حليم لا يتكلم إلا عند الضرورة وإذا تكلم فلا يُجري على لسانه ما يؤذي أحداً من العالمين. فخرجتْ من رؤوس الأطفال هيبةُ المعلم الأول لدماثة أخلاق المعلم الجديد ورقة طبعه. فأصبح كل واحد منهم شيطانَ الآخر فتركوا الاغتراف من علمه لاعتمادهم على حلمه وأخذوا يصرفون أغلب أوقاتهم باللهو والعبث وبكسر بعضهم لوح درسه على رأس بعض كما قيل:

بيت

متى رحم الأستاذ أطفال درسه   فكالقِردِ في الأسواق يحلو لها اللعبُ

وبعد أسبوعين مررتُ بذلك المسجد فرأيتُ المعلمَ القديمَ فرحاً مسروراً فقد أعادوه إلى مقامه الأول. فأقولُ لك مُنصِفاً بأنني تألَّمتُ وحوقَلْتُ وقلتُ: لماذا أعادوا ابليس مرة أخرى لتعليم الملائكة فسمعني شيخ مجرب فتبسم وقال: ألم تسمع ما قيل:

قطعة

أرسلَ مَلْكٌ طفلَهُ   لما شدا للمكتَبِ

وفـــوق لـــوحِ فـــضةٍ　　خـــط لَـــه بالـــذهبِ
جَـــورُ المعلـــم يـــا فتـــى　　أفـــضلُ مـــن حُـــبِّ الأبِ

٥ - حكاية

وقعت بيد ابن زاهد نعمة وافرة من تركة الأعمام فانغمس بالفسق والفجور على الدوام وتفنن بتبذير وعدم الاهتمام، والخلاصة أنه لم يبقَ شيء من سائر المعاصي والمنكرات لم يرتكبه ولا نوع من المسكرات لم يشربه. ونصحته مرة فقلت: أيها الولد، الدخلُ ماءٌ جارٍ والصفو طاحونٌ دائر. أعني لا يسلَم كثير المصروف إلا لمن له دخل مُعين معروف.

قطعة

بـدخلك فـاحتفظ إن قَـلَّ واسـمعْ　　صـدى المـلاحِ إذ لَـكَ قَـد يـُزفَّ
إذا الأمطـارُ لم تُـصبحْ سُـيولاً　　بهـذا العـام دِجلـة قَـد تجَـِفُّ

فتمسكْ يا فتى بالعقل والأدب واترك اللهو والطرب لأنه متى نفِدَتْ النعم حملْتَ أثقالَ المشقة والندم. فشغلَتِ الغلامَ لذةُ الناي والشراب عن الإصغاء إلى هذا الخطاب واعترضَ على نصيحتي فقال: إن تنغيصَ راحةٍ عاجلة بتوقع محنة آجلة خلافُ رأي العقلاء.

قطعة

قَدْ لا يكدرْ صفوَ عيشك يا فتى	أنت بأوج السعد خوفُ النوائب
بيومك فاحفَلْ واشرح الصدرَ بالصَّفا	وغمَّ غدٍ فاتركْ لسوءِ العواقبِ

فكيف بي وأنا الجالس بصدر المُرُوَّة الرابط عقدَ الفتوة الناشر ذكرَ الأنعام على أَفواه الخواص والعوام.

رجز

العلم المفرد في دنيا الكرمْ	إنْ يربطِ الكيس على نقدٍ يُذمْ
من حسُنت سيرته بين البشرْ	يغلَقُ البابَ بوجهِ من يَزُرْ

ولما رأيت إعراضه عن النصيحة وتيقنت أن أنفاسي الملتهبة لم تؤثر في حديده البارد عدلت عن نصيحته وأَشَحْتُ بوجهي عن مصاحبته وقبعت بزاوية السلامة وتمسكت بقول الحكماء حيث قالوا: «بَلِّغْ ما عليك فإن لم يَقبلوا فما عليك».

قطعة

تكرم على من لم يكنْ لك مصغياً	بنصح وإن لم يدرِ ما قيمة النصحِ
فعما قليل يوهِنُ القيدُ ساقه	لإعراضه عما بذلتَ من المنْحِ
يقلِّبُ كفيه ألا ليت أنني	أطعتُ لبيباً لا يُريد سوى نُجحي

وما ذاك إلا أني بعد مدة من الزمن شاهدت عياناً ما كنت أتصور أن يقع من سوء المصير فها هو قد أصبح يخيط الرقعة من الرقعة ويدأب لجمع اللقمة إلى اللقمة فانقبض قلبي لضعف حاله فما رأيتُ من المروءة في مثل هذا الحال أن أجرح بالملامة قلبَه وأذرَّ الملح على الجرح واكتفيتُ بما قلتُ في نفسي .

قطعة

يُسكِرُ اليُسرُ كلَّ فسلٍ دنيءٍ لم يُفكِّرْ في العُسرِ وقتَ الرخاءِ
يَزدهي في الربيع بالورقِ الغُصنُ فيَعرى لذاك عند الشتاء

٦ – حكاية

سلم أحد الملوك ابنه إلى مؤدب وقال له : ربِّ هذا الولد كتربيتك أحدَ أبنائك فجدَّ المؤدب في تعليمه سَنةً فما أتى سعيُه بطائل وأما أبناءُ المؤدِّب فقد انتهوا إلى الغاية في الفضل والبلاغة . فعاتبَ الملك المعلمَ قائلاً : لقد خالفتَ وعدك وما وفيت بشرطك فقال المعلم : أيها الملك، التربية كانت متساويةً ولكن الاستعدادَ مُختلِف .

قطعة

من الحجر النقدان عدَّهما الورى وما كل صلد حين تَخبُرُه نقدا
فهذا سُهيلٌ نورُهُ غَمرَ الدُّنى ولكنَّما تأثيرُهُ لوَّن الجلدا

٧ – حكاية

سمعتُ أن أحد الشيوخ المربينَ قال لأحد مريديه : لو أنَّ تعلق ابن آدم بربه كتعلقه بطلب رزقه لتجاوز مراتب الملائكة المقربين .

قطعة

لم يَنسكَ اللهُ مُذْ أنشاكَ من عَلَقٍ　　وكانَ في ظُلماتِ الرحْمِ مثواكا
أعطاك عقلاً وتدبيراً ومعرفةً　　وحُسنَ سَمتٍ وإحساساً وإدراكا
وأنبتَ العشر في الكفين ثابتةً　　وساعدين لكسب الخير أولاكا
فالآن يا فَسلُ إذ أصبحتَ مُكتمِلاً　　تظن من قدَّر الأرزاق ينساكا

٨ – حكاية

رأيتُ أعرابياً يقول لابنه : «أَيْ بُني إنك مسؤول يوم القيامة عما اكتسبتَ ولست بمسؤول لمن انتسبت» يعني أنهم يسألونك عن فعلك ولا يسألونك عن أبيك وأصلك .

قطعة

لِدودةِ القزِّ لم يُنمَ النسيج متى　　أمسى ستاراً لبيت الله فاعتبرِ
فسَترهُ الكعبةَ الغراءَ أكسبهُ　　كعزِّها حُرمةً من سائرِ البشرِ

٩ – حكاية

ورد في تصانيف الحكماء أن العقربَ ليس لها ولادة معهودة كسائر الحيوانات فربما أنها تأكل أحشاء أمها وتفري بطنها وتسلُكُ طريقَ الصحراء وإن تلك الجلودَ التي تُرى في غيران العقارب لِمَنْ آثار أعمالها .

ولقد حكيتُ هذه النكتةَ مرة أمام أحد الكبراء فقال : إن قلبي ليطمئن لصدق هذا الحديث ولعل الحالَ لا يكونُ إلا هكذا لأن الذي يعامل أمه وأباه في صغره كهذه المعاملة فلا جرم أنه في حال كبره يكون كذلك مقبولاً ومحبوباً !!

قطعة

أوصى أبٌ طفلَه يوماً فقال له إحفظ وصية شيخ مُرعش هرمِ
مَن لا وفاءَ له من طبعهِ فعلى مر الزمان سيحيا غير مُحترَمِ

لطيفة

قيل للعقرب : لماذا لا تخرجين للناس في الشتاء؟ فأجابت : ما هو الاحترام الذي أُلاقيه في الصيف حتى أخرجَ أيضاً في الشتاء .

١٠ - حكاية

حبلت امرأة فقير ما عرف الولدَ مُدة عمره فلما أخذها المخاض قال: إنِ الله وهب لي ولداً ذكراً فسأبذل للفقراء كل ما تَملِكه يدي إلا هذه الخرقة التي تستر جسدي. واتفق أن وضعت امرأته غلاماً ففرح به وأولَم لأصدقائه حسب شرطه ومرت أعوام طُويلة الُأمد فِعدُتْ بُعدها إلى دمِشَق ومررت بمحلة ذلك الفقير وسألتُ عن حاله فقيلَ لي إنه أمسى في غيابة السجن فسألتُ عن السبب فقالوا: إن ابنه شرب خمراً وفي أثناء سكره وعربدته أهرق دمَ رجل وفر من البلد ولذلك وُضِعتْ بعنق أبيه السلاسلُ وأوثقتْ ساقه بالقيود فقلت: يا لله إن هذا البلاءَ الذي حل به كان بسبب دعائه من الله وطلبه الولد.

قطعة

لـو أن نـساءً حـاملاتٍ أخـا الحجـا ولَـدن لنـا بعـد المخـاض أفاعيـا
إذن كـنَّ خـيراً مـن نـساءٍ حوامـلِ يَلـدنَ أناسـاً لا تحـب المعاليـا

١١ - حكاية

سألت أَحد المسنِّينَ، لما كنتُ طفلاً، عن البلوغ فقال: ورد في مسطور الكتب أن له ثلاث علامات سن الخامسة عشرة والاحتلام وظهور شَعَرِ العانة وأما في علم الحقيقة فله علامة واحدة وهي أن يكون التقيد برضى الحق

جل وعلا أكثر من التقيد بحظ النفس فكل من لا توجَد فيه هذه الصفة فالمحققون لا يَعدونه بالغا .

قطعة

بيـوم الأربعـين تُعـد خلقـاً وقـبلاً كنـت مـن مـاءٍ مهـينِ
ولـيس تُعـد إنـساناً إذا لم تُفِـد عقـلاً بـسن الأربعـين

قطعة

فـلا تَحـسبَنْ أنَّ الهَيُـولَى بطبْعهِـا أفادَتْـك لطفـاً أو أعارتـكَ مَنْطِقـا
وهَلْ ظِلُّ إنسان يـصيرُ أخـا حِجـا إذا بـان في الجـدران رَسـماً مُنَمَّقـا
إذن أيُّ فَـرْقٍ بـين رسـمٍ بحـائِطٍ وبين أخـي فـضلٍ إلى الفَلَـكِ ارتقـى
فلـستَ لجَـذْبِ المـال تُحـسَبُ عارفـاً إن اسطعت فاجذب قلـب غـاوٍ إلى التقـى

١٢ – حكاية

وقع في إحدى السنين لَجَاج ما بين مُشاة الحجاج وكان [الداعي] من المشاة في ذلك السفَر وإنصافاً فقد أحدث كلٌّ منا أثراً بوجه الآخر ورأسه واستبدلنا بالعدل الفسقَ والجدالَ، غير مبالين بما أمر به الملِكُ المتعال،

فسمعتُ جالساً في المحفة يخاطبُ عديلَه قائلاً : ياللعجب إن بَيدَق العاجِ بلغ إلى غاية الشطرنج فهل يصيرُ فِرْزاً يا تُرى . يعني أبالإمكان أن يصيرَ أبدع مما كان، فمشاة الحجاج أتوا من فِجاج البادية ولكنهم صاروا أردأَ مما كانوا .

قطعة

قُــلْ لمــن حــج ماشـياً لا يبــالي ... بــسباب يَفــري جلــودَ العبــادِ
لا تكــن كــالبعير يحمــل وَقــرا ... وهــو مــاض يَلــوكُ شــوكُ القتــادِ

١٣ – حكاية

كان أحد الهنود يتدرب على [رمي النفط] فقال له حكيم لما رآه : يا من بنيتَ من القصب محلّك ليس هذا لُعبةً لك .

بيت

إذا لم تُـصب كَبْـد الحقيقـةِ لا تَقـلْ ... وجانــب جوابــاً لا تــراه جمــيلاً

١٤ - حكاية

أُصيبَ رجل فسل بمرض العينين فذهب إلى بَيطار وطلب منه أن يداويه فوضع بعينيه مما يضعُه بأعين الحيوانات فعميتْ عيناه ورفُع الأمرُ للقاضي فقال :

ليس على البيطار غُرم إذ لو لم يكن هذا حماراً لما ذهبَ إلى البيطارِ. والقصدُ من هذا الكلام أن كل من قدَّم عملاً عظيمَ المقدَار لعديم التجربة والاختبار وعاد عليه ذلك بالندم فإن العقلاء ينسبُون ذلك لخفةِ عقله وسوء الفهم.

قطعة

ليس يعطي اللبيب ذو الرأي يوماً عمـــلاً للوضـــيع جـــدَّ خطـــيرِ
أفمـَن ينْـــسج الحـــصير حَليَـــقٌ أن يعـــاني بالاســـم نـــسجَ الحريـــرَ

١٥ - حكاية

كان لأحد الكبراء ولد نبيه فعدَتْ يد المنية على أبيه فسئل ماذا تكتب على قبره للذكرى؟ فقال: عِزَّةُ آيات الكتاب المجيد وشرفُها أرفعُ مِن أنْ تكتب على مكانٍ مثل هذا يُمحى بمرور الزمان فتدوسه الأقدامُ بالنعال وتبول عليه الكلاب على أقربِ احتمال فإن كان لا بد من الكتابة فهذان البيتان:

قطعة

آه أواه كلـــــما لاح في البـــــسْـ ـتان روضٌ كم كان يـشرح صـدري
يـا حبيبـي، الربيـعُ حـانَ فأَقبـلْ تُلْفِ روضاً من طينتي فـوقَ قـبري

١٦ - حكاية

كان أحدُ العباد يتعهدُ ذا نعمة بالزيارة فرآه مرة يُعاقبُ عبداً له وقد أحكم وثاق يده ورجله فقال له : يا ولدي إنه مخلوق مثلك وقد جعله الله عز وجل أسير حُكمك وأعلى فضيلتَك عليه فضع الشكر لله على النعمة بمحله ولا تُجز لنفسك كل هذا الجفاء على مثله إذ ربما يكون غداً عند الله أفضلَ منك وتكونُ أنتَ خجلاً مما فعلتَ به .

رجز

عبدك لا تغضبْ عليه جِدا ولا تَجُرْ واطلُب إليه الوُدَّا

بِعشْرةِ دراهمَ اشتريتَه فهل ترى بقدرةِ خَلقتهُ

ما الحكمُ ما الغرورُ ما التجبرُ والله منك يا غبيٌّ أكبرُ

وفي الخبر عن سيد البشر عليه السلام «أن أعظمَ حسرةٍ تكون يوم القيامة هي أن يفوز العبدُ الصالح بالجنة ويُلقى سيدُه الفاسق في الجحيم» .

قطعة

ما دام عبدُك طوعَ أمركَ فليكُن بالرفق يؤخذُ لا بسوطِكَ يُجلدُ

إن الفضيحةَ في القيامةِ أن يُرى حُراً وأنتَ مع العصاةِ مُصَفَّدُ

١٧ – حكاية

سافرتُ في إحدى السنين من [بلخ] إلى [شاميان] وكان الطريق مخوفاً تكمن فيه اللصوص فرافقنا شاب كان هوالدليل فرأيناه بَطَلاً في الشجاعة له في رمي السهام ومصادمة الترس أوفرُ صناعة حتى إن عشرة رجال تعجز عن إيتار قوسه ولا يستطيع أشداء المصارعين أن يُجَدِّلوهُ على ظهره إلا أنه نشأ في ظِلال النعيم فما جرب الدنيا ولا شاهد الأسفار أو ركب الأخطار وما جلجل بسمعه رعدُ طبول الشجعان ولا شامَ بلحظة بُروقَ صوارم الفُرسان .

بيت

بأسرِ العدى ما حاصَ في الغِلِّ عُنْقُه وفي الحـرب لم يُمطَـرْ بوبـل سـهامِ

واتفق أن صرنا نُعاقب معه كدأب الرفاق وفي أثناء السير لم يلقَ جداراً يريد أن ينقض إلا هدمه بقوة ساعده ولا رأى شجرة عظيمة إلا اقتلعها بعزم مخالبه وكان في غضون افتخاره يُنشد من أشعاره .

بيت

حـدثوا الفيـلَ عـن صـلابة زَنـدي وهزبـرَ العـرين عـن بطـشِ كفـي

وبينا نحن على هذه الحال إذ ظهر لنا هندياِن من وراء تَلْعة وقصدا قتالنا، بيد أحدهما عصا عجراء وبيد الآخر صخرة نكراء فقلت للشاب : هيا للكفاح فماذا تنتظر؟ .

بيت

هات ما في قواك من عَزَماتٍ فلِحتفي العدى وحتفك تَسعى

فرأيتُ القوسَ والسهم وقعا من يده وتمشتْ الرِّعدةُ في مفاصله .

بيت

ما كل من خرق الدروع بسهمه في الروع تَثبُتُ للردى قدماهُ

فما رأيتُ لي حيلة إلا أن أخلص من ثيابي وسلاحي وأمتعتي وأنجو بنفسي .

قطعة

إلى أصعب الأعمال أَرسلْ مجرباً بأشراكه يَصطدْ لك الأسد الوِرْدا

ودع عنك مفتول السواعد في الصبا يُرى قلبُه في حَومةِ الحرب مُنقدَّا

وإن الذي قد جرب الحرب عِلْمُه كحكم إمام الشرع مُعتَبرٌ جِداً

١٨ – حكاية

رأيتُ ابنَ غني جالساً حولَ قبر أبيه وقد استرسلَ بالمناظرة مع ابن فقير يباهيه قائلاً: صُندوقُ تربةِ أبي حجَريٌ مُحكم مكتوب عليه بالنقش الملون كأزهار النيروز وهو مفروش بالرخام مرصّع بالفَيروز فماذا بقي من الفخر لقبر أبيكَ المبني بلَبِنَتين المرشوش من التراب بقبضة أو قبضتين سمع ابن الفقير هذا الفخر فقال: اسكتْ أيها الغبيُّ فإنه بينما يتحرّك أبوكَ من تحت ثقل الأحجار يكون أبي قد وصل إلى الجنة ونجا من النار. وفي الخبر عن سيد البشر «موت الفقراء راحة».

بيت

إن الحمار متى خفت حمولتُه طوي الطريقَ على الأيام مُرتاحا

قطعة

يخَفُّ على العاني الفقير مَماتُه وقد عاش محروماً وعاش ذليلا
ومن عاش في الدنيا بخير ونعمة وفارقها يلقَ المهات ثقيلا
وإن أميراً بالقيودِ مكبلاً لِأبأسِ حرٍ لايكونُ مَثيلا

١٩ – حكاية

سألت من أحد الكبراء عن معنى هذا الحديث «أعـدى عـدوك نفـسُكَ التي بين جنبيك» فأجاب : السبب في ذلك هو أنَّ كل عدو تُحسِنُ إليه يُصبح لك صديقاً إلا النفسَ فإنك كلما تَزيدُ في مداراتها تشتدُّ مخالفتها لك .

قطعة

يَشأى الملائكَ مـن قلَّـتْ مآكلُـه ومُكثِرُ الأكـل عنـه الـبَهْمُ تَرتفِـعُ
بالأمر يـصدَعُ مَـنْ تُعنـى برغبتِـه والنفسُ بالضدِّ بالترغيـبِ تَمتنِـعُ

جدال السعدي مع المدعي في بيان الغنى والفقر

إن رجـلاً بـصورة الفقـراء ولـيس عـلى سـيرتهم كـان جالـساً في محَفِـل فأخذ يواصـل الخِطـةَ الـشنعاءَ فاتحـاً دفـتر الـشكاية بـذم الأغنيـاء حتـى أنهـى الكلام إلى هذا المقام وهو أنَّ يـدَ قـدرةِ الفقـراء بـالعجز مغلولـة ورِجـلَ إرادةِ الأغنياء بالشُّح مكسورة .

بيت

لم تُلف في أيدي الكرام دراهمٌ — من بؤسهم وذوو الغنى بُخلاءُ

وحيث كنتُ رَبيَّ نعمة الكبراء لم يعجبني منه هذا الهُراء فقلتُ: أيها الصديق! الأغنياءُ مدخول الفقراء وذخيرةُ المعتكفين في الزوايا بلا مراء، فهم مقصد الزائرين وكهف المسافرين وهم الذين يتحملون الأثقال لأجل راحة الآخرين، لا تمتد أيديهم إلى طعام إلا مع ذوي العلاقة والخدام، وفضلةُ مكارمهم موصولةٌ بالأرامل والشيخان والأقارب والجيران.

قطعة

ألوَقفُ والنَّذرُ والإعتاقُ أجمعُها — لهم ويْعرفُ ذاك الضيفُ والجارُ

بركعتين تُرى هل أنتَ تفضُلُهمْ — بِها لِعجزكَ عندَ الناس أوطارُ

فالقدرة على الجود والقوة على السجود متيسرة للأغنياء، لأن مالهم مزكى ولباسهم طاهر منقَّى وعِرضهم مصون وقلبهم فارغ من الشؤون، لهم قوة على الطاعة باللقمة اللطيفة ولهم صحةُ العبادة بالكسوة النظيفة، ومن الواضح أن المعدة الخالية لا تأتي بقوة واليد الخالية لا تنهض بمروَّة، فمن الرِّجْل المقيدة أيَّ سير تُريد ومن البطن الخاوية أيَّ خير تستفيد.

قطعة

قَلِقٌ الوسادِ يَبيتُ من لكفافه لم يُلْفِ في وضَح النهارِ طريقا
في الصيف تَلقى النملَ يجمَعُ رزقه كي لايُعاني في الشتاءِ الضيقا

فالتفرغ لا يتصل بالفاقة واجتماع الخاطر لا يُتَصورُ عَقدُه مع ضيق اليد فشتان بين اثنين أحدهما مُرتبط بوقت صلاة العِشاءِ والآخر قابع ينتظر العَشاء فأين هذا من ذاك.

بيت

ذو الرزق بالله والأذكارِ مشتغلٌ وفاقد الرزق بالأفكار مَشغولُ

فعبادة هؤلاء أقرب إلى محل القبول لأنهم مستجمعون الحضور، غيرُ مشتتي الأفكار ولا مضطربي القلوب لانتظام أسباب معيشتهم، لذلك تراهم أبداً مرتبطين بالأذكار والعربُ تقول: «أعوذ بالله من الفقر المُكِبّ ومجاورة من لا أُحب» وفي الخبر عن سيد البشر «الفقر سواد الوجه في الدارين». فقال عند ذلك: ألم تسمَعْ ما قاله عليه الصلاة والسلام «الفقر فخري وبه أفتخر» فقلت له اسكتْ فإن إشارةَ سيد العالم عليه السلام لطائفة الفقراء المرادُ منها فُرسانُ ميدان الرضى المستسلمون لسهام القضا لأولئك المرتَدون لِباسَ الأبرار المتهافتون على نيل لقمة مصيرها إلى الإدرار.

رباعية

أيـا فارغـاً كالطبـل مالـكَ حيلـة عـلى بلغُـةَ مـاذا يبلُغّـك الـسخف ُ
تجنبْطريق َ الكسب من غير وجهِهِ ودعَ سْـُبحْة مَقـدار حُباتهـا ألـْف ُ

فالفقير الجاهل لا يستريح حتى ينتهي به الفقر إلى الكفر «كاد الفقر أن يكون كفراً» لايمكنهم بلا وجود النعمة كسوةُ العاري ولا السعي في خلاص الأسير من العدو الضاري . وأين لِمثْلِنا أن يَصلَ إلى مرتبة ذوي الغنى ومن أين لليد السفلى أن تتفوق على اليد العليا . ألا ترى ما أخبَر به الحق جل وعلا في محكم التنزيل عن نعمة أهل الجنة «أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم» حتى تعلم أن المشتغلين بالكفاف محرومون من دولة العفاف ومُلك الفراغ المقسوم تحت حجر خاتم الرزق المعلوم .

بيت

لا يحلـمُ الظمـآن في نومـه إلا بعـــينٍ ثَـــرَّةٍ جاريـــهْ

أينما يذهبُ يرى تحمل الشدة ومذاق المرارة يوقعانه بالشرهِ في الأعمال المخيفة ولا يتورع من تَبِعاتِ ذلك خشيةَ الآثام فلا يخاف عقوبةَ الآخرة لأنه لا يفرق بين الحلال والحرام .

بيت

إذا ما رَجمتَ الكلبَ يوماً بطوبَةٍ جرى فَرِحاً إذ راحَ يحسَبها عظما

ورب لئــيم راءَ نعــشاً فظنــه خواناً له يُزجى فما أقبحَ اللؤما

أما صاحب الدنيا فإنه بعين عناية الله ملحوظ وبالحلال عن الحرام محفوظ، ومع أني لم أُتِمَّ بعدُ تقريرَ هذا الكلام ولم آتِ على بيانه ببرهان فإني أتوقع منك الإنصاف وطرح الخلاف فهل أبصرت محتاجا مّوثقَ الأكتاف أو سيّئ الطالع ثوى في سجن الاعتساف أو ستر معصوم تمزق أو كفاً من معصم تُقطَّعُ إلا بعلة الفقر؟ فبسبب الضرورة أوثق في المضايق أسودُ الرجال وتحملت أعناقهم ثِقَل الأغلال ومن المحتمل أن تطالب الفقيرَ نفسُه الأمارة بالعصيان إذ لم يكن تحصينها منه بالإمكان، لأن البطن والفرج توأمان أعني اثنين في بطن واحد، مانهض هذا إلا وقام ذلك على القدم. ولقد سمعتُ أنهم ضبطوا فقيراً بحدَث خبيث على فعل يَخجَلُ به ويُحكَم برجمه فصاح: أيها المسلمون ليس عندي ذهب فأتزوج ومالي قوة فأصبر فماذا أصنع «لارهبانية في الإسلام» وإن جملة موجبات الحشمة وجمعية الأفكار في باطن أرباب النعمة أنهم في كل ليلة يعتنقون دُمية وكل يوم على رأسهم غلامٌ، يدُ الصبح الوضاء من صَباحته على الفؤاد من الوجل، وقدم السَّرْو المائس من الخجل غائصةٌ في الوحَل.

بيت

بأكبـاد مـن حبـوه أنـشبَ ظُفَـرهُ فأصـبح كالعنـاب لـونُ أناملِـهْ

فمحالٌ مع وجود طلعته أن يحوموا حـول المنـاهي أو يقـصدوا مفاسـد الملاهي .

بيت

أقلـبٌ أبـاحَ الحـورَ نهـبَ شِـغافه بملتفتٍ يومـاً إلى دُميـة الحـربِ؟

شعر عربي الأصل

من كان بين يديه ما اشتهى رُطَـبٌ يغنيـه ذلـك عـن رجـم العناقيـدِ

أغلب فارغي الأيدي تتلوث أذيال عصمتهم بالمعصية وأكثر الجـائعين يختطفون الخبز كما تختطفه الكلاب الضارية .

بيت

إذا ما عقورٌ نال من لحم فـاطس فعن جنسه أو نوعـه غـيرُ سـائلِ

فكثيراً ما وقع |المستورون| بعلة الفقر في عـين الفـساد وأطـاروا شرف العرض والدين في ريح السمعة السيئة بين العباد .

بيت

مع الجوع لا تبقى لتقـواك قـدرة　　　ويُفلـت بـالإفلاس منهـا عِنانهـا

فما أنهيتُ الكلام إلى هذا المقام حتى أُفلِتَ زمام طاقة الفقير من يده وسلَّ عليَّ صارم منطقه ودفع جوادَ فضيحته في ميدان وقاحته وصال عليَّ قائلاً: لو سلمنا لك المبالغة التي أجزتها لنفسك في وصف أولئك الأثرياء والكلمات المشتتة التي لمتها في ذم هؤلاء التعساء فهل يَتصورُ الوهم أن هذه الطائفة لسم الفاقة ترياق، أو مفتاح لخزينة الأرزاق؟ إن شرذمة المتكبرين والمغرورين والمعجبين بأَنفسهم والمتجبرين والمشتغلين بالمال والنعمة والمفتَتنين بالجاه والثروة لا ينطقون إلا بالسفاهة ولا ينظرون إلا بالكراهة، ينسبون العلماء للتكْدية ويرمون الفقراء العديمي الحيلة بالعيوب، وما ذاك إلا بغرور المال الذي ملكوه وعزة المنصب الذي تخيلوه وبهذا يجلسون فوق الجميع ويرون أنفسهم أفضلَ من جميع الخلق وباستحكام الغرور منهم في الراس، لا يرفعون رأس أحد من الناس، مالَهم علمٌ بقول الحكماء حيث قالوا: كل من نقص بالطاعة وزاد بالنعمة عن الآخرين فهو بالصورة غني وبالمعنى فقير.

بيت

عـلى عـالمٍ إمـا تكـبَّر جاهـلٌ   غنـيٌّ فقـلْ : هـذا حمـارٌ مُحمَّـلُ

قلتُ لاتجز لنفسك ذم أرباب النعَم فهم أهل الجود والكرم فقال : ركبتَ شططا وفُهتَ غلطا، إذ ما فائدة العبد المحتاج إذا كانوا سحاب آذارٍ ولا يُمطرون، وشمساً وعلى أحد لا يُشرقون، وراكبي خيل ولايجولون، لايضعون قدماً لأجل الله في طاعة ولاينفقون درهماً إلا بالمن والأذى، يجمعون المال بالمشقَّة ويحتفظون به من الخسة ويموتون بالحسرة . وقد قالت الحكماء : فضة البخيل تخرج حيناً من التراب وتعودُ معه إلى التراب .

بيت

بالكدح يَجمع طول العمر ثروَته   وتنتهـي دونَ مـا كـدح لوارثِـهِ

فقلتُ ما عثرتَ على بخل أرباب النعمة إلا بسبب التكْدية وإلا فإن كل من جانَبَ الطمعَ فالكريم والبخيل عنده سِيان فالمِحَكُّ يعرف ما الذهب والمتسول يعرف مَنِ البخيل . فقال : لِنقلْ في تجربة ذلك فإنهم يضعون على أبوابهم من يتعلق بالعباد وينصبون الغلاظ الشداد كيلا يُعطوا إجازة حتى للعزيز ويدفعون بأيديهم في صدر صاحب التمييز ويقولون : ما في الدار أحد وبالحقيقة فقد صدقوا في ما يقولون .

بيت

لو كان ذا فطنةٍ ما قال حاجبُه   لزائرٍ عُدْ فما في الدار من أحدِ

فقلتُ: لهم العذرُ في ذلك فقد زهقتْ أرواحهم من كثرة أيدي المتوقعين وتراكم رقاع المتسولين ولئن صار رملُ الصحراء دُرراً فمُحالٌ في العقل أن تمتلئَ أعينُ الفقراء.

بيت

لا تمتلي عينُ طماع بكنز غنى   والبئر بالطل ليس الدهرَ تمتلئُ

حاتم الطائي كان مقيماً في البادية ولو أقام في إحدى الحواضر لعدم الحيلة في دفع زحمة المتسولين ولمزق الثوبَ الذي يستر بدَنه من تسكع العاطلين. فقال: إنما أنا مترحم على حالهم فأجبته: بل أنت متحسر على مالهم. وبينا نحن في هذا الكلام وكل منا مُستوثق على الآخر بالزمام كنتُ أسعى في دفع كل بَيدَقٍ يَسوقُه وكلما قالشاه ستر َ تُ عليه بالفِرزْ فانقطعَ طريقُه حتى صرف جميع ما نَقدَ من كيسِ همته ورمى آخرَ سهم في جعبته.

قطعة

فلا تَقَعْ واتبعْ هُدى النَّصيحِ   بهوَّةٍ مِنْ حملةِ الفَصيحِ

بالمالِ والعرفانِ صِلْهُ تَتَّقِ   شرَّ الكلامِ الخادعِ المنمَّقِ

وبعد النزاع الطويل لم يبق له دليل فأطال يد التعدي وأخذ يهرف بما لا يعرف وسنة الجاهلين معلومة وهي أنهم متى عجزوا عن الدليل حركوا للمناظر سلسلة الخصومَة كآزر عابدِ الأصنام لما انقطعتْ حُججه مع إبراهيم عليه السلام نهض للحرب قال الله تعالى «لئن لم تنته لأرجمنك». فقابلني عند ذلك بالسباب فرددت عليه بسقط الكلام ومزق طوقي فتعلقت بلحيته.

قطعة

أوقعتُه وَلوى عُنْقي فأوقعني ... والناسُ من خلفنا تجري وتبتسمُ
والخلقُ أجمعُ من أُنثى ومن ذكر ... لما رأوا عَجباً من أمرنا وَجَموا

ونهاية القصة، أننا رأينا أن نرفع هذا الخلاف إلى القاضي ونرضى بعدل حكمه حتى يرى حاكمُ المسلمين من أمر المصلحة مايرى ويوضح الفرقَ بين الأغنياء والفقرا، فلما رأى القاضي هيئتَنا وسمع منطقنا أطرق متفكراً وبعد التأمل الطويل قال لي: يامَنْ أثنيت على الأغنياء واستحسنت جَفوةَ الفقراء اعلم أنه لابُد في الروض من وجود الشوك مع الورد ومع الخمر لابد من الخُمار وفوقَ الكنز الدفين يلبدُ التنين وفي مَغاصِ الدرر الصحاح يكمُن التمساح فلدغة الأجل خلف لذة الدنيا متوارية ونعيم الجنة محفوف بالمكاره المردية.

بيت

وما الرأيُ في جَوْرِ الحسود مع الهوى ولم يلفُ ورد دونَ شوكٍ لِمَنْ يَجْني

أما نظرتَ في البستان الجذعَ اليابس والغصنَ الريان فكذلك في زمرة الأغنياء الشَّكورُ والكفور وفي حلْقةِ الفقراء المتضجِّرُ والصبور.

بيت

لو أمطرتْ لؤلؤاً إذْ أمطرتْ بَرَداً لأصبحَ الدرُّ في الأسواق كالودَعِ

فالمقربون من حضرة الحق جل وعلا هم الأغنياءُ الفقراءُ السيرة والفقراءُ الأغنياء بالهمة وإن أعظم الأغنياء من اغتم لغم الفقراء وإن أفضل الفقراء من لا يتعلق باذيال الأغنياء قال الله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾. وبعد ذلك حوَّل وَجْهَ عِتابه عني إلى الفقير وقال: اسمع يامن قلتَ إن الأغنياء مشغولون بالمناهي سُكارى بالملاهي. نعمْ يوجَد منهم طائفة كالذين قلتَ عنهم قاصرة الهمة كافرةٌ بالنعمة يكسبون ويكنزون ولا يأكلون ولا يُعطون لو أنهم مطر مثلاً لما هطلوا أو كانوا يُرسلون على الدنيا الطوفانَ على مُكنتهم يعتمدون وبها عن محنة الفقير لا يسألون ومن الله تعالى لايخافون ويقولون:

بيت

إن أغرقَ الفقرُ –كالطوفان– مَنْ بَئِسوا   فنحن كالبطِّ لا نخشى مِنَ الغـرقِ

شعر عربي الأصل

وراكبــاتٍ نِياقـــاً في هوادجهـــا   لم يلتفتنَ إلى مـن غـاصَ في الكُثُـبِ

بيت

إذا ما دنِيءٌ حاد عن رأسِه الردى   فليسَ لو اجْتاحَ الوجودَ بمُغْـتَمِّ

وكما أن قوماً على هذه الصفة التي بينتُها فهنـاك طائفـة أخـرى واضـعة موائـد الـنعم معطيـة صـلات الكـرم مربوطـة الأوسـاط للخدمـة مفتوحـة الحاجـب للتواضـع فهـم الراغبـون في المعـالي والمغفـرة وأصـحاب الـدنيا والآخرة أولئك كعبيد حضرة ملك العالم المؤيد مـن عنـد الله المظفـر المنـصور على عداه مالك أزمة الأنام حامي ثغور الإسـلام وارث ملـك سـليمان أعـدل ملوك الزمان مظفر الدين أبي بكر بن زنكي أدام الله أيامه ونصر أعلامه .

قطعة

لمْ يفعلِ الأبُ لابنهِ مِعشارَ ما	أسدَتْ يداكَ إلى البرية من نِعَمْ
لما أَرادَ الله نِعمةَ خلقِهِ	أولَتْكَ رحمتُه مقاليدَ الأمَمْ

فعندما أوصل القاضي الكلام إلى هذا المقام وكرَّ بجواد المبالغة عن حد قياسنا رضينا بما قضى وتغاضينا عما مضى ولزمنا طريق المداراة في العذر عما جرى وكلانا بالتدارك وضعَ رأسه على قدم الثاني وقبَّلنا بعضنا في الرأس والوجه وكان خَتمُ الكلام بعد الأْين بِمسْكِ هذين البيتين :

قطعة

أَخا البؤس لاتَشكُ الزمانَ وجَوْرَهُ	فإن تكثر الشكوى تمُتْ سيءَ الجَدِّ
ويا ذا الغنى كُلْ ما استطعتَ وهَبْ وجُدْ	لدنياك والأخرى تَنلْ غايةَ المجدِ

الباب الثامن في آداب الصحبة

حكمة

جمعُ المال لأجل راحة العمر وليس العمرُ لأجل جمع المال. سألوا عاقلاً: من هو حسَنُ الحظ ومن هو سيئه فأجاب: حسن الحظ ذلك الذي زرع فأكل وسيء الحظ ذلك الذي كنز ما جمع وارتحل.

بيت

ولا تصلِّ على من لم يُفدْ أحدا   والعمرَ ضيعه في جمع ما تركهْ

نصيحة

نصح موسى عليه السلام قارونَ بقوله «أحسن كما أحسن الله إليك» فما سمعَ وسمعت النصيحةَ عاقبتُه.

قطعة

قل للذي لم يُفد خيراً بما كسَبتْ ... يداه من ذهب هل فُقتَ من ذَهبا
إن رمتَ تنعَمُ بالدنيا وبهجتها ... كرم الخِلقَ يكرمْك الذي وهبا

تقول العرب

«جُدْ ولا تمنن فإن الفائدةَ عليكَ عائدة» يعني هَبْ ولا تتبع هبتَك بالمنة لأن فائدة الهبة عائدة عليك وحدك .

قطعة

إن المكارم إذ تطولُ جذورُها ... تعلو إلى أوج السِّماكِ فروعُها
إن رمت تنعمُ بالثمار فلا تَدعْ ... مِنشارَ مِنَّتكَ الرهيبَ يروعُها

قطعة

أُشكرْ إله الورى مَن إذْ هداك إلى ... أنْ تفعلَ الخيرَ لم يُحرمْكَ نعمتهُ
ولا تَمُنَّ على السلطان في عمل ... لَهُ بهِ الفضلُ إذ أولاكَ خدمتَهُ

حكمة

اثنان جهدا بلا جدوى وسعَيا بلا فائدة الأول من جمع مالاً وما أكل والثاني من تعلم العلَم وما عمل.

رجز

مهما درستَ العلم كيما تكتملْ تُعَدُّ فيه جاهلاً بلا عمَلْ
وهل يُعد عالماً بين البشرْ إذا من الكتب حمارٌ قد وُقِرْ
متى درى الحمارُ مبتورُ الذنَبْ بظهره تُحمل كتْبٌ أو حطبْ

حكمة

العلم لأجل تقوية الدين لا للتعيش في الدنيا أيها المسكين.

بيت

ألا كلُّ من باع العلومَ وزهدَهُ سيبقى نقيَّ الكف يوم حَصادِهِ

حكمة

العالمِ بلا تقوى كأعمى يحمل السراج «يهدي ولا يهتدي».

بيت

هباءً يُضيعُ العمرَ من ليس يشتري بأموالـه حمـداً ويُـذهبها سـدى

حكمة

المملكةُ من العقلاء تكتسبُ الجمال ومن الأتقياء تتحلى بالكمال والملوكُ أشدُّ احتياجاً إلى نصيحةِ العقلاء من احتياج العقلاء إلى التقرب من الملوك.

قطعة

نصحتك فاسمع يا مليكُ فلن ترى نظيراً لما أُوليك في باطن الكتْبِ

لغير ذوي الألباب لا تُعط منصباً وإلا فقد تُمسي مليكاً بلا لُبِّ

حكمة

ثلاثة أشياء ليس لها ثبات: المال بلا تجارة والعلم بلا مداولة والمُلك بلا سياسة، الشفقة على الطالحين ظلم للصالحين والعفو عن الظالمين جَوْر على البائسين.

بيت

إذا أنتَ عاملتَ الخبيثَ برأفةٍ فلا بِدعَ إنْ يوماً يشار كْكَ في الحكم

حكمة

لا يصحُّ لك أن تعتمدَ على صداقة الملوك ولا يلزمُ أن تَغترَّ بحسن صوتِ الأحداث لأن ذاك يتبدَّل بخيال الأوهام وهذا يتغير عند الاحتلام.

بيت

منُ القلب عن حبٍ له ألفُ عاشقٍ
وإلا فللهجران هَبْ ذلك القلبا

حكمة

كل سرٍ تملِكهُ لا تهتكه أمامَ صديق إذ ما يُدريك أنه في يوم ما يكون لك عدواً وكل ضَررٍ تقدر عليه لاتوصِله إلى العدو إذ ربما صار لك صديقاً وكل ما تودُّ إخفاءَه لا تُطلعْ عليه أحداً ولو كان عندَك مُعتمداً إذ ليس هناك أحدٌ أشفق عليك من سِرِّك.

قطعة

بالصمت فَضلٌ فكنْ بالسر محتفظاً
والخل لا تَدعْهُ بالسر ينبعثُ

والعين ما اسطعتَ فاسدُدْ رأسَها فإذا فاضتْ ستصبحُ نهراً سدُّه عبثُ

بيت

إذا القولُ لا يُرضيك سراً فلا تدَعْ مجالاً له في كل نادٍ ومحفلِ

حكمة

العدو الضعيف الذي يُبدي لك الطاعةَ ويُظهرُ الصداقة ليس له قصد من ذلك إلا أن يعود قوياً. قالوا: من ليس له اعتماد على وفاء الأصدقاء كيف يركَنُ إلى تملق الأعداء. كل من يَعُدُّ العدو الصغير حقيراً يشبه الذي يُهمل الجذوةَ الصغيرةَ فتعودُ سعيرا.

قطعة

أخمِدْ لظى النار إما كنت مقتدراً فالنارُ إن تَعلُ لاتبقي ولاتذرُ
ولا تدعْ للعدى قوساً فتوتِرَها فمِنْ سهام العدى لا يَنفعُ الحذرُ

نصيحة

تكلَّمْ بين العدوَّين بما لا يُعقِبكَ خجلاً إذا أصبحا صديقين.

قطعة

بـينَ الاثنـين الـوغى نـارٌ فـلا ... تَغـذُها بـاللؤم جـزلَ الحطـبِ
إن صــفا قلباهمــا عــدتَ إذن ... بــسوادِ الوجــه أو بــالحرَبِ
مَـن يُثِرْهـا بـين شخـصين فـلا ... بُـــد أن تَحرقَـــهُ باللهـــبِ

قطعة

تكلَّمْ مع الأصحاب سراً ولاتَـدع ... دوك يرهُف سمعَه وهو جذلانُ
وزنْ كلَّ حرف قبل نطقك واحترسْ ... فمـنْ خلـفِ جُـدران المنـازل آذانُ

حكمة

كُلُّ من صالح أعداءَ الأحباب يكون قد رغِبَ في أذية الأصدقاء.

بيت

انفض يديك من الصديق متى بـدا ... في جنب خصمك جالـساً في محفـلِ

حكمة

إذا تـردَّدتَ في إمـضاء أمـرين فـاخترْ مـا يعـودُ عليـك تنفيـذُه بـأخف الضررين.

بيت

مع السَّهلِ في الأقوال لاتُبدِ مُشكلاً ومع من يُريد الصلحَ لاتطلبِ الحربا

حكمة

ما دام العمل يمكن أن يحصل بالذهب فلا يجوز لك أن تُلقي النفسَ في العطب .

بيت

إذا ما يَدٌ لم تَستطعْ أيَّ حيلةٍ فغيرُ حرام قطعُها بحُسامِ

نصيحة

لا ترحم ضْعفَ العدو لأنه إذا أَصبح قوياً لا يرحمك .

بيت

بضعف العدى لاتَلْوِ بالفخر شارباً ففي كل عود إنْ حَرقْتَ دُخانُ

لطيفة

كُلُّ من يقتل شريراً فإنه ينقذُ الناسَ من بلاه ويخلصه من عذاب الله .

قطعة

هِبةُ الفتى خير ولكن لا تضَعْ　　بجراح من يؤذي الخلائقَ مَرْهما
لاترحم الثعبانَ واحذرْ أن تُرى　　منهُ على أبناء جنسِكَ أظلما

تحذير

كثيراً ما وقع المستورون بعلة الفقر في عين الفساد وأطاروا شرفَ العرض والدين في ريح السمعة السيئة بين العباد .

قطعة

على رأي العدوِّ حذار تجري　　فتَقرع بعد ذا سِنَّ الندامهْ
وحِدْ عما يراه وإن تراءَى　　أَمامكَ كالقناةِ في الاستقامَهْ

حكمة

الغضب إن زاد عن حده يأتي بالوحشة، واللطف في غير حينه يَذهبُ بالهيبة، فلا تتخاشنْ كثيراً فتنفِّر النـاسَ منك، ولاتَلِـن جـداً فيجـترئ النـاسُ عليك.

رجز

أللــــينُ والـــــشدة إن يُلتزمــــا كالجرح يُشفى إن وضعتَ المرهما
فلا تكنْ ما اسطعتَ صلداً قاسياً والقَــدْرَ لا تنقـصْه نقـصاً مُزريـا
لا ترتفــعْ عــن قَــدْرِكَ المحــدودِ ولا تـــــذِلَّ ذِلـــــة العبيـــــدِ

قطعة

قـد ناشـدَ الأبَ راعٍ لم يـزل حَـدَثاً هبْ لي نـصيحةَ ذي رأيٍ وتجريـبِ
أجابـه :كُــنْ قويـاً يـا بُنــيَّ عــلى قَــدْرٍ بــه تتــوقى صَــولةَ الــذيبِ

حكمة

اثنان للمملكة والدين عدوان سلطانٌ بلا حِلم وزاهدٌ بلا علم.

بيت

لا دام فوق سرير الملك منتصباً　　　ملْـكٌ إذا لم يكـن عبـداً لِمـولاهُ

حكمة

يليـق بالملـك ألاَّ يتنـاهى بـه الغـضب عـلى الأعـداء ولا يعتمـد عـلى الأصـدقاء لأن نـار الغـضب تعلَـقُ بـصاحبها في الأول وبعـد ذلـك يتـصل شررها بالخصم أو لا يتصل .

رجز

لا يلـزم الإنـسانَ وهـو ابـنُ الثـرى　　　أن يُظهـرَ الكِبرَ عـلى هـذي الـورى

فابنُ التراب إن تنـاهى في الغـضَبْ　　　فلـيس مـن طـينٍ ولكـن مـن لَهَـبْ

قطعة

سَـــعيتُ لعابــد في إبيْلقـــانٍ　　　فقلـت مُـن الجهالـة نـقِّ روحـي

فقــال : أيـا فقيــهُ اصـبحْ ترابـاً　　　أو ادْفِـن كـلَّ فقهـكَ في ضَريـحِ

مطايبة

رديء الطبع موثق ٌ أبداً بيدِ عدو، فحيثما يتوجه لايجد خلاصاً من براثن عقوبته.

بيت

أينجو رديء الطبع من شر نفسه فهيهات لاينجو وإن جاوز الشعرى

نصيحة

إذا رأيتَ التفرقة وقَعتْ في عسكر الأعداء فاجمَعِ الأصحاب، وإذا رأيتهم قد أجمعوا أمرهم فاحذرْ من تشتيت الشمل وهيئ الأسباب.

قطعة

معَ الصحب فاجلسْ وادِعَ النفس آمناً ا ما الأعادي بينهم وقع الخلف ُ
وإما تراهم أجمعوا الأمرَ بينهم وتر قسي الحرب واهجم ولاتعف ُ

تنبيه

العدوُّ متى أعيَتْهُ الحيلة حرَّك لكَ سلسلةَ الصداقة فيعملُ في أثنائها مالا يقدر على عمله في أثناء العداوة.

نصيحة

دُقَّ رأسَ الأفعى بيد العدو إذ لا يخلو الحال من إحدى الحسنيين فإذا غلبها أمنت شرها وإذا غلبته نجوت من شره .

بيت

في الحرب لا تأمَنِ الخصمَ الضعيف فقد يَفري حشا الليث إنْ مِنْ روحه يَئِسا

نصيحة

لاتُذعْ نبأً تعلمُ أنه غير سار حتى يجيءَ به غيرُك .

بيت

هاتِ بُشرى الربيع يا بلبلَ الرو ض وخلِّ النعيبَ للغربانِ

تحذير

لاتوقفِ الملك عَلى خيانة أحد مالم تثقْ كل الثقة بالقبول وإلا كنت كالساعي إلى حتفه بظلفه .

بيت

أَحْكـمِ الـرأيَ ثـم قُلْ بعـدَ هـذا　　　حـين تُلفـي لمـا تقـولُ سـميعا

مطايبة

كلُّ مَنْ يستنصحُ رأيه فهو بأشد الحاجة إلى مَنْ ينصحُه .

ملاطفة

لاتغتر بخداع العدو ولا بغرور المادح لأن ذاك ناصبٌ فَخَّ مكرهِ وهـذا فاتحٌ فمَ طمعِه فالأحمق يَطيبُ لـه الثنـاءُ كالذبيحـة تُنفَخُ مـن كُراعهـا لتظهـر سمينة .

قطعة

بمدح فصيح لا تُغرَّ أخـا الحجـا　　　ولو بقليل النفع يـرضى ويرغـبُ

فيـا رُبَّ يـوم لـيس يَبلُـغ قـصدَه　　　لَديْكَ فيبدي ألف عيب ويُطنبُ

تربية

المتكلمُ مـا دامَ لم ينبهْـه أحـدٌ عـلى عيوبـه فكلامـه لا يقبـل الـصلاحَ في أُسلوبه .

بيت

بقولك لا تغتر أو حُسنِ سَبْكه　　　فظنُّكَ لايكفي ولامدحُ جاهل

ملاطفة

كلُّ إنسان يرى لعقله الكمالَ ولأبنائه الجمال .

قطعة

أُثيرَ نِزاعٌ أمس ما بينَ مسلم　　　وبين يهودي ضَحِكت له جِدّا
دعا المسلمُ اللهمَّ إن جُزتُ عَقدَهُ　　　أمتني يهودياً أو امسخْه لي قردا
وأقسمَ بالتوراة ذاك بأنه　　　يموت على الإسلام إن زوَّر العقدا
ولو جُنَّ كل الناس ما شكَّ جاهلٌ　　　بأنَّ له عقلاً يعيش به فَردا

مطايبة

عشَرةٌ من الناس يأكلون على سفرة واحدة وكلبان لايمكن أن يتقابلا على جيفة هامدة، فالحريص لو ملك الدنيا فهو دائماً جوعان والقانع أبداً برغيف الخبز شبعان .

بيت

العـين لم تُمـلأ بكنـزَيْ عـسجدٍ   الجـوف يمَـلأه رُغيـف واحـدُ

رجز

إن أبي أجَلُـــه لمـــا انقـــضى   قـــدَّم لي نـــصيحةً ثـــم مـــضى
فقـــال لي : الـــشهوةُ نـــار تُتقـــى   لا تـــذكِها للـــنفس كـــيلا تُحرقـــا
مادمـــتَ لا تُطيـــق نـــارَ الآخـــرهْ   بالصبر أطفئ نارَ هـذي الغـادرهْ

حكمة

كلُّ من في حالةِ المقـدرة لايفعـل الجميـلَ سيواجهُ عنـد العجـز الـشدَةَ وهو ذليل .

بيت

مَـن بـاتَ يـؤذي الـورى فـالنحسُ طالِعُـهُ
إذ لـيس في الخطـب يُلْفـي صـاحباً أبـدا

حكمة

الروحُ في حماية نفَس واحـد والدنيـا وجودٌ بين عدمين والبائعو دينهم بدنياهم هم الحميرُ فبماذا يرغبون إذ باعوا يوسف، قال الله تعالى : «ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاَّ تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين» .

بيت

نكثتَ بعهد الحب إذ غشك العـدى تأمَّلْ تشاهدْ مَنْ وصلْتَ ومَنْ تجفـو

حكمة

لا عمل للشيطان مع المخلصين ولا للسلطان مع المفلسين.

قطعة

من لم يُصلِّ فـلا تقرضـه خَردلـةً ولو تراءى دخانُ الجوع مـن فيـه
مادام فـرضُ الـذي انـشاه لم يَفِـهِ فليسَ يـسألُ عـن قَـرضٍ فيوفيـه

حكمة

كل شيء يأتي عاجلاً لا يمكن أن يثبت على الزمن.

قطعة

يَصْنعُ الكأسَ في مَدى رُبع قَـرنٍ عاملُ الـصين بعـدَ بـذل الجهـودِ

وببغـــدادَلْألْــفَ كــأسٍ بعـــامِ   فـاعرفِ الفـرقَ عنـد قـبضِ النقـودِ

قطعة

يـسعى إلى رزقـه فـرخُ الـدجاج ولا   يقوى على الفهم طفلُ العام فاعتبرِ
هــذا بإسراعــه مــا نــالَ مَفخــرةً   وذا تريُّثـــــه أدَّى إلى الفِكَـــــرِ
قـدْرُ الزجـاج رخـيصٌ مـن تكـاثُرِهِ   واللَّعـلُ نـزرٌ فأمـسى جِـدَّ مُعتَـبرِ

حكمة

الأعمال بالصبر تتيسر والمستعجلُ يقع على رأسه فيُكْسَر.

قطعة

بعينيَّ في البيداء أبصرتُ مَنْ مـشى   عـلى مَهَـلٍ أعيـا الـذي مَـرَّ مُـسرعا
وكـم قطـعَ الخيـلَ الجيـادَ طرادُهـا   وقد مَرَّ حادي العيس بالركب مزمعا

مطايبة

لم يكن للجاهل أفضلُ من صمته ولو أنه يعرف هذه المصلحة لما عُدَّ جاهلاً.

قطعة

إن كنـتَ لم تمتلِـكْ فـضلاً ولا أدبـاً فاحبس لسانك واعرف كيف تُصلحُهُ
فـالمرءُ مِقولُــه بـالنطق يُخجلــهُ والجَـوْزُ خِفتُـه بـالكف تَفـضَحُهُ

قطعة

رأى أبلَـهٌ تعليمَ جَحش فلـم يـزل يُغاديـه في دأبٍ مـدى العمـر دائـمِ
فقــال لــه يومــاً حكـيمٌ مؤنِّبـاً ألمْ تخـشَ يـا مـأفونُ لَومـةَ لائـمِ
إذا عنـكَ لم تَـروِ البهـائمُ منطقـاً فخذ أنتَ درساً من سكوت البهائمِ

قطعة

سـيأتي كثـيرٌ مـن كلامِـكَ خاطِئـاً إذا لم تُطـلْ قبـلَ الجـواب التـأمُّلا
فصُغْ ما استطعت القول للناس حُليةً أو اقبـع ولا تنهـق بحملـك مـثقلا

مطايبة

كل من ناظر من هو أوسعُ منه علماً ليشهدَ الناسُ له بالفضل فإنهاينادي ببحثه على جهله .

بيت

إذا ساق للناس الحديثَ أخو الحجا فلا تعترضْ حتى ولو كنتَ عالما

لطيفة

كل من يجالسُ الأشرارَ فلن ينال خيراً مدى الأدهار .

قطعة

إذا ما مَلاك والرجيم تصاحبا تعلَّمَ منه مكرَ كل رجيمِ
فلا ترج خيراً من لئيم وهل تَرى على الدهر ذئباً خاط جلدَ بهيم

نصيحة

لا تفش عيوب الرجال الخافية فإنك تسبب لهم الفضيحة وتسبب لنفسك عدم الاعتماد .

تنبيه

كل من درس العلم وما عمل به فهو كمن حرث وما بذر .

عبرة

من الجسد الخالي من الإحساس لا تأتي طاعة والقشر الفارغ من اللب لايُعد في البضاعة .

تنبيه

ليس كل من يرغب في المجادلة يكون مستقيماً في المعاملة .

بيت

لهـا قامـةٌ كالغـصن تحـت إزارهـا   وتبدو عجوزاً دردبيسـاً متى تَعـرى

حكمة

لو أن الليالي كلها ليلة القدر لما كان أيُّ قَدْرٍ لليلة القدر .

بيت

لـــو أن كـــلَّ حـــصاةٍ درةٌ لغـــدى   در النحـــور إذن في القـــدر كالمـــدَرِ

حكمة

ليس كل من هو حسَنُ الصورة يكون حسنَ السريرة إذ القيمة باللب لابالقشور .

قطعة

يجــوز بيــوم واحــد تَــسبُر الفتــى　　فتعـرف أقـصى مـا يُجِيـدُ مـن العلـمِ
وإيــاكَ أن تغــترَّ إذ سُــوء طبعــهِ　　ببضعِ سنين ليس يبـدو لـذي الفهـمِ

تخويف

كل من لج بالعناد مع العظماء فإنما أهرق من نفسه الدماء .

قطعة

أبصرتَ نفسَك كالشخصين في عظم　　صدقتَ فيما تَـرى إذ كنـت ذا حَـوَلِ
يا فاتح اللعب مع كبش النطاح أفِقْ　　كـيلا يحطـمَ منـك الـرأس في الجـدَلِ

نصيحة

ملاكمة الأسد ومصادمة الحسام ليستا من عمل العقلاء .

بيت

إيــاك أَنْ تلقــى القــويَّ محاربــاً　　واضــمم يـديك إلى الجنـاح وسـلِّم

تحذير

الضعيف الذي يتحاربُ مع القوي يُعين عدوَّه على هلاك نفسه .

قطعة

أيطيــق الكــماةَ مــن قــد تربــى　　في ظــلال النعــيم يــوم النــزالِ
لا تمُــدنَّ ســاعداً يــا أخــا الجهــ　　ــــل ضــعيفاً لِــبُرثن الرئبـــالِ

توبيخ

كل من لا يسمع النصيحة باهتمام يستحوذ عليه هوى استماع الملام .

بيت

إن كنــت لا تهــوى نــصيحةَ ناصــح　　فمتى سمعتَ صدى الملامَةِ فاصمُتِ

لطيفة

عديم الفهم لا يقوى على نظر صاحب العرفان ككلاب السوق متى رأتْ كلب صيد نهضت لحربه ولكنها تُكثر النباحَ ولا تجسر على التقرب منه .

تحذير

السَّفِلَةُ إذا لم يقدروا على مقابلة أحد بالمعرفة فإنهم بخبثهم يمزقون جلده في الغيبة .

بيت

في الغيبِ يطعنُك الحسودُ لضعفه　　وتراه يُبدي في الحضور لك الودا

شكاية

لولا جور البطن لما وقع طائر بالفخ بل ما كان الصياد يسعى لنصب الشرك .

عبرة

الحكماء يطيلون مِطال الجوع وبعد ذلك يأكلون ما اتَّفق، والعبَّاد ينتهون عند نصف الشبع والزهاد غايتهم سد الرمق والشبان حتى يُرفع الطبق والشيوخ حتى يكلهم العرق أما السكارى فحتى لا يبقى في المعدة محل لنفَس ولا على المائدة رزق لأحد يُلتمس .

قطعة

عابد البطن ليلتان تراه　　فيهما لا يذوق طعم الرقادِ

حين يعييه الاتِّخامُ والاخرى　　حين يخلو الوفاض من أي زادِ

وعظ

المشورة مع النساء فساد والسخاء للمفسدين من خطأ الأسياد .

بيت

من يرحمِ الذئبَ ذا النابِ الحديد يُجُرْ
جداً على النعجة البلهاءِ والراعي

نصيحة

كل من كان عدوه تحت قبضته ولم يقتله فقد قتل نفسه .

بيت

أفعى على حجر وعندك مثلُه فأرى فسادَ الرأي أن تتردَّدا

ويرى جماعة من العقلاء أن المصلحة بخلاف هذا الرأي قائلين : إن التأمل في قتل الأسرى أولى وأحرى لأن الاختيار باق فيمكن القتل ويمكن العتق أما القتل بلا تأمل فيحتمل أن يفوِّت النفعَ ويكون تداركُ مثل ذلك ممتنعاً .

رجز

يُمكِـنُ قتـلُ الحـي لكـنْ عَـودُه إلى الحيـــاة ثانيـــاً لا يمكـــنُ
لا يرجـــع الـــسهمُ إذا رميتـــه للقــوس واصــبرْ فالتــأني أحــسنُ

نصيحة

الحكيم الذي انخرط في سلك الجهال يجدر به ألا يتوقعَ العزةَ والإقبال فإن الجاهل إذا غلَب الحكيمَ بالكلام فليس بالعجيب كما أن كَسْر الجوهرِ بالحجر لا يُعد في الغريب

بيت

مـا بـصمتِ الهـزارِ مـن عَجَـبٍ إن يَبِـــتْ والغُـــرابَ في قفـــصِ

قطعة

إذا ما جفَتْ ذا الفهـم أو بـاشُ عـصره فلا يقتلنْهُ الحزنُ مـن سـوء مـا يلقـى
فإمـا حـصاةٌ حَطَّمـتْ كـأسَ عـسجد فقيمـةُ كـلٍ لـيس تهـوي ولا ترقـى

لطيفة

لا تعجب من العاقل إذا لم يكن كلامه مسموعاً بين زمرة الأجلاف فإن صوت العود لا يظهر مع دَرّ دار الطبل ورائحة العبير تتغلب عليها رائحة الثوم .

قطعة

ألا إنــما الجهــالُ ترفــع صــوتَها　　بغير حياء في النـوادي لكـي تعلـو

ويخفت صوت الناي والركب سادرٌ　　بأجواز عرض البيـد إن قُـرِع الطبـلُ

حكمة

الجوهر نفيس ولو وقع في النجاسة والغبار خسيس ولو تصاعد إلى الفلك والاستعداد بلا تربية خسارة والتربية لغير المستعد آمال ضائعة والرماد وإن علا نسبه لعلو جوهر النار حيث إنه لم يسم بنفسه فهو والتراب سواء وقيمة السكر ليست من القصب بل لخاصية فيه .

قطعة

ولو لم يكن [كنعان] بالطبع فاضلاً　　لمــا ازداد قــدراً مــن نبــوةِ نــسله

فحِليتُكَ الآداب لا أصل جوهر　　فــآزرُ إبــراهيمُ مــن بعــض أهلــه

لطيفة

المِسكُ هوذلك الذي يُخفي نفحُهُ شذا الأزهار لا ما يحدثك عنه العطار .

العالِمُ كعلبة العطار صامتٌ تلمع منه المعرفة والجاهل كطبل الحرب عالي الصوت فارغ القلب .

قطعة

ذو العلـم مـا بـين جهـال لَـه مَثَـلٌ　　مستحـسَنٌ مـن أولي خُـبْر وعِرفـانِ
كمـصحف بـين شـبان زنادقـة　　أو غـادة دِلْـبرٍ مـا بـين عُميـانِ

نصيحة

الحبيب الذي لا تعلق به اليد إلا بمدة العمر لا يليق بكَ إيلامه من نفسَ واحد بالهجر .

بيت

بدهر طويـل يـصبح اللعـل جـوهرا　　فإيـاكَ لا تحطِمْـهُ في لحظـة عَمـدا

تشبيه

العقل الموثق بيد النَّفسْ كالرجل الضعيف بيد المرأة القوية .

بيت

أغلق على الدار أبـواب الـسرور إذا صــوت النــساء تعــالى في نواحيهــا

حكمة

الرأي بغير قوة مكر وخداع والقوة من غير رأي حمق وجنون .

بيت

صُــنِ المُلْـك بالتـدبير والعقـل إنــما سلاحُ لحرب الله مُلكُ أخـي الجهـل

تربية

الكريم الذي يأكل ويعطي أفضل من العابد الذي يصوم ويخفي .

مطايبة

كل من ترك الشهوة لأجل قبول الأنام وقع من شهوة الحلال في شهوة الحرام .

بيت

إذا عابـد لله مــا اعتــزل الــورى فــماذا بمــرآة الظــلام إذنْ يَــرى

لطيفة

القليل على القليل يصير كثيراً والقطرة على القطرة تعود سيلاً غزيراً أعني أولئك الذين ليس لهم اقتدار يجمعون قطع الأحجار حتى ينتهزوا وقت فرصة فيتقموا بها من دماغ الظالم لإزالة الغصة.

شعر عربي الأصل

وقطر على قطر إذا اتفقت نهر　　ونهر إلى نهر إذا اجتمعت بحر

بيت

من قطرة قطرة سيل جرى وكذا　　من حبة حبة كم أُفعِمَ الجُرُنُ

حكمة

لا يليق بالعالم الفاضل أن يصفح بحلمه عن سفاهة الجاهل لأن الخسارة على الطرفين، إذ تنقص هيبة هذا ويستحكم جهل ذاك.

بيت

إذا عاملت في لطف سفيهاً　　أبان لك التكبر والعنادا

موعظة

المعصية إذا صدرت من كل أحد لا تكون مقبولة فصدورها من العالم مصيبة كبرى لأن العلم سلاح لحرب الشيطان وشاكي السلاح في الأسر أشد خجلاً من الجبان .

قطعة

الجهـــولُ الفقـــيرُ خـــيرٌ لعمـــري مـــن علـــيم ملطـــخ بـــالعيوبِ
ذاك أعمـــى بمفـــرق الطـــرق ثـــاوٍ وبعينيـــــه ذا هَـــــوى في قليـــــب

مطايبة

كل من لم يأكلِ الناسُ خبزَه في حياته لا يذكرون اسمه بعد مماته .

حكمة

كان يوسف عليه السلام في سني القحط في مصر لا يَشبَعُ حتى لا ينسى الجياع فإن الذي يعرف لذة العنب في الطعم المرأة الأرملة لا صاحب الكَرْم .

قطعة

ألا إن مـــن يحيـــا بخـــير وراحـــة بحـــال جيـــاع النـــاس لـــيس لـــه علـــمُ
بلى ليس يـدري مـا بهـم غـير بـائس ألـــح عليـــه الفقـــر وانتابـــه الـــسقمُ

قطعة

أيا مـن عـلى ظهـر الجـواد وقـد رأى　　حماراً بحمل الشوك قد غاص في الطينِ
ظننتَ دخان الجـار قـد ثـار للقِرى　　فـذاك دخـان ثـار مـن كبْـدِ مـسكينِ

وعظ

لا تسأل عن حال الفقير الضعيف سنةَ القحط إلا بهذا الشرط وهو أن تضع المرهم على جُرحه وتُلقي أمامه ما يخفف ألم قَرحه .

قطعة

إذا رأيـت حـمـاراً غـاص في وحـلٍ　　فاعطف عليه وخل الرأس في العملِ
واربـط حزامـك للانقـاذ مجتهـداً　　ولا تقل كيف هذا غاص في الوحل

وعظ

شيئان في العقل محالان أن تأكل أكثر من الرزق المقسوم وأن تموت قبل الأجل المحتوم .

قطعة

لا يُـرَدُّ القـضاءُ مـن ألـف آهٍ وبـشكوى ظُلامـةٍ أو بـشكرِ
أَمَـلاكُ الريـاح يَغـتمُّ إن يُطـ ـفأْ سِراجٌ لأيِّـمٍ ذاتِ فقـرِ

نصيحة

يا طالب الرزق اجلس وهو يأتيك ويا مطلوب الأجل لا تهرب فذاك لاينجيك.

قطعة

إن تسعَ للرزق أو تقعد هُديتَ فقد مضى - بما كان مقسوماً لك - الأزلُ
وإن تكنْ بين شِدَقيْ ضيغم فأرى أنْ لستَ تُؤكَلُ ما لم ينتهِ الأجلُ

حكمة

كل ما لم يُقسم لا يصل إلى اليد وما قُسم ينال ولو كان في أي بلد.

بيت

خاض [الاسْكندرُ] بحر الظلماتِ وسِواهُ عَبَّ من [عين الحياةِ]

حكمة

بدون نصيب لا يَظفر الصياد من دِجْلَةَ بحوت والحوت ما لم ينته أجله في اليابسة لايموت .

بيت

ذو الحرص يَعدو وراءَ الرزقِ منتحباً
والموتُ من خلفه يَعدو ويبتسمُ

تشبيه

الغني الفاسق حجر مَطلي بالنُّضار، والفقير الصالح محبوب ملوث بالغبار، هذا خرقة موسى المرقعة وذاك لحية فرعون المرصعة، وجه شِدَّة الصالحين بالفرج مغبوط ورأس دولة الطالحين في الهبوط .

قطعة

كلُّ ذي دولة وصاحبِ جاهٍ ليس يَهوى رعاية المحْدودِ
خبِّروهُ بأنه لن يُلاقي عزةً بعدها بدار الخلودِ

لطيفة

الحسود بنعمة الحق ما أبخله على أنه عَدو لمن لا ذنب له .

قطعة

رأيـتُ أخـا جهـلٍ يُمـزق دائبـاً   إهـابَ أخـي جـاه ويوسِـعه شَـتما
فقلـتُ لـه إن كـان حظـك سـيئاً   فما ذنب ذي الحظ العظيم فلا تعمى

قطعة

أَلا لا تَـرُمْ حـرب الحـسود فإنـه   وطالعَه المنحوس ما عاش في حربِ
ولـستَ بمحتـاجٍ إلى حـرب مَـن لَـه   عـداوةُ نفسٍ لا تُـريح مـن الكـربِ

تشبيه

التلميذ بُلا إرادة عاشق ٌ بلا ذهب، والسائح بلا معرفة طائر بلا جَناح، والعالِمُ بلا عمل شجرة بلا ثمر، والزاهد بلا علم دار بلا باب .

نصيحة

المرادُ من نزول القرآن تحصيلُ السيرة الحسنة لا ترتيـل السـورة المدوَّنـة والعامي المتعبد مسافر عـلى القـدم والعـالِم المتهـاون فـارس عـاجز، العـاصي الذي يرفع يده لله أفضل من العابد الذي تملَّك الكِبرُ من رأسه فأرداه .

بيت

يَفضُل |القوَّاس| ذو الطبع اللطيفِ شـيخَ فقـهٍ في الأذى جِـد مَخـوفِ

مطايبة

قالوا لشخص ماذا يُشبه العالِم بلا عمل فقال زنبوراً بلا عسل .

بيت

ألا أَبلغِ الزُّنبورَ ذا اللؤم حكمة إذا عـسلاً لم تُعـطِ بالـسم لا تـؤذي

تشبيه

رجل بلا مروءة امرأةٌ بلا تفريق، وعابد بالأطماع قاطع طريق .

قطعة

أيـا لابِـساً ثـوبَ الريـاءِ مُبَيـضاً وصِـيتُكَ في الآفـاق سـوَّده الإثـمُ

ألا اقصُرْ عن الـدنيا يـديك فـإنما سـواءٌ لـديها طـال أو قَـصَر الكُـمُّ

لطيفة

اثنان لا تخرج حسرتُهما من الصدر ولا قَدمُ تغابُنهما من وحَل القهر، تاجُرُ كُسِرَ مركبُه فغرق، ووارثٌ جلس مع السكارى.

قطعة

يُبيحُ دمَ المُثري الفقيرُ لجهلهِ إذا لم يجد يوماً سبيلاً لمالهِ

فلا تصحب الشخص الذي ازْرَقَّ ثوبُه إذا لم تُرد صبغ الثيابِ كحالهِ

ولا تَقْرب الفيَّالَ أو فابن مثله مكاناً يعيش الفيلُ تحت ظِلالهِ

نصيحة

خلعة السلطان وإن تكن عزيزة فثوبُك الخلِق أعز منها وعيش الأكابر وإن كان لذيذاً ففُتاتُ الخبز الذي في جرابك أَلَذُّ منه.

بيت

الخَلُّ والكُراث من كدِّ الفتى خير من الجفنات في دُور القِرى

حكمة

مما يُخالف رأي الصواب وينقض عهود أولي الألباب استعمالُ الدواء بالظنون والذهاب في طريق مجهول بلا دليل ورفقة قافلة، سألوا الإمام المرشد محمد الغَزالي : كيف وصلتَ في العلوم إلى هذه المنزلة؟ فقال : لأن كل شيء لم أعلم حقيقته لا أرى من العيب أن أسأل عنه .

قطعة

شفاءَكَ ترجوه وترتاحُ إن تَجِدْ ... طبيباً بجَسِّ النبض جاء بحاصلِ

وعن كل ما لم تدر فاسأل فإنما ... دليلٌ على العرفان ذُل التساؤل

حكمة

كل ما تدري بأنك ستعلمُه فلا تَعجل بالسؤال عنه لأنكَ تُكسب الحكمة خسارةً بضعف الهمة .

قطعة

لما رأى لقمان داوداً وقد ... لان الحديدُ بكفه كالمُومِ

ما قال : ماذا أنت تصنعُ إذ رأى ... أمراً سيُوصِلُه إلى المفهومِ

أدب

من لوازم الصحبة وآدابها أنْ تُخلي الدار أو تتفق مع أصحابها .

قطعة

على مقدار طبع المرء حدِّثْ إذا تُلفي لقولك منه مَيلا
نى يجلِسْ ومجنونا حَصيفٌ فلا يَروي سوى أخبار ليلى

مطايبة

كل من جلس مع الأشرار يُتهم بطريقتهم وإن لم يَقتد بطبيعتهم وكذلك من ذهب إلى الحانة بقصد الصلاة لا ينسبه إلا إلى شرب الخمر مَنْ يراه .

قطعة

ولما اخترت صُحبة غَير كفُءٍ وسمتُ بميسم الجهال نفسي
فرحتُ لعالم وطلبتُ نُصحاً فجاوبَ إذ لُصِقت بكل جبسِ
لو انَّكَ عالم تُمسي حماراً أو انَّكَ جاهل فإلى الأخَسِّ

عبرة

حِلمُ الجمل كذلك معلوم فإنه ينقاد بالزمام لأي غلام فيمشي مائة فرسخ في موافقته ولا يلوي العنق عن متابعته غير أنه إن ظهر أمامه واد مَخوف يكون موجباً لهلاكه وأراد الطفل بالجهل أن يسير به من ذلك المحل فتراه يقطع الزمام من يد الغلام ولا يُطاوعه بعد ذلك. فبوقت الخشونة تكون الملاطفة مذمومة قالوا: لا يصير العدو بالملاطفة صديقاً بل يزيد طمعه بأن يرى تفريقاً.

قطعة

لمن يُبدي اللطافةَ كن تراباً ... وذُرَّ بعين من خَشُنَ الترابا
ولا ترفَقُ بقاسي الطبع واعلم ... إذا صَدِئ الحديدُ فلن يذابا

أدب

كل من أدْرَج باللغط سيرةَ الخلق في الوسط لِيُظهر رأسَ مال فضلِه فما أوضحَ إلا مَرتبةَ جهله.

قطعة

ذكيُّ القلب من أعطى جواباً لسائله على قدر السؤالِ
سَنَ يمزح وْإن ينطق بصدق فدعواه تُعد من المحالِ

أدب

كان لي جرح يستره ثوبي وكان حضرة الشيخ رحمه الله يسألني في كل يوم كيف جرحك ولم يسألني أين هو . فعلمت أنه كان يحترز، إذ لايليق بكل عضو أن يُصرح بذكره . كل من لا يَزن الكلام يقع بالجواب في الملام .

قطعة

ما دمتَ لم تدر ما عينُ الصواب فلا تفتح بنطقك ما بين الأنام فما
فالسجن بالصدق خير من هوى كذب يُنجي من القيد إذ ما تخدع الأمما

تشبيه

الكلمة الكاذبة تبقى ضربة لازب ربما ينالها الشفاء لكنْ علامتُها تأبى الخفاء كإخوة يوسف عليه السلام صاروا مَوْسومين بكذب الكلام ولم يُعتمد صدقُ قولهم بعد ذلك المقام . قال الله تعالى «بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل» .

قطعة

إذا اعتادَ قولَ الصدق دوماً أخو هدى
وأخطأ كان العفوُ من صحبه سهلا
ومن كان قولُ الكذب ديدَنه وإن
يَفُهْ صادقاً لا يحفلون به أصلا

مطايبة

الإنسان في الظاهر أجل الكائنات والكلب أذل الموجودات وباتفاق العقلاء أن الكلب الحافظ للنعمة أفضل من ناكر الجميل من بني الإنسان .

قطعة

أرى الكلبَ لا ينسى الجميلَ بلقمة ... وإن يلق منكَ الجورَ والطردَ والضربا
ولو عاش في نُعماكَ ذو اللؤم دهره ... عليكَ لأدنى هَفوة يُعلنُ الحربا

لطيفة

من النفس المسمَّنة لا يأتي صاحب معرفة والذي بلا معرفة لا يصلح للرئاسة .

قطعة

على الثور لاتحزن إذا ماتَ إن يكن　　أَكُــولاً نَؤومــاً لا يفيــدك في الحقــلِ
فإن رُمتَ تَقني الشحم واللحم مثله　　تَعــشْ كحــمار بــل أذل مــن النعــلِ

تربية

جاء في الإنجيل: يا ابن آدم إذا أغنيتك تنشغل عني وإذا أفقرتك تجلس ضيق الصدر فأين إذن تجد حلاوة ذكري لتسارع إلى عبادتي وشكري.

قطعة

إذا كنــتَ في نُعمــى فأنــت بغفلــةٍ　　وإن كنت في بؤسى فجرحك في القلبِ
ومـا دمـت في الـسراء والـضر هكـذا　　فقــل لي متــى تُعنــى بنفــسكَ للــربِّ

عبرة

بإرادة الذي لا شبيه له ينزل مَلِكٌ عن عرش سلطنته ويُحفظ آخرُ ببطن الحوت.

بيت

بأحسنِ حـال مـن بـذكراكَ يـأنَسُ		وإن غاب في حوت كما غـاب يـونسُ

حكمة

إن يسَل سيفَ القهر العَلي يُخفي الرأس كل نَبي وولي وإن تحركتْ إشارة اللطف في أي حين يتصل الطالحون بالصالحين.

قطعة

إذا بخطاب القهر في الحشر أخـذُنا		فـماذا اعتـذارُ الأنبيـاء لـدى الحـشر
فإما تُـزح عـن وجـه لطفـكَ سـترَه		فكـل شـقي بـات يرجـوك في خـيرِ

وعظ

كل من لا يلزم طريق الصواب بتأديب الدنيا يُوثَق في تعـذيب العُقبى قال الله تعالى «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر».

بيت

وكل عظيم شأنُه النصحُ فانتـصِحْ		بـذا القيـدِ أو هيِّـئ لِشِقوتكَ القيـدا

عبرة

سعداء الطالع يتناصحون بالحكايات والأمثال من آثار المتقدمين وبهذا السبب يضرب الأمثالَ بوقائعهم طائفة المتأخرين.

قطعة

على حبَّة بالفخ ما حام طائرٌ　　رأى غيره في الفخ أصبح واقعاً
فخذ من مصاب الناس وعظاً ولا يكن　　مصابُكَ منه الناس توعَظ فاسمعا

حكمة

ما حيلة الذي نقلوا أذُن رغبته في الاستماع وكيف يَشرد من أوصلوه بقيد السعادة إلى خِطة الارتفاع.

قطعة

ألا إن أهلَ الله يُشرق ليلُهم　　وإن كان دَيْجوراً كما تشرق الشمسُ
وما سَعِدوا من قوةٍ بِسواعدٍ　　ولكن بفضل الله تَبتهِجُ النفسُ

رباعية

لمن اشتكي إذ ليس غيرُك حاكماً　　وأيُّ يدٍ تعلو على يَدِكَ العُليا
وما ضل من في الكون كنت لِعقله　　دليلاً ومن تُضْلِلْه هيهات أن يُهدى

عبرة

الفقير الحسن الختام خير من الملك الرديء العاقبة بالآثام.

بيت

الغَمُّ تعقبه الأفراحُ دائمةً　　خير من الصفو يأتي بعده الكدرُ

لطيفة

للأرض من السماء النثارُ وللسماء من الأرض الغبار وكل إناء بالذي فيه ينضح.

بيت

اذا كان طبعي جاءَ عندك سَيئاً　　فطبعَكَ لي أظهره في غاية الحسنِ

أدب

الحق جل وعلا ينظر ويستر بالمنح والجار لا يرى ويخدش بالجرح .

بيت

ولو كان ما تُخفي السرائرُ بادياً　　　لَما ارتاحَ ناسٌ من ملامة ناسِ

مطايبة

الذهب يخرج من معدنه بحفر المعدن ومن يد البخيل يَقلع نفسَه ما أمكن .

قطعة

لم يأكلوا ما خَبَّأوه وقد رأوا　　　ما أمَّلوا خيراً من المأكولِ
أُنظر فقد بَقِيَ المؤَمَّلُ بعدهم　　　ذَهباً وقد ذهبوا لِشَر سبيلِ

أدب

كل من لاينعم على من هو تحت يده يوثقه جور الأقوياء من عضده .

رجز

مــا كــل مــن في ســاعدَيه قــوة   يَقـوى عـلى قتـل الـضعيف المعـدمِ

إيــاك أن تــؤلم قلــبَ عــاجز   فتُبتــلى بجــور طــاغ فــارحمِ

حكمة

العاقل عنـدما يـرى الخـلاف في الوسـط يقفـز وحـين الـصلح في البـين يثبت يرتكز، إذ هناك السلامة عند الساحل وهنا الحلاوة في الوسط للناهل.

حكمة

لعب النرد إن كان ينبغي فيه الثلاثة مع الستة للقاصد فالذي يجيء مع الثلاثة يكون غير الواحد.

بيت

مراعي الحمى خيرٌ من الجَرْيِ في الـوغَى

ولكــنْ عنــانُ الخَيــل لــيس بأيــديها

تضرع

كان أحد الفقراء يقول : يارب ارحم الطالحين فإنك رحمت الصالحين بخلقك إياهم صالحين .

حكمة

الذي رقم العَلم على الثوب الجديد ووضع الخاتم في اليد اليسرى هو جمشيد فسألوه لِمَ منحت كُلَّ الزينة للشمال مع أن لليمين خاصية الإفضال فقال اعلموا وأنا لا أمين أنَّ زينة اليُمن تكفي اليمين .

قطعة

ومـا رام أفريـدون نقـشَ خيامِـه وتطريزَهـا إلا بأيـدي بنـي الـصينِ
وأهلُ التقى والفضل زانوا نفوسَهم وأرواحَهـم بـالعلم والحلـم والـدينِ

حكمة

قالوا لكبير مَكين : مع هذا الفضل الذي اختصت به اليد اليمين لماذا يخُصون اليد الشمال بالخاتم الثمين فقال : أوليس من المعلوم أن صاحب الفضل هو المحروم .

بيت

مَن أبدعَ الحظ والأرزاق قَسَّمها يُعطي لك الفضلَ أو يُعطي لك الذهبا

ملاطفة

نُصح الملوك مسلمٌ لواحد لا يُداخِله الرهب وهو الذي لا يخاف على رأسه ولايكون له أمل بالذهب .

قطعة

سواء لدى من وحَّد الله إن يُقدْ إلى النطع أو ينفخْ ببدرة عَسجدِ
فلا آملٌ فضلاً ولا راهبٌ رَدىً فذلك أُسُّ الدين عند المَوَحِّدِ

لطيفة

المِلكُ لأجل دفع شر الظالمين والنائب لمن يَكرعُ من دماء المستضعفين والقاضي لمصالح المتشاكين وما انفصل عنه الأخصام وكانوا بالحق راضين .

قطعة

إذا كان دفع الحق يلزم يا فتى فباللطف أحرى أن تؤديه لا الحربِ
فأعطِ خراج الملك عن طيب خاطر وإلا فغَصباً بالإهانة والضربِ

مطايبة

كل من تضرس سنه فالحموضة هي السبب إلا القاضي فلحلاوة المُكتسب .

بيت

بخمس خِيارات لئن تَرشِ قاضياً فكِدْساً من البِطيخ تُثبتُ في الحقلِ

لطيفة

ماذا تصنع العجوز إن لم تتب بالزنا وكيف للمُحتسِب المعزول أن يؤذي الخلق بالعنا .

بيت

فكبح جماح النفس يجدر بالفتى ومَن شاخ ماتَتْ في الفِراش رغائِبُهْ

حكمة

سألوا حكيماً : على قدر ما اشتهر من هذه الأشجار التي خلقها الله تعالى عالية ذات ثمار لم يطلق الناس اسم (المعتوق) إلا على السرو مع أنه ليس له ثمر كسائر الشجر فقال : لكل من تلك دخل معين ووقت معلوم فتارة تزهى بوجوده وتارة تذبل بعدمه والسرو ليس له هذا التقلب بل هو زاهٍ في جميع الأوقات وهذه هي صفة الأحرار .

قطعة

لا تَهوَ ما عشتَ شيئاً لا ثباتَ له فكم جَرتْ دِجلة من بعد (هارونِ)
فان قدرت فكن كالنخل ذا كرَمِ أوْ لا فكالسرو حُرّاً في البساتينِ

وعظ

اثنان بالحسرة ميتان الأول مَنْ ملك وما أكل والثاني مَن علم ولم يعمل .

قطعة

لا ترى ذا البخل ممدوحاً وإن يَخْلُ من عيب رَموه بالعيوبِ
وأخو الجود وإن يُذنب فقد يَغفِرُ الجودُ له كلَّ الذنوبِ

خاتمة الكتاب

قد تم كتاب [روضة الورد] والمستعان على ذلك هو الله الفرد وحيث اجتمع فيه ماجرى التلفيق به من شعر المتقدمين ولو على طريق الاستعارة كرسم المؤلفين:

بيت

لـئن تلـبس عتيقـاً فهـو خـيرٌ ... مـن الثـوب الجديـد المـستعارِ

وكان غالب كلام السعدي ناشراً للطرب ممزوجاً بالطّيب الندي كاد عديمُ النظر والبيان يكون طويل اللسان قائلاً: ليس من عمل العقلاء إذهاب لب الدماغ باطلاً أو تناول دخان السراج بغير فائدة تجتلى لكن أولياء الله الذين آراؤهم لامعة لا تخفى عليهم من وجوه هذا الكلام الدررُ الساطعة بالمواعظ الشافية التي خرجت في سلك العبارة مع اللطافة والمداواة بمُر النصيحة المختلطة بشهد الظرافة لكيلا يسأم طبعُ المخاطب المَلولُ ولا يكون محروماً في دولة القبول.

قطعة

لقـد نـصحنا بعـد أن عملنـا ... سـنينَ لاتُعـد وانتَهينـا

إن لم يَجِـدْ ذا رغبـة في الفـراغْ ... فـما عـلى الرسـول إلا الـبلاغْ

نبذة من تاريخ حياة سعدي

إن من يتتبع آثار هذا الشاعر العظيم الذي طبقت شهرته الآفاق في مشارق الأرض ومغاربها، يستطيع أن يستخلص تاريخ حياته بسهولة مما تركه بين أيدي الناس يتداولونه ويتدارسونه فيما بينهم، معجبين مأخوذين بهذه العبقرية الفذة التي لايجود الزمان بمثلها إلا في فترات قليلة بين حقبة وأخرى من الدهر بعيدة المدى متطاولة الأمد. وإن الذين أرخوه وعنوا بآثاره استخلصوا تاريخ حياته من دواوينه الشعرية ومن نثره الساحر، خصوصاً في كتابه الخالد [كلستان] وفي ديوانه الفاتن [بوستان].

أما اسمه الكامل فهو الشيخ مشرف الدين بن مصلح الدين السعدي، أحد النجوم اللامعة، في سماء الأدب الإيراني، فلقد بلغ أعلى درجات الفصاحة في اللغة الفارسية، كما أن نظمه ونثره يعدان أحسن مثال في السلاسة والبلاغة. أما ولادته فكانت سنة ٦٠٦ هـ على الأغلب.

ويزعم بعضهم أن الشاعر كان في رعاية الأتابك سعد بن زنكي، الذي أرسله إلى بغداد لإتمام علومه. وأغلب الظن أن الشيخ قد عزم على السفر إلى تلك المدينة للتحصيل، لما رآه من الحروب والاضطرابات في نواحي فارس، وقد كان من نتائج هذا السفر، ومن التقائه بعلماء بغداد وعظمائها، أن كان لكل هذا تأثير لاحد له في نفسية شاعر شاب، وفي أفكاره كذلك.

وقد كانت بغداد في ذلك الوقت، دار العلم، حضر فيها دروس أساتذتها، كالشيخ شهاب الدين السهروردي، وهو من كبار رجال الصوفية، وأبي الفرج بن الجوزي، وأمثالهما.

ثم عاد السعدي بعد بضع سنوات من تحصيله في هذه المدينة، إلى موطنه في إيران، وقد تعرض إلى هجمات المغول، ولم تنج مدينة شيراز نفسها –وهي موطن نشأته – من الثورات التي وقعت بين أحفاد الخوارز مشاهيين وبين الأتابكة، فتأثرت نفسيته بذلك، ورغب في أن يطوف العالم، ويجوب نواحيه، فقام في رحلات طويلة، وزار مكة، ودمشق وبلغ شمالي افريقيا، وأقام مدة في الشام، وعاشر أهل تلك البلاد من الطبقات العليا إلى الطبقات الدنيا، واختلط بالعلماء، والعوام، والصوفية، والسنيين، والملاحدة، والبراهمة. وقد تزود من كل ما تحمله أفكارهم. ولم يفارق دمشق العزيزة عليه إلا في سنة ٦٤٣هـ، كما يغلب على الظن، حين ابتليت بالقحط والغلاء والجراد وجفاف مياه العيون والأنهار، فرثاها أبلغ رثاء وبكاها أحر بكاء، وخرج منها هائماً على وجهه في بادية القدس، فأوقعه سوء حظه أسيراً بيد الفرنجة، وافتداه صديقه الحلبي وزوجه ابنته فتخلص منها لوقاحتها ورحل عن حلب، وهذا آخر العهد به في ديار الشام.

وبعد هذا السفر الطويل، عاد الشيخ إلى موطنه شيراز، مزوداً بالخبرة، ممتلئ النفس بالأفكار الناضجة، والعقائد العميقة، فلما بلغها وجدها تحت حكومة الأتابك، أبي بكر بن سعد سنة «٦٢٣هـ ٦٦٨٠هـ» فوجد البسطة في الرزق، والأمان في الحياة، وفي ذلك الموطن وجد السعدي الفراغ، والميل إلى التصنيف، فألف ذخائر المعارف، ونفيس الآداب، بعد أن أمضى عمراً طويلاً في التنقل بين البلاد.

ومع أن الشاعر قد طبقت شهرته الآفاق منذ نشأته، وسمع عن فضله منذ شبابه، وجرت أشعاره على الألسنة. فإن أهم ماقام به في ذلك العهد –أي أواخر عهد السلطان الأتابك أبي بكر ٠أنه نهض للتأليف والتدوين. وأولى منظوماته الهامة والمشهورة هي «بوستان» وهذا الديوان يشتمل كله على قصص شعري

غاية في الابداع، وهو في هذا الديوان شاعر إنساني ومعلم أخلاقي، وبعد سنة من إتمامه، ألف مصنفه الآخر «كلستان» وهو أجود ما كتب في النثر الفارسي، وأسلوب كلستان يطابق عنوانه «روضة الورد».

وتنتظم فيه القصص، والأمثلة، والحكم، والنصائح الأخلاقية والاجتماعية في عبارات لطيفة متينة حتى لتستطيع أن تقول إن الكلستان شعر منثور، أو نثر مجرد عن الزوائد والحشو.

أما غزليات السعدي فيمكن أن نقول إنه مبتكر فيها، فقد تضمنت أبدع الإحساسات، في روح الصوفية، فلم يبلغ شاعر آخر مابلغه فيها. مع أنه يتضح من حكايات السعدي، وحكمه أنه اندمج في زمرة رجال الصوفية، لكن لم يكن من أولئك الذين نفضوا أيديهم من شؤون الحياة، ولا من الذين لجأوا إلى الاعتزال، بل كان له لطافة أفكارهم، واشراق نفوسهم، في حياة معتدلة، وعمل متزن.

وكان تأثير السعدي في الناحيتين الأدبية والأخلاقية لا حد له، ليس في إيران وحدها، بل في العالم أجمع، فإن بعض الشعراء المشهورين الذين جاؤوا بعده - كحافظ الشيرازي وعبد الرحمن الجامي - قد وضعوه موضع التقدير والاعجاب، وأحلوه بينهم محل الفضل والإجلال.

وقد بلغت شهرة السعدي أطراف العالم، ونقلت آثاره في النثر والنظم إلى جميع اللغات الحية، وكانت محل إعجاب الأمم وتقديرها...

وتوفي الشيخ بين سنة «٦٩٠ هـ و ٦٩٤ هـ» في شيراز، ودفن بها.

! ! !

الفهرس

الصفحة

الطبعة الثالثة / ٢٠١٢م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





www.syrbook.gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ٢٢٠ ل.س أو ما يعادلها